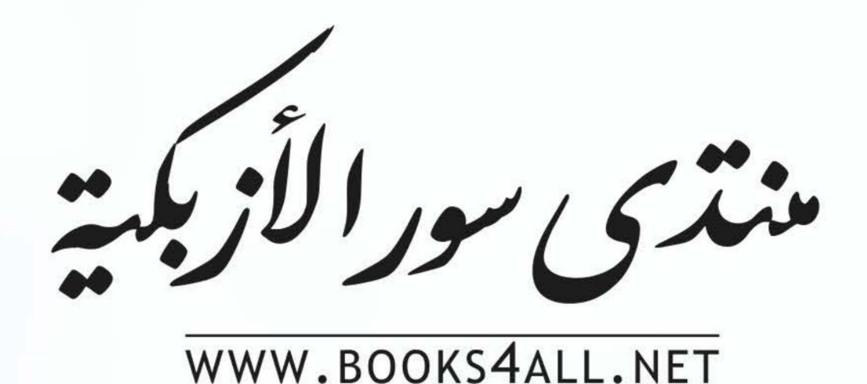
أكثر الروايات إثارة

أجاثا كريستي

مصرع فنان

الحرية للنشر والتوزيع

ترجمة كاملة نسخة الأصلية



منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

أجاثا كريستي

مصرع فنان

ترجمة

أحمد حسن

الحرية

للنشر والتوزيع

اسم الكتـــاب	مصرع فنان
ترجـــــمـــــة	أحمد حسن
الـنـاشـــــر	الحرية للنشر والتوزيع
	٣ ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
	ت: ٢٦١٥٦٤٦ ـ ٥٧٤٥٦٧٩
	م: ١٢٣٨٧٧٩٢١.
رقـم الإيـداع	٢٠٠٧/٤٠٢٩
الترقيم الدولى	36 - 85 - 23 - 206

الحريـــة 3 ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة

للنشر والتوزيع 0123877921 - 5745679

مأساة فى حياتها

نظر هركيول بوارو باهتمام وتمعن فى الشابة التى دخلت حجرته.

لم يكن هناك شىء مميز فى الخطاب الذى أرسلته له. كان مجرد طلب عادى لتجديد موعد دون التنويه بما يكمن خلف هذا التناقض، كان الخطاب كذلك قصيرا، عمليا استشف بوارو من خطه الثابت أن كارلا ليمار شانت شابه فى مقتبل العمر.

هاهى أمامه بنفسها، شابة طويلة ممشوقة القوام تخطت العشرين بقليل، من ذلك النوع من النساء اللاتى لابد للمرء أن ينظر إليها مرتين، إلى ثيابها الأنيقة. فقد كانت ترتدى معطفا غاليا حوله فراء فاخر. أما رأسها فقد بدا جميلا فوق كتفيها بجبهتها العريضة وأنفها الدقيق وذقنها التى توحى بالإصرار، وعلى العموم كانت توحى بالحيوية أكثر مما توحى بالجمال، حيوية فرضت نفسها حالما دخلت.

وشعر هيركول بوارو بالشباب والحيوية يعودان إليه وهو الذى كان قبل دخولها يشعر بالوهن والضعف. تقدم يحيها وهو يشعر بعينيها تتفحصانه بدقة فحصاً شاملا.

جلست فى مقعد وقبلت السيجارة التى قدمها إليها وظلت تدخنها

دقيقة أو اثنتين وهى تتمعن فيه إلى أن قال بوارو برقة:

- نعم... لابد من اتخاذ القرار الآن، أليس كذلك؟

جفلت وقالت: معذرة!

كان صوتها جذابا يتميز بنبرة جافة محببة، قال بوارو:

- إنك تحزمين أمرك... أليس كذلك؟ تقررين ما إذا كنت مدعيا أم أننى الرجل الذى تحتاجين.

- نعم إنه شىء من هذا القبيل، ذلك لأنك يا مستر بوارو لا تبدو فى الصورة التى رسمتها لك فى خيالى.

- وأنا عجوز، أليس كذلك، أكبر سنا مما كنت تتخيلين.

- نعم هذا حقيقى، إننى صريحة كما ترى، إننى أريد - يجب أن استخدم الأحسن.

- ثقى من ذلك، أننى أحسنهم.

- إنك لست متواضعا. على أى حال إنى أميل إلى أن أثق فى كلمتك.

- إن المرء كما تعلمين لا يستخدم عضلاته فقط..

إننى لست فى حاجة للانحناء لقياس آثار الأقدام والتقاط بقايا السجائر وفحص الحشائش التى داستها الأقدام يكفينى فقط أن أجلس فى مقعدى وأفكر، إن رأسى..

وهنا ربت بوارو على رأسه بيده وأردف: هذه هى التى تعمل.

قالت كارلا ليمارشانت، أعرف هذا ومن أجله أتيت إليك، إننى

أريدك أن تقوم بعمل خارق.

نظر إليها هيركيول بوارو مشجعا فاستطردت قائلة:

- اسمى ليس كارلا بل كارولين على اسم أمى، ورغم أن الجميع يعرفوننى باسم ليمارشانت فإن اسم أبى هو كريل.

قطب هيركيول بوارو ما بين حاجبيه لحظة ثم غمغم:

- كريل... إننى أتذكر.

- كان أبى رساما، رسام له شهرة ما وبعض الناس يقولون أنه كان رساما عظيما، وهذا هو رأيى فيه أيضا.

- تقصدين امياس كريل؟

- نعم وأمى - كارولين كريل - حوكمت بسبب قتلها له.

- آه إننى أتذكر الآن ولكن بغموض فقد كنت فى الخارج وقتئذ وكان هذا منذ زمن بعيد.

- منذ ستة عشر عاما.

شحب وجهها وظهر بريق غامض فى عينيها واستطردت:

- هل تفهم؟ لقد حوكمت ووجدت مذنبة... لكنها لم تشنق لأنهم شعروا بأن هناك ظروفا مخففة فاستبدل الحكم إلى الأشغال الشاقة مدى الحياة، لكنها ماتت بعد عام واحد من المحاكمة. هل تفهم؟ لقد انتهى كل شىء، انتهى كل شىء وانقضى.

- وماذا بعد؟

ضغطت من تدعى كارلا ليمارشانت بيدها فى عصبية ثم بدأت تقول ببطء ولكن بتأكيد على كل حرف تنطق به.

- علك أن تفهم بالضبط دورى أنا فى هذا كله.

كان سنى خمسة أعوام عندما حدث هذا. كنت أصغر من أن أعرف شيئا بالتحديد. إننى أتذكر أبى وأمى بالطبع وأتذكر أيضا أننى تركت منزلنا فجأة، فقد أخذنى أحدهم إلى الريف. أتذكر هناك خنازير وامرأة فلاح طيبة والجميع يعاملوننى برقة شديدة، وأتذكر أكثر من كل هذا كيف كانوا ينظرون إلى نظرة غريبة محمومة. عرفت بالطبع كما يعرف الأطفال أن هناك فى الأمر شيئا لكننى لم أعرف ما هو.

توقفت ريثما تستطرد أنفاسها ثم أردفت قائلة:

- ثم ذهبت فى رحلة مثيرة على ظهر سفينة مدة بضعة أيام إلى أن وجدت نفسى فى كندا وفى استقبال عمى سيمون، ثم عشت فى مونتريال معه ومع عمتى لويز وكانوا يجيبوننى عندما أسألهم عن أبى وأمى أنهما سيحضران سريعا، وتدريجيا بدأت أنسى كل شىء عنهما، ودخل فى روعى دون أن يقول لى أحد أنهما توفيا. لقد كنت سعيدة تماما فى كندا، فمعاملة عمى سيمون وعمتى لويز رائعة، ثم ذهبت إلى المدرسة حيث كان لى عديد من الأصدقاء، إلى أن نسيت أيضا تماما أن لى اسما آخر غير ليمارشانت قالت عمتى لويز أن هذا هو اسمى فى كندا وبدا لى هذا شيئا معقولا حتى نسيت أنه كان لى اسما آخر يوما ما.

انتفضت الفتاة فى جلستها وقد رفعت ذقنها فى تحد.

- انظر إلى. لابد أنك تقول أننى فتاة ليس هناك ما يعكر صفو حياتها فأنا غنية وصحتى ممتازة وشكلى لا بأس به وأستطيع أن أتمتع بحياتى، وفى سن العشرين فإننى لا أتمنى أن أتبادل موقعى مع أية فتاة أخرى - لكننى بدأت أتسأل عن أمى وأبى، من كانا - وماذا فعلا؟ وعلى أن أصل إلى الحقيقة... ولقد أخبرونى بالحقيقة عندما بلغت الحادية والعشرين وذلك لسببين: أولهما أننى استلمت الثروة الخاصة بى وثانيهما أننى اطلعت على الخطاب، ذلك الذى كتبته لى أمى قبل أن تموت.

تغير التعبير الذى ارتسم على وجهها وظهرت الكآبة فى عينيها واستطردت قائلة:

- وعندئذ عرفت الحقيقة، عرفت أن أمى أدينت لارتكابها جريمة قتل. كان هذا فظيعا وهناك شىء آخر لابد أن أفضى به إليك وهو أننى أزمع الزواج، لقد ظلوا يلحون على أن أنتظر حتىَ يبلغ عمرى الحادية والعشرين، والآن عرفت السبب فى ذلك.

تحرك بوارو فى مقعده وتكلم للمرة الأولى - قال:

- وماذا كان رد فعل خطيبك؟

- جون؟ إنه لم يهتم. قال أن ذلك ليس له تأثير عليه وأننى وهو لسنا إلا كارلا وجون وأن الماضى ليس له اعتبار... إننا مازلنا مخطوبين لكن الأمر - كما تعرف له أهميته. يهمنى كما يهم جون أيضا.. إنه ليس الماضى الذى يهمنا بل المستقبل... إننا نريد أن ننجب أطفالا. كلانا يريد إنجاب أطفال ولسنا نريد أن نرقب أطفالنا يكبرون وهم

خائفون من شىء ما.

- ألا تدركين أنه بين أجداد كل شخص منا من ارتكب عملا عنيفا شريرا؟

- إنك لا تفهم ما أعنيه: فى تلك الحالات لا يعرف المرء شيئا عن هذا العنف. لكننا نعرف وأحيانا يوجه شخص إلى جون نظرة، نظرة خاطفة سريعة لها معناها. افترض أننا تزوجنا وتشاجرنا ثم رأيته يوجه إلى مثل هذه النظرة التى تشير إلى الماضى؟

- كيف قتل أباك؟

جاءه صوت كارلا واضحا قاطعا وهى تقول:

- لقد وضع له السم.

وساد الصمت برهة إلى أن قالت الفتاة بلهجة عملية.

- شكرا لك لأنك رجل معقول. إنك تدرك أن الأمر له أهميته - ولن تفعل ما يفعله الآخرون من إلقاء كلمات المواساة والعطف.

- إننى أفهم ما هناك جيدا. ما لا أفهمه هو ما تطلبينه منى.

- أريد أن أتزوج من جون! وأن أقصد الزواج منه! وأتمنى أن ننجب ولدين وبنتين على الأقل وأنت الذى سوف تجعل ذلك ممكنا.

- هل تقصدين أن أتحدث إلى خطيبك؟ إن ذلك سيكون جنونا. إن ما تقترحينه شىء مختلف تماما. أخبرينى بما يدور فى ذهنك.

- اسمع يا مستر بوارو. افهم ما أقوله لك جيدا، إننى استأجر خدماتك للبحث فى قضية قتل.

- هل تقصدين...... ؟

- نعم، هذا ما أقصده جريمة القتل هى جريمة قتل سواء حدثت أمس أو منذ ستة عشر عاما.

- ولكن يا عزيزتى الشابة.

- انتظر يا مستر بوارو، إنك لم تستمع إلى كل ما لدى بعد. هناك نقطة هامة للغاية...

- نعم، وما هى؟

- إن أمى بريئة.

حك هركيول بوارو أنفه وغمغم قائلا: حسنا، طبعا.. إننى أقدر...

- إن هذا ليس إحساسا. هاك خطابها. لقد تركته لى قبل أن تموت كان عليهم أن يعطوه لى عندما أبلغ الحادية والعشرين... لقد تركته لى لسبب واحد وهو أن أكون واثقة تماما من براءتها. هذا كل ما يحتويه الخطاب.

نظر هركيول بوارو مفكرا فى الوجه الملىء بالحيوية والذى يحدق فيه بتطلع ثم قال ببطء: إن هذا...

- كلا، إن أمى ليست من هذا النوع - قد تظن أن تلك ما هى إلا كذبة - كذبة عاطفية! اسمع يا مستر بوارو: هناك أشياء يعرفها الأطفال جيدا. إننى أتذكر أمى - ذكرى باهتة بالطبع - لكننى أتذكر جيدا أى نوع من النساء كانت إنها لم تكن من ذلك النوع الذى يلقى بالأكاذيب فإذا ما ساءها شىء منك فإنها تصارحك فورا. كان قول الحقيقة شيئا طبيعيا فيها. إننى لم أكن... لا أتذكر... أننى كنت شغوفة بها إلى حد كبير، لكننى كنت أثق فيها إلى أقصى حد، ومازلت

أثق فيها. فإذا ما قالت أنها لم تقتل أبى فإن هذا يعنى أنها لم تقتله. إنها لن تكن من ذلك النوع من الناس الذى يكتب شيئا كاذبا وهو على شفا الموت.

أحنى هركيول بوارو رأسه ببطء فى حين استطردت كارلا قائلة:

- ولهذا فإننى على ما يرام فيما يختص بزواجى من جون، لكنه ليس كذلك، فهو يشعر أنه من الطبيعى أن أظن أن أمى كانت بريئة ولابد لهذا الأمر أن ينجلى يا مستر بوارو وسوف تقوم أنت بهذا العمل.

- لنفرض أن ما تقولينه صحيحا يا آنستى، لكن ستة عشر عاما قد مضت.

- اوه طبعا إن الأمر سيكون عسيرا ولذلك فليس هناك من يقوم به سواك.

لمع بريق خاطف فى عينى هيركيول بوارو وقال: - إنك تمدحيننى بأكثر مما أستحق.

لقد سمعت عنك وعن الأشياء التى قمت بها والأسلوب الذى اتبعته. إن التحليل النفسى للأمور هو ما يهمك. أليس كذلك. حسنا... إن هذا التحليل النفسى لم يتغير مع الزمن، الأشياء المادية الملموسة فقط هى التى ذهبت. أعقاب السجائر وقع الخطوات...... إلخ إن هذه لم تعد متاحة الآن، لكنك تستطيع أن تتأمل كل حقائق القضية وربما التحدث إلى الأشخاص الذين كانوا موجودين وقتها.. أنهم لازالوا جميعا أحياء، وعندئذ كما تقول تستطيع أن تلقى برأسك إلى الخلف بمقعدك وتفكر وتخرج بما حدث بالفعل.

نهض هيركيول بوارو على قدميه وربت باصبعه على شاربه وقال:

- إن ما تقولينه شرف لى يا آنستى وسوف لا أضيع ثقتك فى. سوف أبحث قضية القتل هذه بأن أفحص الحوادث التى وقعت منذ ستة عشر عاما مضت حتى اكتشف الحقيقة.

نهضت كارلا وعيناها تلمعان ولكنها لم تفه سوى بكلمة واحدة. (حسنا) أما هيركيول بوارو فقد رفع اصبعه محذرا وقال:

- هناك نقطة صغيرة. أننى سوف اكتشف الحقيقة ومن ثم لا أضمن لك براءة أمك فإذا ما كانت مذنبة فما الذى يحدث عندئذ.

رفعت كارلا رأسها باعتزاز وقالت:

- إننى ابنتها وأنا أريد الحقيقة.

- إلى الأمام إذن... كلا... ما يجب أن أقوله أو على العكس من ذلك ... إلى الخلف.



الجزء الأول

محامى الدفاع

قال سير مونتاجو ديبليتش:

- هل تسألنى إذا كنت أتذكر قضية كريل؟ طبعا أتذكرها جيدا فقد كانت امرأة ذات جاذبية خاصة لكنها لم تكن تسيطر على عواطفها - مختلة العقل قليلا، ولكن ماالذى يجعلك تسألنى عن هذه القضية؟

قال ذلك وهو يتطلع إلى بوارو الذى أجاب قائلا: إننى مهتم بها.

كشف ديبليتش عن أسنانه فيما اصطلح الناس على تسميته (بابتسامة) الذى كان لها تأثير قوى على الشهود وقال:

- إن ذلك لا يوحى بالمهارة يا سيدى العزيز فإن الحكم ببراءة المرأة.. إننى فى ذلك الوقت لم أكن طبعا على نفس الخبرة التى أنا بها الآن لكنى على أية حال فعلت كل ما كان يمكن لبشر أن يفعله. لكنك لا تستطيع أن تفعل الكثير دون معاون. لقد استطعت أن أحول الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة. على أساس عنصر الاستفزاز.

واستلقى فى مقعده مادا ساقيه الطويلتين واستطرد:

- لو أنها أطلقت عليه الرصاص أو قتلته بسكين لكان الأمر أسهل، ولكن السم... إنك لا تستطيع أن تلعب بهذه النقطة كما تعرف.

- وماذا كانت نقطة الدفاع الرئيسية؟

كان بوارو قد عرف ذلك من قبل بقراءته الصحف التى صدرت وقت الحادث لكنه لم يجد ضررا فى أن يقوم بدور الجاهل تماما بالنسبة لسير مونتاجو الذى قال:

- الانتحار. الشىء الوحيد الذى تستطيع أن تلجأ إليه. لكن كريل لم يكن من ذلك النوع من البشر. إنك لم تلتق به مطلقا كما أعتقد؟ كلا! ... حسنا... لقد كان من النوع الملىء بالحيوية والنشاط المولع بالنساء المقبل على الخمر..... إلخ هذا الرجل، ذلك النوع من الرجال الذى يستمتع بملذاته إلى النهاية. إنك لا تستطيع أن تقنع المحلفين بأن رجلا من هذا النوع يستطيع أن ينهى حياته بنفسه فى هدوء. إن ذلك ليس مقنعا. كلا لقد كنت أخشى من البداية أننى سأكون الخاسر لا محالة أما هى فلم تساعدنى البته. لم تكن هناك أية مقاومة فى داخلها ومن ثم كان للمحلفين أن يستنتجوا ما يريدون.

- هل ذلك ما قصدته وأنت تقول أنك لم تجد أية معلومات منها؟

- كلية يا صديقى العزيز. أننا لسنا سحرة كما تعرف. إن نصف المعركة تتركز فى الانطباع الذى يسجله المتهم على المحلفين. ولقد رأيت المرة بعد الأخرى المحلفين يصدرون رأيا مخالفا لرأى القاضى تماما ولقد سمعت محلفين كثيرين فى قضيتها أحدهم يقول (إن كريل لم يقتل نفسه مطلقا.) وآخر يعلق قائلا: إن كارولين هى التى فعلتها فى حين أن كارولين كريل لم تقاوم مطلقا.

- وما كان السبب فى ذلك؟

هز سير مونتاجو كتفيه وقال:

- لا تسألنى، لقد كانت بالطبع مغرمة بزوجها وقد تحطمت تماما عندما أدركت خطورة ما فعلته وأنا لا أعتقد مطلقا أنها تغلبت على الصدمة فى أى وقت.

- ومن ثم فهى فى رأيك مذنبة.

بدا ديبليتش دهشا وهو يقول:

- اوه حسنا.. لقد ظننت أننا نتكلم فى أمر انتهى النقاش فيه.

- هل اعترفت فى أى وقت بأنها كانت مذنبة؟

بدا ديبليتش وجلا وهو يقول:

- كلا بالطبع إن لنا كما تعرف معاييرنا، والبراءة يستكشفها الناس باحساسهم لو أنك مهتم إلى هذا الحد فإنه من سوء حظك أنك لن تستطيع العثور على ما يهيو الذى كان على رأس محاميها وهو الذى وكلنى فى القضية. كان باستطاعة الرجل العجوز أن يخبرك بأكثر مما أستطيعه أنا ولكنه لحق بمن رحلوا عن هذا العالم. هناك بالطبع جورج مايهيو ولكنه كان صبيا عندئذ.

- نعم أعرف ذلك من حسن حظى أنك تتذكر كل هذا القدر. إن لك ذاكرة تحسد عليها.

بدا السرور على ديبليتش وغمغم قائلا:

- اوه حسنا. إن المرء يتذكر رؤوس المواضيع كما تعرف، خاصة عندما يتعلق الأمر بجريمة عقوبتها الإعدام، ذلك بالاضافة إلى أن

قضية كريل كان لها دوى شديد فى الصحافة. هؤلاء المهتمون بمسائل الجنس، ذلك لأن الفتاة التى كانت سببا فى الجريمة كانت على قدر كبير من الجمال.

- أرجو أن تسامحنى إذا كنت ملحا ولكن ألم يساورك أى شك فيما إذا كانت كارولين كريل مذنبة أم لا؟

هز ديبليتش كتفيه وقال: بصراحة لا أظن ان هناك شكا فى هذا... أوه نعم لقد فعلتها بنفسها.

- وماذا كان الدليل ضدها؟

- دليل يدينها بالتأكيد. فأولا وقبل كل شىء كان هناك الدافع، فإنها وكريل كانا يعيشان مثل القط والفأر سنوات عديدة.. مشاجرات لا تنتهى، ذلك لأنه كان يقع فى غرام امرأة بعد الأخرى. لم يستطع أن يصد نفسه عن ذلك. أما كارولين فقد تحملت ذلك بصبر لأنه كان رساما من الدرجة الأولى بالفعل. إنك تعرف بالطبع أن لوحاته [illegible] ارتفعت أسعارها بطريقة خيالية إننى لا أهتم بأساليب الرسم هذه [illegible] عمله كان جيدا بالفعل. حسنا يمكن أن نقول أنه كانت بينهما متاعب، لأن مسز كريل لم تكن من ذلك النوع الذى يتحمل فى صمت لكنه كان يعود إليها دائما فى النهاية. كانت أموره الغرامية تضايقها لكن تلك العلاقة الأخيرة كانت شيئا مختلفا تماما. كانت المرأة هذه المرة فتاة صغيرة، فتاة فى العشرين من عمرها. شخص ديبليتش ببصره وكأنه يتذكر ماضيا سحيقا وأردف:

- كان اسمها اليزا جريل ابنة أحد أصحاب المصانع فى يوركشير.

كان لديها المال والعزيمة وكانت تعرف ما تريد، وما تريده كان امياس كريل. استطاعت أن تجعله يرسمها رغم أنه لم يكن معتادا على رسم شخصيات المجتمع، ولم أكن أعرف أن معظم السيدات كن تتمنين أن يرسمهن مثل ذلك الفنان، لكنه لم يفعل. لكنه رسم اليزا جريل وانتهى بأن وقع فى غرامها حتى أذنيه. كان عندئذ فى الأربعين من عمره وقد مرت سنوات عديدة على زواجه، وفى ذلك السن الذى يصبح فيه الرجال حمقى أمام فتاة صغيرة. كان مفتونا بها وكانت رغبته أن يحصل على الطلاق من زوجته ويتزوجها. لكن كارولين كريل لم تكن لتسمح له بذلك وسمعها شخصان تهدده بأنه إن لم يترك الفتاة فسوف تقتله، وكانت تعنى ذلك كانا فى اليوم السابق للجريمة يتناولان الشاى عند جار لهما وكان يتفاخر أمامهما باقتنائه بعض الأعشاب النادرة التى من بينها الكونين، ولقد تحدث عن خواص تلك المادة المميتة. وفى اليوم التالى لاحظ هذا الجار أن محتويات الزجاجة تكاد تكون فارغة ووجدوا فى حجرة مسز كريل زجاجة مخبأة فى درج سفلى فيها شىء من هذه المادة.

قال هيركيول بوارو وهو يتحرك فى عدم ارتياح:

- لكن شخصا آخر قد يكون وضعها هناك.

- أوه لقد اعترفت كارولين كريل للشرطة بأنها هى التى أخذت المادة كان هذا حماقة منها بالطبع لكن محاميها لم يكن موجودا فى تلك المرحلة بعد، وعندما سئلت اعترفت صراحة بأنها هى التى أخذت المادة من الزجاجة.

- وماذا قالت عن السبب؟

- قالت أنها أخذتها بغرض إنهاء حياتها هى. ولم تفسر كيف أصبحت الزجاجة خاوية أو كيف أن بصمات أصابعها هى الظاهرة عليها. إن هذا الجزء من الاعتراف كان مدمرا تماما. لقد ادعت كما تعرف أن امياس كريل قد انتحر لكن لو أنه أخذ الكونين من الزجاجة المخبأة فى حجرتها لظهرت بصمات أصابعه على الزجاجة إلى جوار بصماتها.

- لقد أعطى له الكونين فى البيرة.. أليس كذلك؟

- نعم لقد أخرجت زجاجة البيرة من الثلاجة، وذهبت بها إلى حيث كان يرسم فى الحديقة. صبت له البيرة وأعطتها له وأخذت ترقبه وهو يشربها. ولقد تركه الجميع وذهبوا لتناول الغداء لأنه لم يكن معتادا على تناول الغداء معهم كثيرا. وفيما بعد ذهبت كارولين مع المربية لتجده قد مات. قالت فى روايتها أن البيرة التى أعطتها إياه كانت على ما يرام وبنت نظريتها على أنه أحس فجأة بالضيق وبتأنيب الضمير فتناول السم، ولكن ذلك طبعا هراء، وهو لم يكن ذلك النوع من الرجال، ولقد كانت بصمات أصابعها دليلا قويا ضدها.

- هل وجدوا بصمات أصابعها على زجاجة البيرة؟

- كلا وجدوا عليها بصمات أصابعه هو فقط، لكنها كانت بالطبع بصمات ملفقة، فلقد كانت كارولين بمفردها مع الجثة فى حين ذهبت المربية لاستدعاء الطبيب ولابد أن ما فعلته هو أنها مسحت الزجاجة والكأس وضغطت أصابعه عليها. لقد أرادت أن تتظاهر بأنها لم تمسك المادة المميتة بيدها، لكن ذلك لم يكن له فائدة فإن رودلف العجوز الذى كان مدعيا عاما آثار السخرية فى ذلك وأثبت بطريقة عملية للمحكمة أن رجلا لم يكن يستطيع أن يمسك الزجاجة بأصابعه

فى مثل ذلك الوضع. ولقد فعلنا ما فى وسعنا كى نثبت العكس وأن يده تأخذ شكلا مختلفا وهو يموت لكن كلامنا لم يكن مقنعا.

- لكن الكونين يمكن أن يكون قد وضع فى الزجاجة قبل أن تأخذها إلى الحديقة.

- لم يكن هناك أثر للكونين فى الزجاجة مطلقا. كان الكونين فى الكأس فقط. وتوقف دبيلتيش فجأة وتغير تعبير وجهه وهو يقول فى حدة: والآن يا مستر بوارو ما الذى تهدف إليه؟

- إذا كانت كارولين بريئة فكيف وضع الكونين فى البيرة؟ لقد قال الدفاع عندئذ أن امياس كريل نفسه وضعه هناك لكنك تقول لى أن هذا ليس محتملا البتة وأنا من جانبى أوافقك على ذلك فهو لم يكن من ذلك النوع من الرجال، لكن إذا لم تكن كارولين قد فعلتها أيضا فلابد أن شخصا آخر قد فعلها.

- اللعنة على كل شىء يا رجل، إنك لن تستطيع أن تؤدب جوادا ميتا. لقد انتهى كل شىء منذ سنوات عديدة. إن كارولين قد فعلتها طبعا وكان لابد أن تقتنع بذلك لو أنك كنت هناك فى ذلك الوقت، وإننى لأتخيل أنها استراحت عند النطق بالحكم. لم تكن خائفة مطلقا، لم تكن عصبية على الاطلاق. كل ما أرادته هو أن تنتهى المحاكمة. لقد كانت امرأة شجاعة حقا.

- ورغم ذلك فإنها عندما ماتت تركت رسالة تعطى لابنتها كتبت فيها مقسمة أنها بريئة.

- أتخيل ذلك فإننى وأنت كنا سنفعل نفس الشىء لو أننا فى مكانها.

- لكن ابنتها تقول أنها ليست من ذلك النوع من النساء.

- ابنتها تقول!! وما الذى تعرفه تلك الابنة يا عزيزى بوارو لقد كانت الابنة وقت المحاكمة مجرد طفلة صغيرة فى الرابعة أو الخامسة من عمرها. لقد غيروا اسمها وأرسلوها خارج انجلترا لتعيش مع بعض الأقارب. كيف لها أن تعرف شيئا أو أن تتذكر شيئا؟

- الأطفال قد يعرفون البشر بطريقة جيدة جدا أحيانا.

- ربما لكن هذا لا ينطبق على هذه القضية لأنه من الطبيعى أن الفتاة تريد أن تعتقد أن أمها لم ترتكب جريمة. دعها تظن ذلك فلن يضير هذا أحدا شيئا.

- لكنها من سوء الحظ تطلب دليلا.

- دليل على أن كارولين كريل لم تقتل زوجها؟

- حسنا... إنها لن تحصل على مثل هذا الدليل.

- ألا تظن ذلك؟

- لقد ظننتك على الدوام رجلا شريفا يا بوارو. ما الذى تفعله الآن؟ هل تحاول أن تكتسب مالا باللعب على عواطف الفتاة؟

- إنك لا تعرفها. إنها فتاة غير عادية لها شخصية قوية جدا.

- نعم استطيع أن أتخيل ذلك فى ابنة امياس وكارولين كريل. ما الذى تريده؟

- إنها تريد الحقيقة؟

- أخشى أنها ستجد الحقيقة فى حلقها. فى الحقيقة يا بوارو إننى

لا أجد أى ظل من الشك فى أن كارولين قتلت زوجها.

- أرجو صفحك يا صديقى لكننى يجب أن استوفى هذه النقطة حقها.

- حسنا لا أعرف ماذا يمكنك أن تصنع.. تستطيع أن تقرأ وصف الأحداث والمحاكمة فى الصحف. لقد كان همفرى رودولف مدعيا، ولقد مات الآن لكنك تستطيع أن تتحدث إلى فوج مساعده الأصغر. ثم أن هناك الأشخاص الذين كانوا معهما وقت الحادث لكن لا تظن أنهم سيسرون لتحريكك الرماد الذى أطبق على المسألة برمتها، لكننى واثق أنك سوف تصل إلى ما تريده معهم بطرقك الشيطانية.

- آه نعم الأشخاص الذين كانوا هناك. هذا هام جدا. من كانوا؟ ومن هم؟

تأمل ديبليتش قليلا ثم قال:

- دعنى أتذكر... كان هناك خمسة أشخاص فقط باستثناء الخدم الذين كانوا رجلا وزوجته.. عجوزين مذعورين لا يعرفان شيئا على الاطلاق، ولم يكن لأحد أن يشك فيهما.

- إذن حدثنى عن الخمسة الذين تقول أنهم كانوا هناك:

- أولهم فيليب بليك وهو أعز أصدقاء كريل الذى عرفه على مدى عمره وكان يقيم فى المنزل فى ذلك الوقت وهو مازال حيا، أراه بين حين وآخر فى منطقة مجاورة ويشتغل سمسارا. رجل ناجح يميل إلى السمنة.

- حسنا ومن التالى؟

- هناك شقيق بليك الأكبر، وهو سيد من الريف من النوع الذى لا

يفارق ضيعته كثيرا.

وفى تلك اللحظة رن فى رأس بوارو بيت من الشعر كان يتردد فى ذهنه كثيرا، بيت يقول (لقد ذهب الخنزير الكبير إلى السوق، أما الخنزير الصغير الآخر فقد بقى فى المنزل) ووجد نفسه يغمغم قائلا:

- من النوع الذى يبقى فى المنزل؟

- إنه الشخص الذى كان شغوفا بالأدوية والأعشاب. اسمه ميرديث بليك ولا أعرف إذا كان لا يزال حيا أم لا.

- ومن التالى؟

- التالى؟ إن الشخص التالى هو سبب المتاعب كلها، العشيقة اليزا جريل.

غمغم بوارو لنفسه(هذا هو الخنزير الصغير الذى أكل اللحم المحمر) فى حين كان ديبليتش يحدق فيه وقال:

- ولقد أكلت كثيرا من اللحم بالفعل، فلقد تزوجت ثلاث مرات منذ ذلك الحين، تدخل وتخرج من محكمة الطلاق وكأنها أمر سهل تماما، وكل مرة تغير فيها أحد أزواجها يكون الجديد أفضل من سابقه. إنها الآن ليدى دى تيشام، ليس عليك إلا أن تفتح أية صحيفة لترى اسمها هناك.

- وماذا عن الاثنين الآخرين؟

- المربية وهى امرأة لطيفة قديرة نسيت الآن اسمها، ثم هناك الطفلة شقيقة كارولين كريل من أب مختلف ولابد أنها كانت عندئذ فى الخامسة عشرة من عمرها، أما الآن فقد أصبحت لها شهرتها الخاصة فى أمور الحفريات واسمها انجلا وران. ولقد التقيت بها منذ

بضعة أيام.

- إذن فليست هى الخنزير الصغير الذى كان يبكى بقوة.

- لقد كان لديها ما يبكيها بحرقة فى حياتها فهى مشوهة كما تعلم، لديها ندبة على جانب وجهها.

وقف بوارو وقال:

- شكرا لك لمعونتك، وإذا لم تكن كارولين كريل قد قتلت زوجها...

وهنا قاطعه ديبليتش قائلا:

- ولكنها فعلت أيها الصبى العجوز، وأنا أقسم على ذلك.

لكن بوارو استطرد دون أن يلقى بالا إلى مقاطعته، فإذا لم تكن قد قتلته فلابد أن أحد هؤلاء الخمسة هو الذى قام بذلك.

قال ديبليتش فى شك:

- أعتقد أن أحدهم يمكنه أن يكون قد فعلها، لكننى لا أرى سببا يدفع أيا منهم لذلك ليس هناك سبب على الاطلاق، وفى الحقيقة فإننى واثق أن أحدا منهم لم يفعلها. أخرج هذا الطنين من تحت قبعتك أيها الصبى العجوز. لكن بوارو ابتسم فقط وهز رأسه.



لقاء مع المدعى

قال مستر فوج فى حماس: إنها مذنبة بحق الجحيم.

نظر هيركيول بوارو فى وجه وكيل النيابة فى تأمل، ليجده شخصية مختلفة تماما عن مونتاجو ديبليتش. كان ديبليتش يتمتع بمغناطيسية وشخصية توحى بالسيطرة، يؤثر فى مجتمعه بسلوكه المتغير من الغضب إلى الابتسام ومن الحماس إلى الفتور. أما كوانتين فوج فقد كان نحيلا شاحبا تنقصه سمات الشخصية القوية، لا تحس فى حديثه بأية عاطفة يمل المرء من سماعه سريعا، وكان ذلك كله سببا فى أنه لم يحرز شهرة ما، لكنه اشتهر بأنه يعرف القانون جيدا وعادة ما يفوز فى قضاياه. قال له بوارو: إذن فهذا هو انطباعك العام عنها.

- لو أنك رأيتها فى قفص الاتهام لكان ذلك شعورك أيضا، ولقد جعل منا همفرى رودلف العجوز - الذى كان يقود الادعاء - قطعة من اللحم المفروم. على العموم لقد كان الأمر أكثر من جيد.

- إننى لا أفهمك.

- كيف لى أن أشرح لك؟ إنه مثل انجليزى مأثور فحواه (إطلاق

النارعلى طائر ساكن الحركة تماما). هل فهمتنى؟

- إلى حد ما، لكننى أعرف أن شأن المحكمة العليا شأن غابات الصيد فى أى مكان، فإن الصياد يجب أن تقاومه الضحية قليلا.

- هذا صحيح، لكن فى هذه القضية لم يكن للمتهمة فرصة ما، ولقد فعل بها همفرى رودلف ما يريد. بدت المحاكمة باستجوابها من ديبليتش، ولقد وقفت تجيبه على أسئلته بطريقة التلميذ الذى حفظ دروسه عن ظهر قلب، لكنه غير مقتنع بما يقول، وكأنها لقنت ما يجب أن تقوله ومن ثم لم يكن الخطأ من ديبليتش لأن ذلك العجوز قام بدوره بمهارة - لكنه فى مشهد المسرحية الذى يحتاج إلى ممثلين اثنين لا يمكن لواحد فقط أن يقوم بالدورين، ومن ثم كان تأثير ذلك سيئا على المحكمة. وبعد ذلك نهض همفرى العجوز وجعل منها كما قلت لك قطعة من اللحم المفروم، ولقد استطاع بأسئلته هنا وهناك أن يجعلها تنهار وتعترف بسخف أقوالها وتعارض رواياتها، وفى النهاية خرج باستنتاجاته المقنعة وهو يواجهها قائلا:

إننى أقترح يا مسز كريل إن روايتك عن سرقة الكونين لتنتحرى ليست إلا أكذوبة، لأنك أخذت الكونين لتضعيه لزوجك الذى كان على وشك أن يهجرك إلى امرأة أخرى، وأنك فعلت ذلك عن عمد ولقد نظرت إليه تلك المخلوقة الشاحبة الجمال الرقيقة وقالت أوه، كلا، كلا إننى لم أفعل ذلك لكن ذلك لم يكن مقنعا طبعا، ولقد رأيت عندئذ ديبليتش العجوز يتململ فى مقعده لأنه كان قد عرف النهاية.

وتوقف فوج برهة ثم استطرد قائلا:

- لكننى لا أعرف، فبطريقة ما كان ما فعلته شيئا فى منتهى المهارة، ذلك لأنها أثارت فى الجميع نخوة الشهامة فشعر المحلفون - بل إن المحكمة كلها شعرت - بأنه لم تكن هناك أية فرصة لها، بل أنها لم تكافح مطلقا للدفاع عن حياتها أمام مثل القانونى العجوز همفرى وبطشه وبذلك أثارت عطف الجميع، وبالتالى لم يستغرق المحلفون سوى وقت قصير للعودة بقرارهم: (مذنبة ولكنهم يوصون بالرأفة).

توقف فوج مرة أخرى ثم استطرد:

- نعم لقد كان ما فعلته يتناقض تماما مع المرأة الأخرى فى القضية التى لم يتعاطف المحلفون معها مطلقا منذ البداية، كانت جميلة جدا ترتدى ثيابها على أحدث الطراز لا تبدى انفعالا مطلقا، وبالتالى كانت مثالا للمرأة هادمة البيوت، ذلك لأن الأسر لا يمكن أن تكون فى أمان ومثل هذه الفتيات يحمن حولها، فتيات مليئات بالحيوية والجنس، لا يعرفن بحقوق الزوجات والأمهات. لكن يجب أن أقول أنها كانت صادقة فى أقوالها، فقد وقعت فى غرام امياس كريل ووقع هو فى غرامها، ولم تكن تساورها هواجس فى أن تأخذه بعيدا عن زوجته وعن طفلته. لقد أعجبتنى فى ناحية ما، فقد كانت شجاعة عندما حاول ديبليتش أن يحرجها فقد صمدت له، لكن المحكمة لم تكن متعاطفة معها، ولم يكن القاضى يحبها، القاضى آمتيس الذى كان غيورا على الفضيلة متحمسا للأخلاق، ومن ثم كان تقريره عن كارولين كريل مليئا بالعطف. لم يستطع طبعا أن ينكر الحقائق لكنه تحدث كثيرا عن الاستفزاز الذى تعرضت له.

سأله بوارو قائلا: لكن القاضى لم يقتنع برأى الدفاع فى مسألة الانتحار؟

- إن ذلك لم يكن فى الاعتبار مطلقا. لم يكن ذلك لأن ديبليتش فشل فى الإقناع بذلك. لقد صور كريل على أنه رجل متصلب المزاج يحب اللهو سيطرت عليه فجأة عاطفة مشبوبة بحب فتاة صغيرة ولذلك فعندما تغلب عليه تأنيب الضمير للطريقة التى عامل بها زوجته وطفلته فقد اتخذ قرارا بانهاء كل شىء. وقد أدى ديبليتش تصوير هذه المسرحية بطريقة مؤثرة دفعت البعض للبكاء، لكن ذلك كله انتهى عندما تذكر الحاضرون امياس كريل وأنه لم يكن هذا النوع من الرجال مطلقا. لم يستطع ديبليتش أن يأتى بدليل واحد على ما يقول، ذلك لأن كريل كان يبدو للناس على الدوام رجلا ليس له ضمير، بل شخص قاسى أنانى سعيد بأنانيته، وكل ما فيه من حب للجمال كان يتجه إلى الرسم، ومن ثم لم تكن رواية الانتحار مقنعة مطلقا.

- ربما لم تكن وجهة نظر الدفاع هذه أحسن اختيار؟

- ولكن ماذا كان لديه غير ذلك؟ هل كان يستطيع أن يظل صامتا تاركا للادعاء أن يدين المتهمة؟ كان هناك مجموعة من الأدلة ضدها، فلقد سرقت السم وكان لديها الوسيلة والدافع والغرض وكل شىء.

- ربما حاول المرء أن تظهر كل هذه الأمور قد رتبت بطريقة مفتعلة؟

- لكنها اعترفت بمعظمها، وما تقوله غريب فى الواقع فإن ما يعنيه هو أن شخصا آخر قتله ورتب كل شىء بحيث تظهر هى كمذنبة.

- هل تظن أن ذلك مستحيل الوقوع؟

- أخشى ذلك، فإنك تقترح أن يكون هناك شخص ما، ولكن أين نجد هذا الشخص؟

- فى دائرة ضيقة بالطبع، لقد كان هناك خمسة أشخاص أليس كذلك، وأى منهم يمكن أن يكون هو الفاعل؟

- خمسة؟ دعنى أتذكر لقد كان هناك العجوز الذى يهوى الأعشاب والسموم وهى هواية خطرة، لكنه كان شخصا طيبا لا أعتقد أنه يقوم بجريمة كهذه، ثم كانت هناك اليزا جريل لكنها كان يمكن أن تقتل كارولين ولكن ليس كريل بالتأكيد. ثم السمسار فيليب بليك وهو أقرب الأصدقاء إلى كريل. إن هذا الأمر شائع فى القصص البوليسية لكننى لا أصدق بوقوع هذا فى الحياة العادية.. من هناك غير هؤلاء؟ آه أخت كارولين، لكننى لا أعتقد أن لها أهمية ما. هؤلاء أربعة.

- إنك نسيت المربية.

- نعم هذا حقيقى، إن الخدم هم آخر من يتذكرهم الإنسان. إننى أتذكرها بغير وضوح كامرأة فى منتصف العمر بسيطة ماهرة. وأعتقد أنها من الناحية النفسية كانت ضد كريل، لكنها لم تكن لتقتله إنها لم تكن من الطراز الذى ينفعل إلى هذا الحد.

- لكن ذلك كان منذ زمن بعيد.

- خمس أو ستة عشر عاما كما أعتقد، ولا أتوقع أن تكون ذاكرتى قوية إلى هذا الحد.

وهنا قال بوارو بتأكيد:

- لكنك تتذكر كل شىء بوضوح مدهش. إنك تتخيل كل شىء كما لو أنه يحدث أمامك الآن.

- إنك على حق فإننى أرى كل شىء أمامى واضحا.

- يهمنى يا صديقى أن تقول لى لماذا؟

تأمل فوج السؤال لحظة وبدا مهتما وهو يقول:

- لماذا؟ نعم لماذا.

- لماذا ترى كل شىء واضحا؟ الشهود؟ الدفاع؟ القاضى؟ والمتهمة واقفة فى القفص.

- هذا هو بالطبع السبب.إننى دائما أراها. شىء غريب أرى فيها قصة عاطفية إن كل شىء كان مركزا حولها رغم أنها لم تكن جميلة بل مرهقة شاحبة. لكنها معظم الوقت لم تكن هناك. كانت فى مكان آخر بعيدا عن المحكمة، تاركة جسدها هناك، جسد نحيل وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة، ورغم كل هذا كانت أكثر حيوية من الفتاة الأخرى ذات الجسد البديع والوجه الرائع الجمال والشباب الغض. لقد أعجبنى فى اليزا جريل شجاعتها وحبها للمعركة ولأنها صمدت أمام مختلف الأسئلة لكننى أعجبت بكارولين لأنها لم تجاوب بل انزوت فى عالمها الخاص بها، عالم الظلال والأشباح. إنها لم تهزم مطلقا لأنها لم تبدأ معركة قط.... لكننى واثق من شىء واحد فقط أنها أحبت الرجل الذى قتلته وقد مات نصفها معه.

وتوقف مستر فوج لحظة مسح فيها زجاج نظارته واستأنف:

- يا الهى يبدو أننى أقول أشياء عجيبة، لقد كنت شابا يانعا طموحا فى ذلك الوقت ومن ثم كان لمثل هذه الأشياء تأثيرها على لكن هذا لا يغير من أن كارولين كريل كانت امرأة رائعة ولن أنساها مطلقا..... قط لن أنساه.

المحامى الشاب

كان جورج مايهيو حريصا فى حديثه. تذكر القضية بالطبع ولكن بغير وضوح، ذلك لأن أباه كان هو الذى يتولاها بنفسه حيث كان هو فى التاسعة عشرة من عمره فقط.

قال إن القضية أثارت حديث الناس، لأن كريل كان رجلا له شهرته فى عالم الفن، حيث نالت لوحاته إعجاب الناس، وعرضت اثنتان منهما فى أشهر المعارض. ثم أردف بقوله أنه لم يفهم سر اهتمام بوارو بالموضوع، وأبدى دهشته عندما سمع بأمر الابنة التى كان قد سمع فى غموض أنها سافرت إلى نيوزيلندا بدلا من كندا.

لكن قضية كارولين كريل أزالت تحفظه، وعبر عن تعاطفه العميق، وعن تفضيله ألا تكون قد علمت بالأمر برمته، غير أنه ليس ثمة فائدة من تزويد ذلك الآن. هل أرادت أن تعرف الحقيقة؟ نعم، لكن ماذا هناك كى تعرفه؟ هناك طبعا تقارير المحكمة التى لم يكن هو نفسه يعرف عنها شيئا. لكنه أيضا لم يكن لديه شك كثير فى إدانة كارولين كريل رغم التماسه بعض العذر لها، ذلك لأن هؤلاء الفنانين من الصعب

الحياة معهم، وهكذا شأن كريل الذى كان فى حياته أكثر من امرأة.

وربما كانت كارولين أيضا من نوع النساء المختلفات اللائى لم يكن يتقبلن الحقائق ببساطة، فإن امرأة مثلها هذه الأيام كانت تطلقه بسهولة وتتغلب على تعاستها، ثم أضاف فى حرص قائلا:

- دعنى أتذكر - إنها ليدى تشام كما أعتقد.. كانت فتاة القضية.

وعندما أومأ بوارو بالموافقة استطرد قائلا:

- إن الصحف تثير الموضوع بين حين وآخر، ذلك لأنها دخلت المحكمة لإجراءات الطلاق أكثر من مرة، وهى الآن امرأة ثرية كما قد تعرف. تزوجت من ذلك المكتشف الشهير قبل زواجها ب - دى تشام، وعلى العموم فالمجتمع يعرفها جيدا وهى من ذلك النوع من النساء الذى يحب تسليط الأضواء عليه.

- ربما من النوع الذى يعجب بالأبطال من الرجال. هل كان مكتبكم يتولى قضايا مسز كريل لسنوات طويلة.

أومأ جورج مايهيو برأسه نفيا ثم قال:

- على العكس فإن مكتب جوناثان هو محامى عائلة كريل، لكنه شعر بأنه لن يدافع عن مسز كريل جيدا فعهد إلى والدى بالقضية ويستحسن يا مسيو بوارو أن ترتب موعدا للقاء مستر جوناثان العجوز الذى تقاعد منذ فترة، والذى كان يعرف عائلة كريل معرفة وثيقة ويستطيع أن يخبرك بأكثر مما أستطيعه أنا. فالحقيقة أننى كنت عندئذ صبيا يافعا حتى أننى لن أذهب بنفسى إلى المحاكمة.

واستطرد قائلا وهو يصافح بوارو مودعا:

- لعلك تريد أن تتبادل حديثا مع موندز وهو رئيس الكتبة لدينا، وكان فى مكتبنا عندما نوقشت القضية وكان مهتما اهتماما كبيرا بالمحاكمة.

كان ادموندز بطىء الحديث، لكن عينيه لمعتا عندما ذكر له بوارو الهدف من زيارته وقال:

- إننى أتذكر قضية كريل، فلقد كانت شيئا مشينا، لقد كانت منذ زمن بعيد، وها أنت تنفض الغبار عنها مرة أخرى.

- إن حكم المحكمة ليس بالضرورة نهاية كل شىء.... إن مسز كريل قد تركت ابنة.

- أتذكر أنه كانت هناك طفلة أرسلت إلى بعض الأقارب فى الخارج.

- إن الابنة تعتقد اعتقادا جازما فى براءة أمها. هل لديك ما يؤيد هذا الإعتقاد؟

فكر ادموندز قليلا ثم هز رأسه نفيا وقال:

- لا أستطيع أن أقول ذلك. لقد كنت أعجب بمسز كريل فقد كانت قبل كل شىء سيدة ليست كالمرأة الأخرى - تلك الفتاة اللعوب الجريئة. أما مسز كريل فكانت من معدن طيب.

- لكنها رغم ذلك كانت قاتلة؟

قطب ادموندز ما بين حاجبيه ثم قال بمزيد من الاندفاع هذا هو السؤال الذى دأبت على توجيهه لنفسى يوما بعد يوم وهى جالسة هناك فى فنص الاتهام هادئة تماما. لقد اعتدت على أن أقول لنفسى لا يمكن تصديق ذلك لكن لم يكن هناك ما يمكن الأخذ به رغم ذلك.

أن السم لم يدخل فى بيرة كريل بمحض الصدفة. لقد وضعه أحدهم هناك، وإذا لم تكن مسز كريل هى التى فعلت ذلك فمن يكون؟

- هذا هو السؤال. من فعل ذلك؟

- إذن فهذا هو رأيك؟

- ما الذى تظنه أنت؟ لقد كنت فى المحكمة عند نظر القضية واستمعت إلى الشهود وهم يقدمون الأدلة

صمت الرجل لحظة قبل أن يجيب قائلا:

- لقد كنت هناك كل يوم وأنصت إلى كل ما قيل.

- ما الذى لفت انتباهك فيهم - أى شىء غير عادى، أى نبرة فيها عدم إخلاص؟

- هل تعتقد إذا كان أحدهم قد كذب؟ هل كان أحدهم يهمه أن يموت كريل؟ إن هذه أفكار غريبة يا مستر بوارو

قال بوارو يحثه على الكلام:

- فكر فى الأمر على الأقل.

- إن مس اليزا جريل كانت تملؤها المرارة والكراهية لقد تخطت كل الحدود فى كل ماقالته لكنها كانت تريد امياس كريل حيا وليس ميتا - كانت تريد أن ترى حبل المشنقة يلتف حول رقبة مسز كريل، لكن ذلك لأن الموت قد اختطف منها الرجل الذى أرادته لنفسها. كانت مثل النمرة المفترسة. لقد كان مستر فيليب متحيزا ضد مسز كريل أيضا، يهاجمها كلما واتته الفرصة لذلك. لكنه كان صادقا مع نفسه

ذلك لأنه كان أقرب أصدقاء كريل، أما شقيقه ميرديث فقد كان مترددا غامضا فى إجاباته، لكننى أعتقد أن كثيرا من الشهود يفعلون هذا، يبدون وكأنهم يكذبون فى حين أنهم يقولون الحقيقة. إنه لم يقل أكثر مما أراد أن يقوله، لكن الدفاع دفعه ليقول كل ما يمكنه قوله. ثم يأتى دور المربية التى واجهت الموقف بثبات، لم تقل شيئا ليس فى الموضوع، ولم يكن أحد ليستطيع أن يقول إلى جانب من وقفت. بدت وكأنها تعرف أكثر مما أرادت أن تنطق به ولن أدهش لذلك.

- وأنا أيضا لن أدهش لذلك.

وحدق فى وجه الفريد ادموندز المغضن الشاحب وهو يتركه متسائلا إذا كان هذا الرجل يعرف أكثر مما أراد أن يقول.



المحامى العجوز

كان مستر كالب جوناثان يعيش فى الريف فى مقاطعة اسكس. وبعد تبادل خطابات تفيض بالمجاملة تلقى بوارو دعوة لتناول العشاء وقضاء الليل لديه. كان للرجل شخصية متميزة بالمقارنة بشخصية جورج مايهيو الشاحبة.

كان لبوارو وسائله الخاصة فى الاقتراب من الموضوع، ولم يكن قبل انتصاف الليل عندما بدأت كئوس الخمر تطلق لسان مستر جوناثان فى الحديث. وقد أعجبه أسلوب هركيول بوارو فى عدم دفعه دفعا إلى تناول الموضوع. والآن وقد أصبح الوقت مناسبا له قال:

- إن مكتبنا قائم بأعمال أسرة كريل جيلا بعد جيل، وأنا أتذكر كريل وأباه ريتشارد ثم جده لبنوك.. كانوا جميعا من سادة الريف يفكرون فى الجياد أكثر مما يفكرون فى البشر، يجيدون ركوب الخيل يحبون النساء وليس لهم شأن فى ميادين الفكر والأدب. لكن زوجة ريتشارد كانت تهتم بالمبادىء والأفكار أكثر من أى شىء آخر، تحب

الشعر والموسيقى ولما كانت معجبة باماياس كنجلسى فقد أطلقت اسمه على ابنها. ولقد أفاد امياس من الناحيتين فقد تورث عن أمه حب الفن وعن أبيه الشخصية العنيفة والأنانية، كان رجال أسرة كريل يتصفون بهذه الصفة، فلم يكونوا ينظرون إلى أى شىء إلا من وجهة نظرهم هم.

حدق الرجل العجوز فى بوارو وهو يربت بأصابعه على المنضدة واستطرد: أرجوك أن تصحح لى معلوماتى يا مستر بوارو. إنك تهتم بتحليل الشخصيات، أليس ذلك صحيحا؟

- هذا بالنسبة لى هو أهم شىء فى القضايا التى أبحثها.

- أفهم منطقك فى هذا. تريد أن تغوص وراء جلد المجرم. إن هذا مثير للغاية لكننا لم نكن لنأخذ على عاتقنا الدفاع عن كارولين كريل لأن العرف لم يسمح بذلك. لكن مكتب مايهيو كانت له كفاءته وقد عهدوا إلى ديبليتش بالقضية - ولم يكن تصرفهم هذا أفضل الأشياء لأنهم لم يتوقعوا أن كارولين كريل متعاونه مع أسلوبه فى الدفاع. ذلك لأنها لم تكن لها المقدرة على التمثيل مثله.

- ما ذا كانت نوعية هذه المرأة؟ هذا هو ما أنا مهتم به.

- نعم، نعم بالطبع، كيف وصلت إلى أن تقدم على ما فعلته؟ هذا هو السؤال الهام فى الموضوع لقد عرفتها جيدا قبل أن تتزوج - كان اسمها كارولين سبولدنج، فتاة تعسة. ترملت والدتها فكرست كارولين حياتها لها. ثم تزوجت الأم مرة أخرى وأثمر الزواج الثانى طفلة أخرى. وهكذا بدأت الحساسيات والغيرة العاطفية المؤلمة.

- هل كانت غيورة؟

- جدا، ولقد وقع حادث مؤسف جعل الفتاة البائسة تلوم نفسها طوال سنوات عمرها بعد ذلك، لكنك تعرف يا مستر بوارو أن هذه الأمور يمكن أن تحدث ولا يمكن وضع الفرامل فى وضعها إلا مع بلوغ سن النضج.

- ماذا حدث؟

- لقد أصابت الفتاة الطفلة الصغيرة، ألقت فى وجهها بثقالة ورق أفقدت الطفلة القدرة على الرؤية بإحدى عينيها، وتشوه هذا الجانب من وجهها مدي العمر. ولك أن تتخيل أثر أى سؤال عن هذا الموضوع أثناء المحاكمة. لقد أعطى هذا الحادث انطباعا عن أن كارولين كانت امرأة ذات مزاج لا يمكن السيطرة عليه. لكن هذه لم تكن الحقيقة.

وهز المحامى رأسه مؤيدا ما قاله ثم استطرد:

- كانت كارولين كثيرا ما تأتى إلى ضيعة أولبرى لتبقى فيها بعض الوقت حيث كان ريتشارد كريل شغوفا بها. كانت ترعى مسز كريل برقة متزايدة فأحبتها المرأة. وبمرور الوقت أصبحت الفتاة أكثر سعادة فى أولبرى أكثر عنها فى منزلها، خاصة وقد اكتسبت صداقة ديانا كريل شقيقة امياس. وكان فيليب وميرديث بليك كثيرا ما يقضيان أياما فى الضيعة وذلك فى ضيعتهم المجاورة. كان فيليب صبيا شرسا محبا للنفور، لكنه كان صديقا مسليا ومازال كذلك. أما ميرديث فكان يحب تشريح الفراشات ومراقبة الطيور والحيوانات وهو ما يسمى الآن بدراسة الطبيعة. ولم يصبح أحد من هؤلاء الصبية كما أراد له أبوه،

فقد فضل فيليب المدينة على الريف [illegible]
ميرديث فقد ظل يراقب الطيور والحيوانات [illegible]
وتزوجت ديانا من ضابط فى الجيش، أما [illegible]
اتجه إلى الرسم مما لا [illegible]

توقف جوناثان برهة ليلتقط أنفاسه ثم [illegible]

– وفى الوقت المناسب تزوج أميليا من كريل [illegible]
وبعد أن كانا كثيرا ما يتشاجران جمعهما [illegible]
منهما يهيم بالآخر غراما. لكن كريل [illegible]
لأنفسهم لم يكن يهتم بمتعة [illegible] كثيرا [illegible]
فتأتى بعد ذلك – على الأقل [illegible] بعد حبه للفن، ولم [illegible]
يكن لامرأة فى حياته دور قبل الفن، وكان فيه بأس [illegible]
المرأة تلهب عواطفه، لكنه كان يتركهن فور أن يأخذ ما [illegible]
يكن عاطفيا جدا ولم يكن [illegible] تماما أيضا، وكانت [illegible]
اهتم بها هى زوجته، ولأنها كانت تعرف ذلك [illegible]
أدركت أنه رسام ممتاز [illegible] ذلك فيه. [illegible]
النسائية لكنه كان دائما يعود إليها – عادة [illegible]
انطلق معها. كان يمكن أن [illegible] الأمر هكذا [illegible]

– ماذا عن إليزا جرير؟

قال جوناثان شيئا لم يتوقعه بوارو مطلقا

– المسكينة إليزا، يا للطفلة المسكينة.

– إذن فهذه مشاعرك نحوها

- ربما كان شعورى هكذا لأننى رجل عجوز، لكننى يا مستر بوارو أشفق على الشباب اليائس، شباب يطلب ما لا يستطيع أخذه. كانت اليزا مثل جولييت التى طلبت الحب المستحيل.

- إذن فاليزا بالنسبة لك هى جولييت؟

- نعم، لقد كانت طفلة مدللة ثرية فى مقتبل الشباب، ذات جمال أخاذ ولقد وجدت من تهواه، لم يكن مجرد روميو شاب بل رسام موهوب فى منتصف العمر ومتزوج، ولم يكن لدى اليزا جرير معايير ثابتة توقفها عند حد معين، بل مقياسها كان (خذ ما تريد فإن الإنسان لا يعيش سوى مرة واحدة) كانت فتاة تعسة لعبت بكل ما لديها على ورقة حظ واحدة، وبدا لها أول الأمر أنها ربحت لكن فى اللحظة الأخيرة جاءها الموت ومن ثم فقد ماتت اليزا أيضا، ماتت وهى التى تنبض بالحيوية والحياة، لم يعد فيها سوى امرأة باردة قاسية تملؤها الكراهية تجاه المرأة التى أقدمت بيدها على قتل حبيبها. تغيرت نبرة صوت جوناثان وهو يقول:

- اغفر لى يا عزيزى فلتات العاطفة هذه، إن فى شخصية تلك المرأة الشابة الغضة ونظرتها الساذجة للحياة أشياء مثيرة للتأمل.

- لكن لو لم يكن امياس كريل رساما مشهورا لما....

- بالضبط، بالضبط، لقد وصلت للنقطة الهامة، إن مثيلات اليزا فى هذا العالم باحثات عن البطولة والأبطال، لابد للرجل عندئذ أن يكون شيئا، أما بالنسبة لكارولين كريل فقد كان يمكنها أن تحب كاتبا فى بنك أو وكيل شركة تأمين! إنها أحبت امياس كريل الرجل وليس

اميـاس كريل الرسام.

ذهب بوارو إلى فـراشـه وهو غـارق فى التـفكيـر. كـان يسحـره أمـر تحليل الشـخـصـيات فبـالنسـبـة لادموندز كاتب المحـامى لم تكن اليـزا جـريـر سـوى فتـاة لعـوب لا أكثـر ولا أقل، أمـا بالنسبة لجوناثان العـجـوز فكانت هـى بذاتها جولييت الخالدة.

وماذا عن كارولين كريل؟

إن كـلا من قابلهم ينظـر إليـهـا نظـرة مـخـتلفـة - فـمـونتـاجـود بليـتش يحتقرها كمثال - للهزيمة والاستسلام، أما فوج الشاب فقد كانت تمثل بالنسبة إليـه روح الغرام، أما ادموندز فكان يراها فقط كسيدة، وأخيرا كان العجوز جوناثان يرى فيها مخلوقا عاطفيا مهتزا.

ولكن كيف كان هو - هركيول بوارو، يراها؟

نجـاحـه فى مهـمـتـه أن يعـتـمـد على الإجـابة عـلى هذا السـؤال. ذلك لأنه حتى الآن كان يرى ممن التقى بهم أنها - امرأة قاتلة.



مفتش الشرطة

جذب المفتش هالى نفسا عميقا من غليونة وقال مفكرا:

- إنها لفكرة غريبة منك يا مستر بوارو.

- أعرف أنها غير عادية إلى حد ما.

- لقد حدث هذا منذ زمن بعيد، وها أنت تقلب الرماد مرة أخرى، ولكن ما الهدف من ذلك؟

- هناك هدف: فهناك متعة فى أن يصل المرء إلى الحقيقة من أجل الحقيقة، ثم إن هناك الفتاة.

- نعم. إننى أرى الأمور من وجهة نظرها، لكن كان يمكن يا مستر بوارو أن تخترع لها قصة.

- إنك لا تعرف الفتاة، ثم إنك أيضا لا تعرف أن لى معايير أخلاقية - قد أحبك كذبة متقنة فى وقت ما، لكن ليس هذا مجال الكذب على فتاة فى مثل موقفها.

- يا لها من فتاة مسكينة بريئة على وشك أن تتزوج فتكتشف أن أمها قاتلة. لو أننى كنت فى مكانك لذهبت إليها وقلت لها أنه كان

انتحارا. قل لها أن المحامى ديبليتش لم يؤد دوره كما يجب وأنك لا تشك لحظة فى أن كريل هو الذى أودى بحياته.

- لكن الشك يساورنى أنا فى أنه فعل ذلك. إننى لا أعتقد لحظة واحدة فى أن كريل قد انتحر، أليس لديك أى شك أنت أيضا؟

هز هالى رأسه نفيا فقال بوارو:

- كلا، الحقيقة هى ما أريد، وليس كذبة يحتمل أن تكون ويحتمل ألا تكون هى الحقيقة.

والتفت هالى إلى بوارو بعد ازدادا وجهه احمرارا وقال بانفعال:

- إنك تتحدث عن الحقيقة. إذن فدعنى أقل لك أننا وصلنا للحقيقة فى قضية مقتل كريل.

إن هذا التصريح من جانبك له أهمية خاصة، ولكن قل لى، ألم يساورك الشك لحظة واحدة فيما إذا كانت كارولين كريل بريئة أم لا؟

- ليس لدى شك على الاطلاق، إن الظروف كلها كانت تشير إليها مباشرة وكل حقيقة اكتشفناها كانت تؤدى إلى هذا الاتجاه.

- هل تستطيع أن تعطينى ملخصا للأدلة ضدها؟

- أستطيع ذلك فعندما وصلنى خطابك أطلعت على أوراق القضية، وكتبت الحقائق الهامة فى هذه الورقة.

واستعد هالى لحديث طويل وبدأ يقول فى نبرة واضحة قوية:

- فى الساعة الثانية وأربعين دقيقة من بعد ظهر الثامن عشر من سبتمبر اتصل الدكتور اندروفوسيت بالمفتش كونواى وقال له أن امياس

كريل قد مات فجأة، وأنه بناء على ظروف الموت وما قاله له المستر بليك وكان ضيفا فى منزل كريل فإنه يعتقد أن الشرطة يجب أن تتولى القضية. وعلى الفور انطلق المفتش كونواى بصحبة جراح الشرطة إلى ضيعة اولبرى، حيث أخذهم دكتور فوسيت إلى حيث كانت جثة مستر كريل لم يمسها أحد. كان مستر كريل يرسم فى حديقة صغيرة مغلقة تسمى حديقة المدفعية، ذلك لأنها كانت تطل على البحر وفى وسطها نموذج لمدفع صغير، وتبعد هذه الحديقة مسافة أربع دقائق عن المنزل. لم يكن مستر كريل قد ذهب للمنزل لتناول الغداء حيث أراد أن يستغل ضوء النهار فى رسم بعض أجزاء لوحته، ومن ثم فقد بقى فى حديقة المدفعية بمفرده ليرسم، وكان معتادا على ألا يهتم بمواعيد تناول الوجبات فى حينها. كان آخر من رآوه حيا هم اليزا جرير (وكانت مقيمة فى المنزل) ومستر بليك (وقد جاء من الضيعة المجاورة)، وانضم هذان إلى بقية من فى المنزل لتناول طعام الغداء. وبعد الغداء قدمت القهوة فى الشرفة. وما إن انتهت مسز كريل من تناول قهوتها حتى قالت أنها ستذهب كى ترى ما يفعل امياس كريل، وصحبتها سسليا وليامز المربية كى تأتى بمعطف كانت مس انجلا وارن أخت مسز كريل قد نسيت أين وضعته، وظنت المربية أنه ربما كان على الشاطىء.

بدأت الاثنتان سيرهما معا. والطريق ينحدر خلال بعض الأشجار حتى يصل إلى مدخل حديقة المدفعية، ويمتد بعد ذلك إلى أن يصل إلى الشاطىء.

استمرت مسز وليامز فى طريقها، بينما دخلت كارولين كريل إلى حديقة المدفعية، وعلى الفور سمعت مسز وليامز صرختها وهرعت

عامدة إليها. كان مستر كريل ممدا على مقعد وقد فارقته الروح.

وبناء على الحاح مسز كريل هرعت مسز وليامز إلى الطريق نحو المنزل لتتصل بالطبيب بالتليفون. لكنها التقت فى طريقها بمرديث بليك وعهدت إليه بمهمتها حتى تعود هى إلى مسز كريل التى ربما كانت فى حاجة إليها. وصل الدكتور فوسيت إلى مسرح الحادث بعد ذلك بربع ساعة، وأدرك على الفور أن مستر كريل قد مات منذ بعض الوقت، وحدد الوقت تقريبا فيما بين الساعة الواحدة والثانية من بعد الظهر. لم يكن هناك ما يوحى بسبب الوفاة، فلم يكن هناك أثر لجرح، وكان مسلك مسز كريل طبيعيا تماما. لكن دكتور فوسيت الذى كان على معرفة جيدة بحالة مستر كريل الصحية وأنه لم يكن هناك ثمة احتمال لمرض نظر إلى الأمر بجدية. وفى تلك اللحظة القى فيليب بليك على سمع دكتور فوسيت بروايته.

وتوقف المفتش هالى لحظة ليلتقط أنفاسه ثم استطرد:

- إن مستر فيليب بليك ردد هذه الأقوال أمام المفتش كونواى فيما بعد، وهى كلها تحمل المعنى التالى: أنه فى ذلك الصباح تلقى مكالمة تليفونية من شقيقه ميرديث (الذى يقطن فى الضيعة المجاورة على بعد ميل ونصف) مؤداها أن ميرديث وهو كيميائى هاو دخل معمله هذا الصباح ليجد أن زجاجة تحتوى على محلول الكونين - وكانت مليئة فى اليوم السابق - أصبحت تكاد تكون خاوية. أزعجه ذلك فاتصل بشقيقه يسأله النصح فيما يجب أن يصنع. ولقد حث فيليب بليك أخاه على الحضور إليه فى ضيعة أوليرى على الفور ليناقشا الأمر سويا. ولقد سار هو نصف الطريق ليلتقى بأخيه وعادا إلى المنزل معا. لم يصلا

وتركا المسألة لمزيد من النقاش بعد الغداء.

وبعد مزيد من البحث تأكد المفتش كونواى من الحقائق التالية: بعد [illegible] السابق اتجه خمسة أشخاص من ضيعة أولبرى إلى ضيعة [illegible] كرزبى وكان هؤلاء هم: مستر ومسز كريل، انجلا وارن، اليزا جرير. فيليب بليك، وخلال الوقت الذى قضوه هناك شرح لهم ميرديث بليك هوايته. وذهب بالمجموعة إلى معمله الصغير وتجولوا فيه، وخلال تلك الجولة شرح لهم أثر الكونين ضمن مجموعة أخرى من العقاقير وقال أنه مفيد تماما فى علاج بعض الأمراض، حتى أنه قرأ لهم ما جاء فى كتاب أحد الإغريقيين عن هذا العقار.

وقلب المفتش هالى ملفات القضية حتى أتى إلى الجزء الثالث واستطرد: وعندما وضعت القضية بين يدى وجاء فى تقرير الطبيب الشرعى ذهب كل شك. إن الكونين لا يترك آثارا فى الجثة بعد الوفاة لكن الأطباء كانوا يعرفون أين يبحثون. وتأكد الأطباء أنه أخذ قبل الوفاة بساعتين أو ثلاث. أمام مستر كريل - على المنضدة - كانت هناك زجاجة بيرة فارغة وكأس خاوية ولقد حلل ما فيها من بقايا. لم يكن هناك أثر للكونين فى الزجاجة لكن أثره كان فى الكأس. وعندما استجوبت الشهود علمت أنه رغم وجود صندوق من البيرة وبعض الكئوس فى دولاب صغير فى حديقة المدفعية يستطيع مستر كريل اللجوء إليها عند شعوره بالعطش - فإن مسز كريل أحضرت له من داخل المنزل زجاجة بيرة مثلجة حديثا. كان مستر كريل منهمكا فى الرسم عندما دخلت الحديقة، فى حين كانت اليزا جرير تأخذ وضع الموديل جالسة فوق أحد الأسوار الضخمة.

فتحت مسز كريل زجاجة البيرة وناولت زوجها الكأس فى يده وهو واقف أمام حامل اللوحة. ولقد تجرع الكأس مرة واحدة - وهذه هى عادته كما علمت - ثم أبدى امتعاضة من طعم البيرة قائلا (إن كل شىء مر المذاق بالنسبة لى اليوم) وضحكت اليزا جرير وقالت (إنه الكبر) فأجاب هو (على أية حال كانت البيرة مثلجة).

وهنا تدخل بوارو فى الرواية قائلا: ما توقيت حدوث ذلك؟

- حوال الساعة الحادية عشرة والربع. واستمر كريل فى رسمه. وطبقا لرواية اليزا جرير فإنه شكا بعد ذلك من تصلب أطرافه وقال أنه ربما أصيب بالروماتيزم. لكنه كان من طراز الرجال الذين يكرهون الاعتراف بالمرض من أى نوع، وحاول أن ينكر أنه يشعر بالمرض وبدلا من ذلك طلب أن يترك بمفرده وأن يذهب الآخرون لتناول طعام الغداء. ولم يكن هذا بشىء غير معتاد.

وهكذا ترك كريل بمفرده فى حديقة المدفعية. وليس من شك فى أنه تهاوى على المقعد واسترخى حالما أصبح وحده، ولابد أن شلل العضلات قد سيطر عليه ولما لم يكن هناك من يساعده فقد مات.

وأومأ بوارو برأسه فاستطرد هالى:

- ولقد أخذت الطريق التقليدى فى التحقيق، لم أجد صعوبة ما فى التوصل إلى الحقائق. ففى اليوم السابق كانت هناك مشاجرة بين مسز كريل واليزا جرير، فقد قالت الأخيرة أنها ستقوم ببعض التعديلات فى أثاث المنزل عندما أحضر لأعيش هنا (لكن كارولين كريل واجهتها قائلة (ما الذى تقصدينه بذلك؟) أجابت الأخرى (لا

تتظاهرى بأنك لا تعرفين ما أقصده يا كارولين، إنك كالنعامة التى تدفن رأسها فى الرمل. إنك تعرفين جيدا أن امياس وأنا يهيم أحدنا بالآخر وسوف نتزوج). قالت مسز كريل (إننى لا أعرف شيئا عن ذلك). فقالت الأخرى (إذن فقد عرفته منى الآن). ولابد أن كارولين كريل قد استدارت نحو زوجها الذى دخل الحجرة لتوه وسألته (هل حقيقى يا امياس - أنك ستتزوج اليزا؟).

سأل بوارو باهتمام: وماذا كانت إجابة امياس كريل على ذلك؟

- من الواضح أنه استدار إلى اليزا وصاح فيها (ما الذى تقصدينه بحق الشيطان من هذه الثرثرة؟ أليس لك عقل تلجمين به لسانك؟) فقالت اليزا جرير (أظن أن كارولين يجب أن تعرف الحقيقة). وقالت كارولين كريل لزوجها: (هل هذا حقيقى يا امياس؟) لكنه لم يستطع أن ينظرفى وجهها بل أدار وجهه للناحية الأخرى وغمغم بشىء. لكن كارولين رددتْ سؤالها قائلة (تكلم، لابد أن أعرف) وهنا اضطر أن يجيب (إنها الحقيقة ولكننى لا أريد أن أناقشها الآن). ثم انطلق من الحجرة فى حين قالت اليزا جرير شيئا عن أنه لن يجدى كارولين أن تأخذ موقفا معاديا من ذلك. فلابد لهم جميعا من أن يكونوا عقلاء، وأنها تود أن يستمر امياس وكارولين أصدقاء.

وهنا سأل بوارو بفضول: وماذا كان رد مسز كريل عن ذلك؟

- طبقا للشهود فإنها قالت (لن يكون ذلك سوى فوق جثتى يا اليزا). وابتعدت نحو الباب، فى حين صاحت اليزا جرير خلفها قائلة: (ما الذى تقصدينه بذلك؟) فأجابت مسز كريل قائلة (سأقتل امياس قبل أن أتخلى عنه لك). إنها أدلة حاسمة، اليس كذلك؟).

- نعم ولكن من الذى استمع إلى هذا الحديث؟

- كان هناك فيليب بليك ومس وليامز فى نفس الحجرة وقد كان هذا محرجا لهما جدا.

- هل تنطبق رواياتهما عما حدث؟

- تقريبا، إنك لن تجد شاهدين يتذكران بالضبط ما حدث، إنك تعرف هذا مثلى يا مستر بوارو؟

- صحيح، لكنه سيكون مثيرا لو أننا رأينا.... لكنه لم يكمل جملته فى حين استطرد هالى قائلا:

- ولقد أمرت بتفتيش المنزل، وفى حجرة مسز كريل وجدنا فى الدرج السفلى زجاجة صغيرة مخبأة تحت بعض الملابس الشتوية. كتب عليها (رائحة الياسمين). كانت الزجاجة خاوية وعندما رفعنا ما عليها من بصمات وجدناها بصمات أصابع مسز كريل. وبتحليلها وجدت آثار زيت الياسمين، ومعه محلول هيدروبرميد الكونين. ولقد حذرت مسز كريل وأريتها الزجاجة، فقالت على الفورأنها كانت تشعر بتعاسة شديدة، وبعد أن سمعت وصف ميرديث بليك عن السم تسللت عائدة إلى المعمل وأفرغت زجاجة رائحة ياسمين كانت فى حقيبتها من محتوياتها، وملأتها بمحلول الكونين وعندما سألتها عن الدافع إلى ما فعلته قالت: (إننى لا أريد أن أتحدث فى بعض الأمور بأكثر مما يجب، لكننى كنت قد تلقيت صدمة شديدة - كان زوجى ينوى أن يهجرنى إلى امرأة أخرى. وكنت أفضل الموت عن أن يحدث هذا ولهذا أخذت الزجاجة).

- لكنه قبل كل شىء يحتمل أنها...

- ربما يا مستر بوارو ولكن ذلك لا يستقيم مع ما قالته أمام الآخرين. ثم أنه كان هناك مشهد آخر فى صباح اليوم التالى وقد سمع فيليب بليك جزءا منه وسمعت اليزا جرير الجزء الآخر ولقد حدث المشهد فى حجرة المكتبة بين مستر كريل وزوجته. وكان فيليب بليك فى البهو وسمع لقطات منه، فى حين كانت اليزا جرير فى الشرفة التى تطل عليها حجرة المكتبة وسمعت ما هو أكثر من ذلك.

- وما الذى سمعه كلا منهما؟

- مستر بليك سمع كارولين تقول (أنت ونساؤك، سوف أقتلك، سوف أقتلك يوما ما).

- ولا ذكر للانتحار؟.

- بالضبط، لا ذكر للانتحار على الاطلاق. لا شىء مثل (إذا أقدمت على هذا العمل سوف أقتل نفسى). وكانت شهادة اليزا جرير تتطابق مع هذا. فطبقا لروايتها قال مستر كريل (حاولى أن تكونى عاقلة يا كارولين، إننى مغرم بك وسأتمنى لك الخير على الدوام - أنت والطفلة. لكننى سأتزوج اليزا، إننا كنا قد اتفقنا أن يترك كلا منا للآخر حريته). وكانت إجابة كارولين على ذلك هى: (حسنا جدا، لا تقل أننى لم أحذرك) فسألها: (ما الذى تقصدينه؟) فأجابت: (أقصد أننى أحبك ولن أسمح بأن أفقدك. ومن الأفضل لى أن أقتلك بدلا من أن أتركك تذهب إلى تلك الفتاة).

- يخطر لى القول أنه ليس من الحكمة بالنسبة لاليزا جرير أن تثير هذه المسألة فإن مسز كريل كان سهلا عليها أن ترفض إعطاء

زوجها الطلاق.

- هناك ما يشير إلى هذه النقطة، فإن مسز كريل كانت قد أسرت لمستر ميرديث بليك وهو الصديق العجوز الموثوق فيه والذى تألم لما حدث وتحدث إلى كريل عنه. لقد كا ذلك كما أعتقد بعد ظهر اليوم السابق. لقد وبخ مستر بليك صديقه برقة، وعبر له عن أسفه العميق إذا تهدم الزواج بينه وبين زوجته. وأكد على نقطة أن اليزا جرير كانت فتاة صغيرة، وأنه من الخطر أن يقحمها معه فى محكمة الطلاق. وعلى هذا أجاب مستر كريل وهو يضحك (لكن هذه ليست فكرة اليزا على الاطلاق، فهى لن تظهر فى المحكمة بل أننا سننهى الأمر بالأسلوب المعتاد).

- إذن فقد كان سوء تقدير شديد من اليزا جرير أن تفضح المسألة بهذا الشكل.

- إنك تعرف أسلوب النساء ينشبن أظافرهن كل فى عنق الأخرى. لابد أنه كان موقفا صعبا على أية حال، ولا أستطيع أن أفهم كيف يسمح كريل لذلك بأن يحدث. وطبقا لرواية ميرديث بليك فقد كان كل همه هو أن ينتهى من اللوحة. هل لهذا معنى خاص بالنسبة لك؟

- نعم يا صديقى أعتقد ذلك.

- أما لى فليس له معنى، سوى أن الرجل كان يبحث عن المتاعب.

- ربما كان مستاء حقيقة لأن فتاته الصغيرة قد فضحت الموقف بما قالته.

- نعم لقد كان مستاء جدا طبقا لرواية ميرديث بليك. لكن لو أنه

كان يريد تكملة اللوحة فلما لم يأخذ لاليزا صورة فوتوغرافية يعمل منها - أعرف رسامين يفعلون هذا.

- كلا، إننى أفهم كريل الرسام. ربما تدرك يا صديقى أن اللوحة كانت عندئذ كل ما يهتم به كريل، ومهما كانت رغبته فى الزواج من الفتاة فقد كانت اللوحة عنده فى المرتبة الأولى. ولذلك كان مهتما بأن تستمر فى بقائها دون أن تتفضح المسألة. لكن الفتاة لم تكن تنظر إلى الأمر من هذه الزاوية. فإنه مع النساء فإن الحب والعواطف لها المرتبة الأولى. أما الرجال - خاصة الفنانين منهم فهم مختلفون.

قال المفتش هالى باحتقار:

- الفن - كل هذا الحديث عن الفن، إننى لا أفهم منه شيئا ولن أفعل، عليك أن ترى اللوحة التى رسمها كريل. لقد بدت الفتاة فيها وكأن ضرسها يؤلمها، إنها شيء كريه لم أستطع أن انتزعه من خيالى بعد ذلك بوقت طويل. بل إننى حلمت بها، بالإضافة إلى أنها غيرت نظرتى للأشياء فبدأت أرى الخنادق والحوائط وكأنها تخرج من لوحة رسم - بل النساء أيضا.

ابتسم بوارو قائلا: رغم إنك لا تعرف ذلك فإنك تمتدح عبقرية امياس كريل بأكثر مما كان يتوقعه.

- هراء. لماذا لا يستطيع الرسام أن ينقل عن الطبيعة شيئا لطيفا يشيع البهجة - لماذ يذهبون سعيا وراء البشاعة والقبح؟

- إن بعضنا يا عزيزى يبحث عن الجمال فى أشياء قبيحة.

- لقد كانت الفتاة جميلة حقا. تضع مساحيق كثيرة ولا تضع ثيابا تذكر.

- إنك تتذكر كثيرا من التفاصيل، إذا فقد كان الشاهدان الرئيسيان ضد مسز كريل هما فيليب بليك واليزا جرير؟

- نعم ولقد كان كلاهما قاسيا متحمسا ضدها، لكن كلام المربية - وقد استدعيت إلى المحكمة أيضا - كان له ثقل أكثر من الاثنين. كانت فى صف مسز كريل كلية، كانت سيدة صادقة وأدلت بشهادتها بأمانة دون محاولة منها للتقليل من شأن ما قالته.

- وماذا عن ميرديث بليك؟

- كان حزينا للأمر برمته. ولقد أنب نفسه كثيرا لشرحه المستفيض عن العقاقير، ووبخه وكيل النيابة على ذلك أيضا لأن الكونين مع بقية السموم تنطبق عليها قيود القانون. لقد كان صديقا لكلا الطرفين وكان متأثرا جدا، ثم أنه كان - بحكم قضائه حياته كلها فى الريف - رجلا ساخطا من عدم تسليط أضواء المجتمع عليه.

- ألم تأت أخت مسز كريل الصغرى للشهادة؟

- كلا، لم يكن ذلك ضروريا فإنها لم تكن موجودة عندما هددت مسز كريل زوجها، ولم يكن هناك ما يمكنها أن تقوله لنا مما لم نكن لنعرفه من الآخرين. لقد شاهدت مسز كريل تذهب إلى الثلاجة وتأخذ البيرة المثلجة، ولقد كان يمكن للدفاع أن يستشهد بقولها إن مسز كريل لم تفعل شيئا بالزجاجة وهى فى طريقها إلى زوجها، لكن هذه النقطة لم تكن لها أهميتها فإن أحدا لم يدع أن الكونين كان فى زجاجة البيرة.

- كيف إذن تمكنت من وضع الكونين فى الكأس وكل من امياس

واليزا جرير ينظران إليها؟

- حسنا، أولا وقبل كل شىء لم يكن أى منهما ينظر إليها. فمستر كريل كان يرسم ناظرا إلى اللوحة وإلى الموديل. أما اليزا جرير- فكانت كموديل تجلس معطية ظهرها لمسز كريل ونظراتها موجهة لما فوق كتفى مستر كريل. إذن فلم يكن أى من الاثنين ينظر فى اتجاهها. كان السم معها فى أنبوبة من تلك التى تملأ بها أقلام الحبر، وقد وجدناها محطمة فوق الطريق المؤدى للمنزل.

- إن لديك إجابة على كل سؤال.

- كل شىء واضح يا مستر بوارو. لقد هددت كارولين زوجها، وأخذت السم من المعمل، والزجاجة الفارغة وجدت فى غرفتها لم يلمسها أحد سواها. وهى التى أخذت عن قصد البيرة المثلجة إليه - وهو شىء غريب الحدوث عندما يكون الاثنان متخاصمين.

- شىء غريب جدا حقا. لقد لاحظت ذلك بالفعل.

- نعم، لقد لانت قليلا. لماذا أصبحت لطيفة هكذا فجأة؟ وهو يشكو من طعم البيرة والكونين له مذاق سيىء جدا. وهى التى رتبت لاكتشاف الجثة، وأرسلت المربية عائدة إلى التليفون. لماذا؟ حتى تستطيع أن تمسح ما على الزجاجة والكأس من آثار أصابعها، وتضغط أصابعه هو بدلا منها، وبعد ذلك تستطيع أن تقول أنه انتحر. قصة محتملة.

- إنها لم تكن مخططة فى الخيال بأحكام حتى تنال البراءة.

- كلا لأنها لم تفكر فى الأمر كثيرا. لقد أكلتها الكراهية والغيرة. كل ما فكرت فيه هو التخلص من زوجها. لكنها عندما أتمت فعلتها،

عندما رأته هناك ميتا وأدركت فداحة جرمها، وأنها ستشنق بسبب قتلها له اضطرت لكى تنقذ حياتها أن تدعى أنه انتحر.

- إن ما تقوله معقول جدا، لابد أن تفكيرها أملى عليها ذلك.

- من ناحية ما فإنها جريمة مدبرة مقصودة، ومن ناحية أخرى فهى ليست كذلك. لا أعتقد حقيقة أنها فكرت فى الجريمة بامعان، بل انطلقت تنفذها بطريقة عمياء. هل اقتنعت يا مستر بوارو؟

- تقريبا وليس كلية، فهناك نقطة أو اثنتان..

- هل لديك نظرية أخرى يمكن أن تكون أكثر معقولية؟

- ماذا كانت تحركات الأشخاص الآخرين فى صباح ذلك اليوم؟

- لقد فحصنا ذلك كله كما أستطيع أن أؤكد لك. لم يحاول أحد منهم أن يثبت تواجده بعيدا عن الجريمة، لا يمكن لأحد ذلك. فليس هناك ما يمنع شخصا يزمع ارتكاب جريمة قتل من أن يعطى شخصا آخر قرصا زاعما أنه لتسهيل عملية الهضم، وأن عليه أن يبتلعه قبل تناول الغداء، ثم يرحل إلى مكان آخر على بعد آلاف الأميال.

- لكنك ما تظن أن هذا هو ما حدث فى هذه القضية؟

- إن مستر كريل لم يكن يعانى من سوء الهضم، ولا أستطيع أن أرى هذا يحدث فى هذه القضية. حقيقى أن مستر ميرديث بليك كان يمدح فائدة العقار فى شفاء بعض الأمراض، لكن ليس هناك ما يوحى بأن كريل قد حاول ذلك. ولو أنه فعل لذكر ذلك ولو على سبيل الدعاية. ولكن لماذا يريد ميرديث بليك أن يودى بحياة كريل؟ كل شىء يوحى بأنهما كانا على وفاق تام. والجميع كانوا كذلك حقا. ففيليب

بليك كان أحب أصدقائه إليه، واليزا جرير كانت واقعة فى غرامه. ورغم أن مس وليامز المربية كانت تعترض على أفعاله لكن اعتراضاتها الأخلاقية لا يمكن أن تؤدى بها إلى أن تسممه. أما مس وارن، أخت كارولين فرغم أنها كانت تعاكسه كثيرا إلا أنه كان مغرما بها إلى أقصى حد، وكانت هى أيضا مغرمة به. لقد كانت تتلقى معاملة رقيقة خاصة من كل من فى المنزل، ولابد أنك سمعت أنها قد أصيبت بجرح بالغ فى صغرها أثناء فورة غضب جامح من أختها كارولين. وهذا يوضح أنها إنسانة من النوع الأهوج الذى لا يسيطر على عواطفه، أليس كذلك؟ وذلك بدليل ضربها لأختها وتشويهها إلى الأبد.

- إن هذا يوضح أن انجلا وارن كان لديها سبب قوى لكراهية أختها كارولين كريل.

- ربما ولكن ليس ضد امياس كريل. وعلى أية حال فكارولين كانت تحب أختها حب عبادة وتكرس حياتها لها بعد أن آوتها فى بيتها بعد موت والديها. وكانت تعاملها بالعطف والحنان بإسراف لدرجة أفسدتها. ولقد كان واضحا أن الفتاة مغرمة بكارولين، ولقد أبعدوها عن المحاكمة بناء على اصرار مسز كريل نفسها. لكن الفتاة لما عرفت ضايقها هذا جدا، وكانت ترغب بأى طريقة فى أن تذهب لرؤية أختها فى السجن. لكن كارولين لم توافق على ذلك مطلقا. قالت إن مثل هذه الزيارة ستفسد عقلية الطفلة مدى الحياة. ولقد رتبت لها أن تذهب إلى مدرسة داخلية فى الخارج.

وتوقف لحظة قبل أن يردف قائلا:

- لقد أصبحت مس وارن الآن امرأة لها شهرتها، تسافر

للاستكشافات وتحاضر فى الكلية الملكية الجغرافية... إلخ.

- ولا أحد يتذكر محاكمة أختها؟

- إن أسماءهما مختلفة فقد كانت لهما أم واحدة، ولكن الأبوين مختلفان فقد كان والد كارولين يدعى سبولدنج.

- من الذى كانت تعتنى به المربية وليامز، الطفلة أم انجلا وارن؟

- انجلا وارن. لقد كانت هناك ممرضة خاصة للطفلة، لكنها أيضا كانت تتلقى دروسا خفيفة على يد مس وليامز كل يوم كما أعتقد.

- أين كانت الطفلة فى ذلك الوقت؟

- كانت مع المربية فى زيارة لجدتها، وهى الليدى ترسليان التى مات زوجها وفقدت ابنتيها الصغيرتين فاغرمت بهذه الطفلة. أما عن تحركات بقية الأشخاص فى يوم الجريمة فكانت كالتالى:

بعد الافطار جلست اليزا جرير فى الشرفة بالقرب من نافذة حجرة المكتبة، ومن مكانها استطاعت أن تسمع المشاجرة بين كريل وزوجته. وبعد ذلك اصطحبها كريل إلى حديقة المدفعية. وجلست كموديل له وقت الغداء، وقد توقف الرسم مرة أو اثنتين حتى تريح عضلاتها.

أما فيليب بليك فكان فى المنزل بعد الافطار، وسمع جزءا من المشاجرة أيضا، وبعد ذهاب اليزا جرير مع كريل أخذ يقرأ بالصحيفة حتى اتصل به شقيقه تليفونيا، ومن ثم فقد هبط إلى الشاطىء ليلقاه. وقد صعدا الطريق سويا إلى المنزل، مارين مرة أخرى بحديقة المدفعية. كانت مس اليزا جرير قد ذهبت لتوها إلى المنزل لتأتى بمعطفها، إذ أنها كانت تشعر بالبرد، فى حين كانت كارولين كريل مع

زوجها يتناقشان فى مسألة رحيل انجلا إلى المدرسة.

- هل كان حديثا وديا؟

- حسنا، كلا، لم يكن كذلك. فلقد كان كريل يصيح فيها لأنها كانت تضجره بهذه الأمور المنزلية. اعتقد أنها كانت تريد أن تستقر كل الأمور إذا كان هناك انفعال سيتم. تبادل الأخوان بليك بضع كلمات مع امياس كريل، ثم ظهرت اليزا عائدة، وأخذت موضعها، والتقط كريل فرشاته مرة أخرى، بما أوحى إليها أنه يريد التخلص منها، مهتما بما أراده، وابتعدا فى اتجاه المنزل. - وعلى فكرة - أثناء حديثهما معه شكا كريل من أن البيرة الموجودة بالقرب منه ساخنة، وأن زوجته وعدته بأن ترسل إليه بيرة مثلجة. آه....

- بالضبط، آه.... لقد كانت زوجته طيبة لطيفة عندئذ .ولقد وصلا إلى المنزل ليجلسا فى الشرفة الأمامية، فأحضرت لهما مسز كريل وانجلا وارن البيرة. وفيما بعد ذهبت انجلا للسباحة مصطحبة بليك معها. أما ميرديث بليك فقد ذهب إلى بقعة مفتوحة تطل مباشرة على حديقة المدفعية. كان يستطيع أن يرى من مكانه اليزا جرير متخذه وضعها فوق ذلك السرير الضخم، واستطاع أن يسمع صوتها وصوت كريل يتحدثان. وجلس هناك يفكر فى مسألة الكونين. كان لا يزال قلقا لا يعرف ماذا يفعل. لمحته اليزا ولوحت له بيدها. وعندما سمعوا الجرس معلنا طعام الغداء هبط ميرديث إلى حديقة المدفعية، واصطحب اليزا جرير عائدين إلى المنزل سويا. عندئذ فقط - كروايته - لاحظ أن شكل كريل كان غريبا، لكنه لم يعلق على الأمر بشىء عندئذ. فإن كريل لم يكن من ذلك النوع الذى يقع فريسة المرض

مطلقـا، ولذلك لم يخطر فى باله شىء بالمرة. ذلك بالاضـافـة على أنه معتـاد على أن تعتـرى صديقـه نوبات من الغضب والضيق والضـجـر، وذلك حسـبمـا يروق له رسمـه أم لا. وفى مثل هـذه الحالات كـان من الأفضل أن يترك المرء وشأنه. وهذا ما فعله الاثنان فى تلك اللحظة.

أمـا بالنسبـة للآخرين فـالخدم كانوا مشـغولين بالأعمـال المنزليـة وطهى طعـام الغـداء. ومس وليـامز كـانت فى حـجـرة الدراسـة تصـحح بعض الكراسـات، وبعد ذلك أخـذت ترقب بعض الأشـيـاء من الشـرفـة. أمـا انجلا وارن فـقـد قضت مـعظم اليـوم مـتـجـولة فـى المنزل، تتسلق الأشـجـار وتأكل شـيئـا هنا وهنـاك... وهو مـا تفعله فتـاة فى الخامسـة عشرة من عمرها. وبعد ذلك عادت إلى المنزل واصطحبت فيليب بليك - كمـا قلت من قـبل - للسبـاحـة قبل الغـداء.... والآن يا عـزيزى بوارو هل وجدت شيئا ليس فى مكانه، شىء مفتعل؟

- لا شىء على الإطلاق، ورغم ذلك فسوف استمر فى المحاولة...

- ما الذى سوف تفعله؟

- سـوف أقـوم بزيارة هـؤلاء الأشـخـاص الخـمسـة، ومن كل منهم سوف أحصل على وجهة نظره فى الأحداث - على روايته لما حدث.

- يا عـزيزى بوارو. لن تفهم رواياتهم مطلقـا. ألا تستطيع أن تدرك هذه الحقيـقـة البديهيـة البسيطة؟ ليس هناك من شـخصين يتـذكـران نفس الشىء بتـرتيب حدوثه مطلقـا. وبعد كل هذه السنين. إنك سوف تسمع خمس قصص مختلفة لخمس قضايا قتل.

- هذا هو ما أعول عليه. سوف يكون الأمر ممتعا ومفيد جدا.

الخنزير الصغير الذى ذهب للسوق

كـــان فـــيليب بليك يتطابق مع الأوصاف التى وصفها به مونتاجو بليتش. رجل غنى ناجح مـرح يميل قليلا إلى السمنة.

كان هركيول بوارو قد أعطاه موعدا فى الساعة السادسة والنصف من بعد ظهر يوم السبت. ولما كان مزاجه معتدلا فقد استمع لما قاله بوارو جيدا. شرح له بوارو مهمته التى فهم منها فيليب بليك أنه يجمع مادة لكتابه عن الجرائم الغامضة، وعندما سئل بوارو لماذا يفعل ذلك أجابه قائلا:

- إنه الجمهور يا سيدى، إنه الجمهور الذى يلتهم هذه الكتب التهاما. إنها الطبيعة البشرية، إننى وأنت يا مستر بليك نعرف الطبيعة البشرية على حقيقتها بلا خيال، ولكن ليس هذا هو الحال من الآخرين.

- لم تعد لى خيالات الآن - لقد هجرتها كلها.

- لكن ذلك لا يمنع أنك تروى قصصا ممتازة كما سمعت.

لمعت عينا فيليب بليك واسترخى فى مقعده بما أوحى لبوارو

بمنظر خنزير راض عن حياته وقال لنفسه: (ها هو الخنزير الذى ذهب إلى السوق. بدأ فيليب بليك رجلا ناحجا بلا هموم راضيا، بنجاحه، ليس له ما يثقل ضميره فى الماضى أو الحاضر. خنزير ذهب إلى السوق. لكن لابد أن فيليب بليك كان وسيما يوما ما ومتين البنية، ولكن ما عمره الآن؟ لابد أنه بين الخمسين والستين؟ لقد كان فى نحو الأربعين عندما وقع حادث مقتل كريل. قال بوارو:

- إذن فأنت تفهم موقفى؟

قال السمسار الناجح وهو ينتصب فى جلسته ويحدج فى محدثه:

- كلا، اذهب للجحيم إن كنت أفعل. لماذا أنت؟ هل أنت كاتب؟

- كلا، مخبر سرى.

- نعم، كلنا يعرف هركيول بوارو الشهير.

لكن ما فى الجملة من سخرية كان أكثر مما فيها مِن تقدير، وقد ضايق هذا بوارو فقال: يغرينى أننى معروف لديك. إن نجاحى مصدره اعتمادى على علم النفس وأساسه السؤال الخالد - لماذا؟ يسلك البشر هكذا. إن هذا هو المثير فى عالم الجريمة اليوم يا مستر بليك. لقد اعتادت الجرائم أن تقترن بالقصص الغرامية لكن الجريمة الآن مختلفة تماما. إن الناس يقرأون باهتمام اليوم أن دكتور كريبن قد قتل زوجته، لأنها كانت امرأة قوية ذات شكيمة، أما هو فكان إنسانا قليل الأهمية، وبذلك شعر بعقدة نقص تجاهها. وسمع الناس عن جريمة ارتكبتها امرأة لأن والدها وبخها وهى فى الثامنة من عمرها. إن مسألة لماذا؟ فى الجريمة هى ما يهم الناس اليوم.

- إن السبب فى معظم الجرائم هو المال.

- إن السبب يا عزيزى لا يمكن أن يكون واضحا. هذه هى النقطة.

- وهنا يجىء دورك؟

- بالضبط. إنهم يريدون إعادة كتابة بعض الجرائم من الناحية النفسية - علم النفس والجريمة، وقد قبلت تكليفى بهذه المهمة.

- ولكن ما دورى أنا؟

- قضية مقتل امياس يا سيدى العزيز.

بدت الدهشة على وجه فيليب بليك وقال متأملا:

- أوه نعم، بالطبع قضية كريل.

- ألا تثير فيك الضيق يا مستر بليك؟

- لن يفيد الشعور بالضيق من شىء لا يمكنك التحكم فيه. إن محاكمة كارولين كريل ملك للناس، وفى إمكان أى شخص أن يكتب عنها ما يريد، ولا فائدة من الاعتراض على ذلك. إننى أكره الحديث عنها طبعا لأن امياس كريل كان أعز أصدقائى، ويؤسفنى ان يحرك أحدهم الرماد مرة أخرى، ولكن مثل هذه الأشياء تحدث والاعتراض عليها كضرب الرأس فى الحائط، وربما كان تناولك لها أفضل من تناول الآخرين.

- أرجو أن أكتب عنها دون خدش لأحد.

- يضحكنى أن أسمعك تقول ذلك.

- أؤكد لك يا مستر بليك أننى مهتم بالموضوع حقا. إن الأمر ليس

مجرد مسألة نقود بالنسبة لى، إننى فى الحق أريد خلق الماضى مرة أخرى. أن أرى وأسمع الأحداث التى وقعت وأن أتخيل أفكار ومشاعر الممثلين فى هذه الدراما.

- إننى لا أرى فى المسألة شيئا غامضا، فكل ما هنالك هو غيرة امرأة.

- سيسعدنى يا مستر بليك أن أسمع منك مشاعرك تجاه الحادث.

- مشاعرى. إننى لم أقف ساكنا لأشعر. إنك لا تبدو وكأنك تفهم كيف كان امياس كريل صديقى، ولقد مات هذا الصديق - قتل ووضع له السم ولو أننى تصرفت بسرعة لكنت أنقذته من الموت.

- وكيف ذلك يا مستر بليك؟

- إنك طبعا قرأت وقائع القضية، حسنا، فى ذلك الصباح حدثنى شقيقى ميرديث فى التليفون وهو فى قمة القلق والضيق لأن الكونين قد اختفى من الزجاجة. فماذا فعلت؟ قلت له أن يأتى لنناقش الأمر سويا ونقرر ما يجب فعله. إنه ليؤرقنى اليوم أننى كنت إنسانا مترددا هكذا. كان لابد لى أن أدرك أنه ليس هناك وقت أضيعه. كان من واجبى أن أذهب إلى امياس وأحذره. كان يجب أن أقول له أن (كارولين قد سرقت أحد سموم ميرديث وعليك انت واليزا جرير أن تأخذا حذركما).

ونهض فيليب بليك واقفا فى عصبية وانفعال واستطرد:

- بالله يا رجل ألا تدرك أننى قلبت الأمور فى عقلى آلاف المرات. لقد كانت لدى الفرصة لأنقذه لكننى أضعتها بأن انتظرت ميرديث. لماذا لم أدرك أن كارولين لم يكن لديها مثل هذا التردد. لقد أخذت السم لتستخدمه، وأنها ستستخدمه فى أول فرصة تتاح لها، وأنها لم

تكن لتنتظر حتى يكتشف ميرديث ما سرق من زجاجته.

- كنت أعرف أن امياس كريل كان فى خطر داهم، لكننى لم أفعل شيئا.

- أعتقد أنك تؤنب نفسك بلا سبب - لم يكن لديك وقت لكى - .

- وقت؟ لقد كان لدى وقت طويل. كان أمامى أن أختار طرقا عديدة. كان أمامى أن أذهب إلى كريل وأقول له. لكنه كان من الممكن ألا يصدقنى بسهولة فهو ليس من ذلك النوع من الرجال، ولأنه لا يمكن أن يصدق أن كارولين يمكنها أن تفعل ذلك. لكن كان يمكننى أن أذهب إلى كارولين بنفسها وأقول (إننى أعرف ما تزعمين عمله وأعرف ما تخططين له. ولكن إذا مات امياس بفعل الكونين فسوف تشنقين جزاء لذلك). إن ذلك كان يمكن أن يوقفها. أو كان يمكننى أن اتصل بالشرطة - لكننى بدلا من ذلك كله تركت نفسى فريسة لبطء وحرص ميرديث. قال لى (لابد أن نكون واثقين من الشخص الذى أخذه). يا له من عجوز أحمق - إنه لم يتخذ قرارا واحدا بسرعة فى حياته. من حسن حظه أنه كان الابن الأكبر، ومن ثم ورث الضيعة لكى يعيش عليها، فلو أنه حاول ليكسب مالا لفقد كل ما لديه.

- ألا يساورك الشك أنت نفسك فيمن أخذ السم؟

- كلا بالطبع. عرفت على الفور أنها كارولين، ذلك لأننى كنت أعرف كارولين جيدا.

- هذا مثير يا مستر بليك، إننى اريد أن أعرف أى نوع من النساء كانت كارولين كريل؟

- إنها لم تكن البريئة الساذجة التى ظنها الناس وقت المحاكمة.

- من كانت إذن؟

جلس بليك مرة أخرى فى مقعده وظهرت عليه الجدية وهو يقول:

- كانت ماكرة بكل ما تحمل الكلمة من معنى. تذكر أنها كانت جميلة، الجمال والأسلوب الذى يخدع الناس. كانت لها نظرة مستعطفة يائسة تلح على مشاعر الناس وشهامتهم. ولابد أن هذه الصفات نفسها كانت لمارى ملكة اسكتلندا. دائما رقيقة سيئة الحظ، لكنها بالفعل امرأة ذكية مدبرة ماكرة تخطط للقتل فى برود.

لا أعرف إذا كان قد قيل لك هذا أم لا - إنها نقطة ليست لها أهمية فى القضية - ماذا فعلته كارولين لأختها وهى طفلة؟ عندما تزوجت أمها مرة أخرى، ووجدت أن العطف والحنان يتجهان نحو الصغيرة انجلا، لم تستطع كارولين أن تتحمل ذلك. فحاولت أن تقتل الطفلة بأن ألقت على رأسها قضيبا من الحديد ومن حسن الحظ أن الضربة لم تكن مميتة لكنها كانت شيئا فظيعا بالطبع.

- نعم بالتأكيد.

- حسنا هذه هى كارولين الحقيقية. كانت تريد أن تكون الأولى على الدوام، ولم تكن تحتمل أن تكون غير ذلك. والطبيعة الشيطانية الباردة الأنانية فى داخلها هى التى أدت بها إلى القتل. بدت للناس سريعة الانفعال، لكنها كانت ماكرة خبيثة، وعندما كانت تأتى إلى ضيعة أولبرى وهى صغيرة كانت تنفذ خططها علينا جميعا. لم يكن لديها مال يخصها، لكنها أخذت تقلب فينا اختيارها: فكرت فى ميرديث أول الأمر، ثم تحولت إلى امياس لأنه كان سيرث أولبرى، ورغم أنها أدركت

أن ذلك لم يكن مالا كثيرا فإنها كانت تعرف أن له موهبة قد تأتى بالكثير، وقد قامرت على عبقريته، وكيف ستأتى بمال وفير.

ولقد فازت، فلقد أتت الشهرة لامياس مبكرا. تحقق الناس من موهبته واشتروا لوحاته. هل رأيت إحداها؟ لدى واحدة فتعال لنراها.

قاد الطريق إلى حجرة الطعام وأشار إلى الحائط وقال:

- هاك هى، إحدى لوحات امياس كريل.

نظر بوارو فى صمت، وأدهشه أن يستطيع رجل أن يضفى على موضوع جامد سحره الخاص. صحبة من الورد على منضدة خشبية. لكنها كانت ورودا حية على منضدة تكاد تتحرك. كانت لوحة مثيرة. إن مثل هذه المنضدة والزهور كانت ستثير حفيظة المفتش هالى. فلم تكن زهورا عادية أو منضدة تقليدية. قال فيليب بليك وهما يعودان إلى مجلسيهما:

- هذا هو الرجل، ورغم أننى لا أفهم فى الفن لكنها شىء ممتاز، وهو نفس الرجل الذى رسم (امرأة الكوكتيل) وغيرها، هذا هو الرجل الذى حرم من الحياة وهو فى ريعان الشباب، ذلك بسبب امرأة غيورة حاقدة.

والتقط أنفاسه ثم قال بصوت أقل انفعال:

- سوف تقول أننى متحيز ضد كارولين. لكننى كنت أشعر بما لها من سحر، ومن هى المرأة خلف ذلك - امرأة شريرة يا مستر بوارو، حاقدة قاسية.

- لكنه قيل لى أيضا أن مسز كريل تحملت كثيرا فى حياتها الزوجية؟

- نعم، لكن لم تجعل من ذلك شيئا معروفا للجميع، إنها الضحية

على الدوام، لكن امياس البائس الذى تحمل حياته الزوجية كجحيم مستمر هو الملوم. لقد كان له فنه على الدوام. كان فنه هو المهرب الذى يلجأ إليه. كان عندما يرسم لا يكترث بكارولين أو مضايقاتها ومشاجراتها. لم تكن تتوقف عن الشجار مطلقا، هذا الأسبوع بسبب شيء والأسبوع التالى بسبب شيء آخر. كانت لا تتوقف عن الشجار وكأنه يحفزها ويثيرها وينفس عنها، فتقول فيه كل ما يعن لها. لكن ذلك كان يخنقه لأنه كان يريد الهدوء. إن رجلا مثله لم يكن له أن يتزوج مطلقا. كان له أن ينشأ علاقات نسائية لكن بلا زواج.

- هل كان يسر إليك بأسراره؟

- حسنا، كان يعرف أننى مخلص له، فكان يتركنى أرى الأشياء بنفسى. لم يكن يشكو فليس هو هذا النوع من الرجال. لكنه كان يقول أحيانا (اللعنة على النساء جميعا). أو (لا تتزوج مطلقا يا فيليب. لو كنت تريد الجحيم فانتظره فيما بعد هذه الحياة).

- هل علمت بارتباطه القوى باليزا جرير؟

- نعم على الأقل كنت أرى الارتباط فى الطريق. كان قد قال لى أنه التقى بفتاة رائعة، فتاة مختلفة عمن رآهن طوال حياته. لم ألق التفاتا لذلك، فامياس كان يلتقى بفتاة أو أخرى تكون (مختلفة) وكان معتادا

- بعد شهر أو نحوه أن يدهش حين تذكرها له مرة أخرى. لكن اليزا جرير هذه كانت حقا مختلفة. تحققت من ذلك عند قدومى إلى أولبرى للبقاء بعض الوقت - خلبت لبه وأوقعته فى حبها.

- إنك لم تكن تحب اليزا جرير أيضا؟

- كلا، لم أحبها، كانت بالتأكيد محبة لما يملكه الآخرون. كانت هى أيضا تريد امتلاكه روحا وجسدا، لكننى كنت أتوقع أن تكون أفضل من كارولين. ربما كانت ستتركه لشأنه حالما تثق فيه، أو ربما كانت ستمله وتتصرف عنه إلى شخص آخر. كان أفضل شىء بالنسبة لامياس هو أن يتخلص من آثار المرأة.

- لكن هذا لم يكن بالضبط مزاجه الخاص؟

- إن الأحمق كان على الدوام يرتبط بامرأة أو بأخرى، لكنهن لم يكن يعنين الكثير بالنسبة له. والمرأتان اللتان كان لهما أثر يذكر فى حياته هما زوجته كارولين واليزا جرير.

- هل كان كريل مغرما بالطفلة؟

- تقصد انجلا، أوه، لقد كنا جميعا مغرمين بانجلا، كانت دائما مندمجة فى شىء أو آخر. نعم كان امياس مغرما بها، لكنها أحيانا كانت تفرط فى ألاعيبها، وعندئذ كان يغتاظ منها جدا. أما كارولين فكانت تقف فى صفها على الدوام، وكان هو يكره هذا تماما، بل كان يغار من هذا الأسلوب فى المعاملة. ومن هنا كان قراره أن تذهب الفتاة إلى المدرسة ذلك الخريف، لكن انجلا غضبت جدا لهذا السبب، ليس لأنها كانت تكره الفكرة نفسها وإنما كان بسبب أسلوب امياس فى اتخاذ قراره واصراره عليه. حاولت كل ما فى وسعها انتقاما منه، حتى أنها وضعت عشرة ديدان فى فراشه. على أية حال كان امياس على صواب، فقد كان الأوان قد حان لتتعلم الفتاة بعض النظام. كانت المربية وليامز على مقدرة وكفاءة، لكنها اعترفت أن الفتاة كانت تفلت من سيطرتها.

- عندما سألتك عن حب امياس للطفلة كنت أقصد طفلته هو.

- تقصد كارلا الصغيرة. لقد كانت طفلة مدللة جدا وكان يسره أن يلعب معها عندما يكون رائق المزاج. لكن عاطفته نحوها لم تكن لتمنعه من الزواج من اليزا إذا كان هذا هو ما تقصده.

- هل كانت كارولين تهتم بالطفلة؟

- لا أستطيع القول أنها لم تكن أما طيبة، لا، لا أستطيع أن أقول ذلك. إن هذا هو الشيء الوحيد الذى آسف من أجله فى هذه القضية - الطفلة. ها هى خلفية حياتها مأساة حقيقة. لقد أرسلوها إلى الخارج، إلى ابنة عم امياس، وأنا آمل أن يكونوا قد تمكنوا من اخفاء الحقيقة عنها.

- الحقيقة يا مستر بليك لابد أن تعرف ولو بعد سنوات عديدة. ومن أجل هذه الحقيقة سأسلك أن تفعل لى شيئا. أن تكتب لى بالتفصيل كل الأحداث التى وقعت فى أولبرى فى تلك الأيام. بمعنى سرد كامل للظروف التى صاحبت الجريمة.

- لكن يا عزيزى بعد كل هذه السنوات؟ لن أكون دقيقا بالطبع.

- ليس هذا ضروريا، ومن ناحية أخرى فإن مرور الزمن يجعل العقل يحتفظ بالحقائق الرئيسية ويهمل الأمور التافهة.

- هل تقصد إذن أن يكون سردا عاما؟

- كلا على الإطلاق، بل اقصد أن يكون تفصيلا دقيقا لكل حدث بمفرده وكل محادثة جرت على مسمع منك ولا زلت تتذكرها.

- افرض أننى تذكرتها بطريقة خاطئة؟

- ربما ستكون هناك فجوات، لكن هذا شىء لا يمكن التغلب عليه.

نظر إليه فيليب بليك بدهشة وقال: ولكن ما هو الهدف؟ إن ملفات الشرطة ستعطيك تفصيلا أكثر دقة بكثير.

- كلا يا مستر بليك، إننا نتحدث الآن من الناحية النفسية، إننى لا أريد حقائق مجردة، بل أريد حقائق تختارها أنت، وعامل الزمن وذاكرتك مسئولين عن هذا الإختيار. إن هناك كلمات قيلت وأفعال تمت، لم أجد لها انعكاسا فى ملفات الشرطة. كلمات ربما لا تكون أنت قد ذكرتها مطلقا، لأنك اعتبرتها عندئذ بعيدة عن الموضوع أو غير هامة.

- هل تقريرى هذا للنشر؟

- كلا بالطبع، لن يراه سواى كى يساعدنى فقط للخروج باستنتاجاتى.

- ولن تقتبس من تقريرى هذا فقرات دون موافقتى.

- طبعا وأنا أقدر أنك رجل أعمال وسوف يكلفك هذا جهدا ووقتا ومن ثم فإننى أقبل أن أدفع لك أجرا معقولا. تلت ذلك فترة صمت ثم قال فيليب بليك فجأة: كلا سوف أقوم بذلك ولكن بلا مقابل، لكن تذكر أننى لا أضمن الدقة فيما أكتبه.

- إن هذا مفهوم تماما.

- إذن فسوف أقوم به فإننى أشعر بأنى مدين - بطريقة ما لاميا كريل.

الخنزير الصغير يبقى فى المنزل

لم يكن هيركيول بوارو بالرجل الذى يهمل التفاصيل، ولذلك فقد كان اقترابه من ميرديث بليك مدروسا بعناية، وحيث كان ميرديث مختلفا تماما عن شقيقه فقد كان أسلوبه هو الاقتراب ببطء واكتساب ثقته. ولم يكن اكتساب ثقة ميرديث بليك لتأتى بطريق أحد المعارف ليقدمه له. كان بوارو يعرف ليدى مارى ليتونجور التى قامت بواجب التعريف، وكان أن استقبل ميرديث بليك ببعض الحيرة.

لم يكن بوارو بالنسبة له سوى مخبر سرى، ولم يكن المرء ليرى هؤلاء الناس سوى فى مناسبات خاصة تتضمن أعمالا ليست فوق مستوى الشبهات. لكن طالما كانت ليدى مارى ليتونجور هى التى كتبت (إن هيركيول بوارو صديق قديم له قدره. أرجوك أن تفعل ما فى وسعك من أجله). فإنه لا ضير عليه أن يستقبل الرجل.

وها هو الرجل أمامه بشخصه ولحمه. إن منظره لا يتفق مطلقا مع ما تخيله ميرديث بليك. كان هذا ما قرأه هيركيول بوارو فى أفكار ميرديث وآثار حيرته. كانت هذه الحيرة قد ألمت به وهو يهبط من القطار فى تلك المنطقة - المكان الفعلى الذى جرت فيه أحداث القضية التى يبحثها. وها هو فى هاندكروس الضيعة التى عاش فيها الأخوان، وكانا يذهبان منها إلى أولبرى ليلعبان التنس مع امياس كريل وفتاة تدعى كارولين، ومن هذا المكان بدأ ميرديث بليك رحلته فى ذلك الصباح المأساوى منذ ستة عشر عاما، وها هو الرجل نفسه أمامه ينطقب مع ما تخيله عنه بوارو. رجل عجوز، بعينين زرقاوين شاحبين، يرتدى ملابس قديمة، له مسلك متردد، يأخذ وضعا فى القيام بالأشياء، وقد تطبع بالريف وهدوئه حتى العظام.

لم يحاول بوارو أن يبدو انجليزيا، فليس هناك فائدة من ذلك، ولهذا بدأ يتحدث عن ليدى مارى ليتونجور وزوجها حتى استطاع أن يصل الهدف من زيارتها، وبالتالى كان لذكره للكتاب الذى ينوى وضعه أثر مخفف على ميرديث الذى لم يخف غضبه بل قال:

- إنه شىء وحشى أن ينشب الناس أظافرهم فى أشياء حدثت منذ ستة عشر عاما، لماذا لا يتركون الأشياء كما هى؟

- إننى أتفق معك، ولكن ماذا نفعل؟ إن هناك طلبا على مثل هذه الأشياء، وكل امرىء حر فى إعادة بناء جريمة تمت والتعليق عليها. إننا نعيش فى عصر حرج يا مستر بليك، وسوف يدهشك أمر الكتب المنشورة، والتى حاولت مرارا أن أخفف من وقعها، وسوف أحاول فى هذه القضية أيضا أن أراعى مشاعر مس كريل التى تدعى الآن مس ليمارشنت.

- هل تقصد كارلا الصغيرة؟ الطفلة؟ هل أصبحت امرأة ناضجة. إن المرء لا يصدق ذلك.

- أعرف، لكن الزمن يمر بسرعة والفتاة الآن مصرة على أن تعرف كل ما يمكن معرفته عن الأحداث الحزينة التى وقعت فى الماضى.

- لماذا؟ لماذا نحرك الرماد من جديد، إنه لمن الأفضل كثيرا أن يترك كل شىء على حاله لكى ينسى.

- لأنك يا مستر بليك - تعرف كل ما حدث فى الماضى جيدا، لكن مس كريل لا تعرف عنه شيئا سوى ما جاء بالتقارير الرسمية.

- آه لقد نسيت ذلك، يا للفتاة المسكينة، لابد أنها فى موقف سيىء، والصدمة التى عانت منها عندما عرفت الحقيقة من تلك التقارير القاسية عن المحاكمة.

- إن الحقيقة يا مستر بليك لا يمكن التوصل إليها من التقارير القانونية. والأشياء التى لا تتضمنها التقارير قد يكون لها أهمية كبرى. المشاعر - العواطف، وشخصيات الممثلين فى الدراما - ثم الظروف المخففة. وما أن نطق بهذه الكلمة حتى بدأ الآخر يقول فى حماس وكأنه مثل من جاءه الوحى:

- الظروف المخففة! هذا هو. لو أنه كانت هناك ظروف مخففة لأى مجرم لكانت متوافرة فى هذه القضية. إن امياس صديق قديم، وعائلته وعائلتنا كانا على حسن جوار لأجيال عديدة، لكن على المرء أن يعترف أن سلوكه كان مثيرا للحنق. لقد كان فنانا، وهذا ما قد يبرر سلوكه، ولكن خطأه هو أنه تسبب فى علاقات غريبة كى تنشأ. إن الموقف لم

يكن ليسمح لرجل على خلق وقيم لأن يتحمله ولو للحظة واحدة.

- يسرنى أن أسمع منك ذلك. لقد أدهشنى هذا الموقف فكيف لرجل له مثل هذه الأسرة النبيلة أن ينطلق فى علاقاته بهذا الشكل.

لمعت عينا ميرديث الشاحبتين وقال:

- لكن المسألة هى أن امياس لم يكن رجلا عاديا - كان رساما، وبالنسبة له فالرسم يجىء فى المرتبة الأولى - إننى لم أفهم نظرة هؤلاء الفنانين. لقد فهمت كريل قليلا لأننى كنت أعرفه طوال عمرى وعائلته تعرف عائلتى. وفيما عدا مسألة الفن هذه كان منضبطا مع المقاييس العامة. بعض الناس يقولون أنه عبقرى وربما يكونون على حق لكنه بالنسبة لى كان مجنونا. وعندما كان يرسم لوحة لم يكن شىء سواها. لم يكن ليسمح بشىء أن يقف فى طريقها. كان عندئذ كرجل يعيش فى حلم، ولا يكاد يتم اللوحة حتى يعود لممارسة الحياة العادية.

ونظر ميرديث لبوارو وعندما أومأ الأخير دليلا على الفهم استطرد: إنك تفهم ما أعنيه- حسنا، إن ذلك يفسر لماذا نشأ مثل ذلك الموقف. كان يحب تلك الفتاة، كان يريد أن يتزوجها بعد أن يطلق زوجته من أجلها. لكنه كان قد بدأ اللوحة. وكان يريد أن يتمها، ولم يكن هناك شىء فى الحياة أهم من ذلك - لم يكن يرى شيئا آخر، ولم يخطر له أن الموقف كان مستحيلا بالنسبة لكلتا المرأتين.

- ألم تفهم أى منهما موقفه؟ أوه، أعتقد أن اليزا فعلت ذلك. كانت متحمسة تماما لرسمه. لكنه كان موقفا صعبا بالنسبة لها، أما كارولين - آه - لقد كنت على الدوام معجبا بكارولين، وقد مر بى وقت كنت

أريد أن أتزوجها فيه، لكن هذا الشعور قتل فى مهده طبعا - لكنى ظللت مكرسا حياتى.. لخدمتها.

وفكر بوارو فى هذه الجملة الأخيرة البسيطة، إنها تعبر أحسن تعبير عن موقف ميرديث التقليدى. إنه من نوع الرجال الذى يكرس حياته من أجل امرأة. إنه سيخدم محبوبته بإخلاص دون أى أمل فى مكافأة. نعم، إن هذه الجملة تكشف عن شخصيته تماما.

قال بوارو: لابد أنك نقمت على هذا الموقف ووقفت إلى جوارها؟

- نعم. لقد فعلت حتى أننى وجهت اللوم إلى كريل بشأن هذا الموضوع.

- ومتى كان ذلك؟

- فى اليوم السابق للحادث. لقد حضروا لتناول الشاى هنا كما تعرف، وانتحيت بكريل جانبا وقلت له ما أريد - قلت له إن ذلك لم يكن عدلا بالنسبة لكليهما - لم أكن أعرف أنه يدرك الموقف.

- ربما لم يكن يفعل؟

- قلت له أنه يضع كارولين فى موقف غير محتمل تماما، وإذا كان ينتوى الزواج من تلك الفتاة فما كان له أن يحضرها إلى المنزل لتلقى بالإهانات فى وجه كارولين - لقد كان فى ذلك إهانة لها.

- وماذا كانت إجابته على ذلك؟

قال ميرديث وإمارات الاستياء والتقزز بادية على وجهه.

- لقد قال أن على كارولين أن تبتلع الإهانة.

- إنها ليست إجابة متعاطفة مطلقا.

- إنها كريهة. ولقد فقدت هدوئى عندئذ. وقلت له أنه لا يهتم بزوجته ولا يهمه ما تعانيه ثم سألته عن الفتاة - ألم يكن يضعها فى موقف سيىء للغاية. وكانت إجابته هى أن على اليزا أن تبتلع الموقف هى الأخرى. ثم استطرد قائلا أنك لا تفهم يا ميرديث أن اللوحة التى أرسمها الآن هى أفضل ما فعلت حتى الآن. إنها عمل جيد ولن أسمح لامرأتين غيورتين بأن تفسداها لم يكن هناك فائدة من التحدث إليه وعندما قلت له أن الرسم لم يكن كل شىء قاطعنى قائلا: أنه كذلك بالنسبة له. وعندما قلت له أننى أشعر بالأسى على كارولين لأنها قاست كثيرا فى حياتها معه قال أنه يعرف ذلك وهو آسف على هذا، ولكنه كان قد حذر كارولين من نوع الحياة مع من كانوا مثله.

وعندئذ قلت له بوضوح أنه ليس عليه أن يهدم حياته الزوجية، فهناك الطفلة التى لابد أن يضعها فى اعتباره، وأنه من أجل اليزا نفسها يجب أن ينهى علاقته معها لأنها صغيرة جدا وسوف يندم على ذلك عندما تتقدم به السن، وسألته ألا يستطيع أن ينهى تلك العلاقة ويعود إلى زوجته؟ وماذا كانت إجابته؟

- بدا محرجا وربت على كتفى قائلا: إنك فتى طيب يا ميرديث لكنك عاطفى أكثر من اللازم. انتظر حتى أتم اللوحة وسوف ترى عندئذ أننى كنت على حق. قلت له: (اللعنة على لوحتك). لكنه ابتسم وقال(أن كل نساء انجلترا لم يكن ليعلن ذلك). وعندما سألته ألم يكن من الأفضل أن يحتفظ بالأمر سرا حتى يتم اللوحة. أجاب: بأن هذه لم تكن غلطته، وأن اليزا جرير هى التى أفشت بالسر. وعندما سألته عن السبب أجاب أنه فى اعتقادها لم يكن الأمر ليستقيم بغير ذلك.

أرادت أن يكون كل شىء واضحا معروفا. إن ذلك قد يكون مفهوما طبعا من جانبها، ورغم سوء سلوكها فقد كانت على الأقل مخلصة. لقد كان موقفا عصيبا بالنسبة لنا جميعا.

- يبدو أن الشخص الوحيد الذى لم يتأثر كان هو امياس كريل؟

- ولماذا؟ لأنه كان أنانيا محبا لنفسه، إننى أتذكره وهو يقول لى وهو يبتسم (لا تقلق يا ميرى. إن كل شىء سيصبح على ما يرام). لقد كان من صنف الرجال الذين لا يهتمون بمشاعر النساء وقد كنت على وشك أن أقول له أن كارولين على وشك أن تقوم بعمل يائس.

- هل قالت هى ذلك؟

- ليسَ بهذا التحديد. لكننى سوف أتذكر وجهها دائما بعد ظهر ذلك اليوم، شاحب متوتر تحاول أن تغطى ذلك بافتعال المرح. كانت تتحدث وتضحك كثيرا لكن عينيها كانتا توحيان باليأس والمرارة. لقد كانت مخلوقا رقيقا تماما.

كان ميريث بليك الآن قد ترك تحفظه جانبا وبالنسبة لمن هم مثله فإن للماضى سحره الخاص. بدأ يتكلم الآن وكأنه يحدث نفسه:

- كان لابد لى أن أشك فى شىء. إن كارولين هى التى تحولت بالحديث إلى هوايتى للمحاليل والأعشاب. والعقاقير. إن هناك نباتات كانت تستخدم فى استخراج الأدوية منذ زمن لكنها لم تعد فى القائمة المعتمدة للأدوية الآن. ومن الغريب أنه يمكن استخدام بعض الأعشاب بطريقة بسيطة للعلاج دون اللجوء إلى الأطباء إننى أجد متعة فى جمع الأعشاب وتجفيفها. ومن الكونين ذلك الذى لم يعد موجودا فى

الفاروماكوبيا . ولقد أثبت فائدته فى حالة السعال وحالات أخرى.

- هل تحدثت عن ذلك كله فى معملك؟

- نعم، تجولت معهم فيه وأنا أشرح لهم العقاقير المختلفة، الفاليريان وكيف يجتذب القطط، ولقد كانوا جميعا مبهورين مهتمين.

- من الذى تعنيه بهم؟

بدت الدهشة على ميرديث بليك وكأنه نسى أن محدثه لم يكن له علم بالموضوع: المجموعة كلها .. شقيقى فيليب وامياس وكارولين وانجلا ثم اليزا جرير.

- هؤلاء فقط؟ نعم أظن ذلك.من الذى كان يجب أن يكون معهم؟

- ظننت أن المربية كانت..

- كلا، إنها لم تكن معهم بعد ظهر ذلك اليوم، لقد نسيت اسمها الآن. كانت امرأة طيبة تزاول عملها فى جدية، وأظن أن انجلا سببت لها متاعب جمة.

- ولما كان ذلك؟

- كانت الفتاة ظريفة لكن كانت تنتابها نوبات شقاوة جامحة. لقد وضعت بعض الديدان فى ظهر امياس وهو منهمك فى الرسم. لقد استشاط غضبا عندئذ ولعنها، وكان بعد ذلك أن أصر على إرسالها إلى المدرسة - ذلك لأنه بالإضافة إلى ألاعيبها أظنه كان غيورا منها قليلا ذلك أن كارولين كانت تعبد انجلا وربما كانت تهتم بانجلا أكثر من اهتمامها بأى شىء آخر. وامياس طبعا لم يكن يحب ذلك. لقد كان هناك سبب لذلك طبعا لكننى لن..

- هل تقصد لأن كارولين قد شوهت وجه أختها وهى صغيرة؟

- هل عرفت بهذا أيضا؟ إننى لم أكن سأذكر ذلك لك. لقد انتهى هذا منذ زمن بعيد. ولكن نعم، كان هذا هو السبب فى مسلكها هذا كما أعتقد، كانت تشعر على الدوام أنه ليس هناك ما يمكن أن تفعله تعويضا لانجلا عما ألحقته بها.

- ولكن ماذا عن انجلا؟ هل كانت لا تزال تضمر مشاعر عدائية تجاه أختها غير الشقيقة؟

- كلا، لقد كانت انجلا تهيم حبا بكارولين، ولم تكن تتذكر تلك المسألة مطلقا، إنها كارولين التى لم تكن تستطيع أن تنسى.

- هل استجابت انجلا برضاء عن مسألة إرسالها إلى مدرسة داخلية؟

- كلا، لقد عبرت عن سخطها على امياس كريل، ووقفت كارولين إلى جانبها لكن امياس أصر على موقفه. إنه من نوع الرجل السهل القيادة فى معظم الأحوال، لكنه إن أصر على مسألة فإنه يفعل ما فى وسعه لتنفيذ رأيه، واستسلمت كارولين وانجلا لذلك القرار.

- متى كان يعتزم ذهابها إلى المدرسة؟

- فى الخريف وكانوا يعدون حقيبتها عندئذ كما أتذكر. ولو لم تحدث الكارثة لكانت قد ذهبت خلال أيام معدودة بعدها. ذلك لأنه كان هناك حديث عن إعداد حقيبتها ذلك الصباح.

- وماذا عن المربية؟ هل رحبت بالفكرة رغم أنها ستحرمها من وظيفتها أليس كذلك؟

- حسنا، كان ذلك حقيقيا من ناحية. لقد كانت كارلا الصغيرة تتلقى عدة دروس، لكنها كانت فى السادسة من عمرها أو نحو ذلك، وكان لها ممرضتها، ولم يكونوا طبعا ليحتفظوا بمس وليامز.. نعم هذا هو اسمها.. يا له من شىء غريب كيف أن الأحداث تتداعى عندما نتحدث عنها.

- نعم بالتأكيد. إنك الآن تعيش فى تلك الفترة من الماضى، إنك تعود لتعيش المناظر نفسها. والكلمات التى تنطق بها الناس وتعبيرات وجوههم أليس كذلك.

- نعم، لكن هناك فجوات، إننى أتذكر مثلا الصدمة التى شعرت بها عندما علمت لأول مرة أن امياس سيترك زوجته. لكنى لا أتذكر إذا كان هو الذى أخبرنى أم اليزا جرير. إننى أتذكر أننى حاولت إقحام اليزا فى الموضوع محاولا أن أظهر لها مساوىء الموقف لكنها ضحكت من كلماتى بطريقتها الباردة، وقالت عنى أننى أعيش فى الماضى. إننى ـازلت أؤمن بذلك - لقد كان لامياس كريل زوجة وطفلة وكان عليه أن يتمسك بهما.

- لكن اليزا جرير كانت ترى أن ذلك الرأى لا يتمشى مع منطق الساعة؟

- نعم، ولكن تذكر أنه منذ ستة عشر عاما لم يكن ينظر إلى الطلاق على أنه شىء عادى كما هو الآن. اليزا كانت مع التطور الذى يقول أنه إذا لم يكن الزوج سعيدا مع زوجته فلابد لهما من الانفصال. قالت أن امياس كريل وزوجته لم يكونا يكفان عن الشجار، وأنه كان من الأفضل للطفلة ألا تنشأ فى مثل هذا الجو من الشقاق.

- لكنك لم تتأثر بمنطقها.

- لقد كنت أشعر طوال الوقت أنها لم تكن تعرف ما تتحدث عنه - بل كانت تكره ما تقرأه فى الكتب كالببغاء. لكنها كانت صغيرة السن يا مستر بوارو، وكانت مدعاة للاشفاق، وكان هذا جزئيا السبب فى أننى أتحدث عن امياس كريل: لقد كان يكبرها بعشرين عاما. ولم يكن هذا يبدو عادلا.

- لكننى أتوقع أنه لم يكن لك عليه تأثير. فإن الرجل عندما يسير فى طريق معين - خاصة عندما يتصل الأمر بامرأة فإنه يصعب عليك أن تغير رأيه.

- هذا صحيح تماما، ولعل تدخلى لم يكن مفيدا على الإطلاق. وربما كان ذلك لأننى لم أكن إنسانا مقنعا على الإطلاق.

حدجه بوارو بنظرة سريعة ولمح فيه الرجل الحساس الذى يعرف ضعف شخصيته، وكان يعرف جيدا صدق ما قاله ميرديث بليك، [illegible] يكن الرجل الذى يقنع أحد بالتخلى عن طريق ما. لابد أن الجميع [illegible] يلقون بما يقول عرض الحائط. ولكى يغير الموضوع سأله بوارو:

- هل لازلت تحتفظ بمعملك وأدويتك وعقاقيرك؟ كلا.

جاءته الإجابة سريعة حادة تتسم بالانفعال ثم استطرد ميرديث بليك قائلا: لقد تركت كل شىء، تخلصت من كل شىء. لم أستطع الاستمرار وكيف كان لى أن استمر بعد الذى حدث - لقد كان يمكن أن يقال أن الخطأ كله كان بسببى.

- كلا يا مستر بليك. إن حساسيتك مفرطة.

- ولكن ألا ترى الموقف؟ لو أننى لم أقم بجـمـع هذه العـقـاقـيـر اللعينة؟ ولو لم أقم بالشرح والتعليق عليها بعد ظهر ذلك اليوم! لكننى لم أظن مطلقا أنه.. لكننى كنت كالأحمق الفخور بعمله. لقد تجولت بهم فى نهاية المعمل وقرأت عليهم من كتاب إغريقى فقرة كانت تعجبنى. لكن المسألة لم تفارق خيالى منذ ذلك الحين.

- هل وجدوا بصمات أصابع على زجاجة الكونين؟

- بصمات أصابع كارولين كريل.

- وليس بصمات أصابعك أنت؟

- كلا، ذلك لأننى لم أمسك بالزجاجة بل أشرت إليها من بعيد فقط.

- لكنك أمسكت بها مرات قبل ذلك بالتأكيد؟

- بالطبع، لكنى كنت معتادا على نفض التراب عن الزجاجات بين وقت وآخر. إننى لم أكن أسمح مطلقا للخدم بالدخول إلى هناك. ولقد قمت بنفض التراب قبل ذلك اليوم بخمسة أيام.

- واحتفظت بالحجرة مغلقة؟ دون شك.

- متى أخذت كارولين الكونين من الزجاجة؟

- لقد كانت هى آخر من غادر المعمل. أتذكر أننى ناديت عليها فخرجت منه مسرعة.

ووجدتها أكثر احمرارا وعيناها توحيان بالانفعال.. يا الهى. إننى أستطيع أن أتخيلها الآن.

- ألم تتبادل معها الحديث بعد ظهر ذلك اليوم مطلقا؟ أقصد ألم

تناقش الموقف بينها وبين زوجها.

- ليس بطريقة مباشرة. لقد كان الضيق باديا عليها، فقلت لها عندما كدنا نكون بمفردنا (هل هناك ما يسوءك يا عزيزتى؟) فأجابت: (كل شىء يسوءنى..) كنت أتمنى أن تسمع رنة الأسى واليأس فى صوتها عندئذ، لقد كان ما تقوله حقيقيا فإن امياس كريل كان كل حياتها.

قالت (لقد انتهى كل شىء، فقدت كل شىء يا ميرديث) وبعد ذلك ضحكت واستدارت لتمرح مع الآخرين مرحا مبالغا فيه.

وفجأة بدا الانفعال على ميرديث بليك ولوح بقبضته فى الهواء واستطرد: وأنا أقول لك يا مستر بوارو أنه عندما قالت كارولين فى المحكمة أنها أخذت الكونين لتقتل نفسها فإنها كانت صادقة فيما قالت وأقسم على ذلك. لم يكن فى رأسها أية فكرة عن القتل عندئذ. لقد جاءتها هذه الفكرة فيما بعد.

- هل أنت واثق أن الفكرة جاءتها فيما بعد؟

- استميحك عذرا؟ إننى لم أفهم تماما ما...

- إننى أسألك عما إذا كنت واثقا أن الفكرة قد طرأت على عقلها على الإطلاق؟ هل أنت مقتنع تماما أن كارولين كريل قد أقدمت على قتل زوجها عن عمد؟

- ولكن إذا لم تكن هى التى فعلت ذلك - فمن؟ - هل كان الأمر حادثة من نوع ما؟

- ليس بالضرورة.. ثم إنك تقول أن كارولين كريل كانت مخلوقة رقيقة، فهل يمكن للمخلوقات الرقيقة أن تقتل؟

- لقد كانت رقيقة جدا، لكن كانت هناك مشاجرات كما تعرف.. إن كارولين كانت سريعة الانفعال وكلماتها تعبر بأكثر مما تقصده. فربما قالت لك (إننى أكرهك أو أتمنى موتك) لكن ذلك لا يتضمن أن يقترن ذلك بفعل ما.

- إذن فمن رأيك أن ارتكاب كارولين كريل لجريمة قتل لا يتفق مع شخصيتها؟ إن لك طريقة غريبة فى الاستنتاج يا مستر بوارو، إن ما أستطيع قوله هو - نعم، إن هذا لا يتفق مع شخصيتها، ولعله يمكننى تبرير ما حدث، أن الاستفزاز الذى تعرضت له كان قويا إلى أقصى حد. لقد كانت تعبد زوجها - وفى أحوال مثل هذه قد تذهب المرأة إلى حد - القتل.. إننى ذهلت أول الأمر ولم أصدق أنها فعلت ذلك.. ولم تكن هى التى قتلت.. إنك تعرف ما أقصده.. أقصد أنها لم تكن كارولين الحقيقية هى التى قتلت.

- لكنك من الناحية القانونية واثق أنها هى القاتلة؟

- يا عزيزى.. إن لم تكن هى..

- حسنا إن لم تكن هى؟

- إننى لا أستطيع التفكير فى حل بديل.. هل يمكن أن يكون الأمر حادثا غير مقصود، هذا مستحيل. ثم إننى لا أصدق نظرية الانتحار، لأننى أعرف جيدا شخصية امياس كريل، فما الذى يبقى عندئذ؟

- يبقى أن هناك احتمالا بأن يكون قاتل امياس كريل شخص آخر.

- لكن هذا غير معقول. من الذى كان يريد قتله؟ من الذى يمكن أن يكون قد قتله؟

- إن احتمالات معرفتك للقاتل أكثر من احتمالاتى.. فكر فى الأمر وقل لى ماذا تظن؟

حدجه ميرديث بنظره دقيقة أو دقيقتين ثم هز رأسه وقال:

- لا أستطيع أن افكر فى أى احتمال آخر. كنت أتمنى أن يكون هناك مثل هذا الاحتمال، لو أن هناك سببا يدعونا للشك فى أى شخص آخر. إننى لا أريد أن افكر فى أن كارولين هى القاتلة ولم أصدق ذلك أول الأمر. ولكن من يكون هو القاتل؟ اليزاجرير؟ هذا رأى سخيف. أنا؟ هل أبدو كالقاتل؟ هل يمكن أن تكون المربية المحترمة هى القاتلة؟ أم زوج من الخدم المخلصين؟ ربما نقترح أن تكون الطفلة انجلا هى التى فعلت ذلك؟ كلا يا مستر بوارو ليس هناك احتمال بديل. لكن يمكن أن يكون من قتل امياس كريل ليس احد سوى زوجته. لكنه هو الذى دفعها إلى ذلك - ومن ثم فهو انتحار قبل وبعد كل شيء.

- هل تقصد أنه مات بسبب أفعاله إن لم يكن بيده هو؟

- إنها نقطة خيالية ولكنها تعتمد على نظرية السبب والنتيجة.

- ألم تفكر مطلقا يا مستر ميرديث أن سبب الجريمة يكمن دائما فى دراسة شخصية القتيل؟

أى أنه حتى تعرف بالضبط أى نوع من الناس كانت الضحية، فلن يمكنك أن ترى الظروف المحيطة بوضوح.. إن هذا هو ما أبحث عنه وما ساعدتنى أنت وشقيقك فيه.

إعادة بناء شخصية امياس كريل أمامى.

- شقيقى فيليب؟ هل تحدثت إليه أيضا؟ بالتأكيد.

ـ كان عليك أن تحضر إلى أولا.

- إذا أخذت الأمر من ناحية حقوق الابن البكر. فأنت على حق لأنك الأكبر سنا، لكنك تقرر طبعا أنه بسبب إقامة أخيك فى لندن كان أسهل على أن أقوم بزيارته أولا.

- كان لابد أن تأتى إلى أولا. ذلك لأن فيليب متحيز، بل إنه كتلة من التحيزات، ولقد حاول بالطبع أن يجعلك تأخذ موقفا معاديا من كارولين.

- هل لهذا أهمية بعد كل هذه السنوات؟

- لقد نسيت أن سنوات عديدة قد انقضت، ولا أحد يستطيع الآن أن يلحق بها ضررا، لكننى لم أكن أريدك أن تأخذ انطباعا خاطئا على أية حال: وهل تظن أن شقيقك قد حاول أن يعطينى انطباعا خاطئا.

- بصراحة. نعم. لقد كان هناك نوع من العداء الدائم بينه وبين كارولين.

- لماذا؟

بدا وكأن السؤال قد أثار حفيظة ميرديث بليك.

أجاب قائلا: لماذا؟ وكيف لى أن أعرف السبب؟ لقد كان فيليب يضايقها كلما استطاع ذلك.

أعتقد أنه تضايق عندما تزوجها كريل، ولذلك لم يقم بزيارتها لمدة عام كامل ورغم ذلك كان امياس أعز أصدقائه. والسبب الحقيقى كما أعتقد هو أنه لم يكن يظن أن أى امرأة كانت جديرة بامياس، وأن زواجه من كارولين قد يفسد صداقتهما.

- وهل حدث ذلك؟

- كلا، بالطبع لا. لقد ظل امياس على حبه وصداقته لفيليب حتى النهاية. ولقد اعتاد امياس أن يضاحكه قائلا أنه محب للمال ويحقق أرباحا فاحشة، لكن فيليب لم يكن يهتم بل كان يبتسم قائلا أنه من حسن حظ امياس أن له صديقا ثريا.

- ماذا كان رد فعل شقيقك تجاه مسألة اليزا جرير؟

- إن هذا من الصعب الحكم عليه. لم يكن من السهل تحديد موقفه. لقد ضايقه أن يجعل امياس من نفسه أحمق بسبب فتاة. قال أكثر من مرة أن ارتباطه مدمر، وسوف يندم امياس على ذلك. لكنه مع ذلك كان لديه شعور - وأنا واثق من ذلك - بالارتياح إذ يرى كارولين وقد فقدت زوجها.

اتسعت عينا بوارو دهشة وقال: هل كانت هذه حقيقة مشاعره؟

- أوه، لا تسيىء فهم ما أقول. أنا لا أعتقد أن مشاعره قد تخطت مؤخرة رأسه. ولا أعتقد أنه تحقق لحظة واحدة من حقيقة مشاعره. إننى لا أشترك مع فيليب فى كثير من الصفات، لكن هناك علاقة ما بين من تسرى فيهم دماء واحدة - وأحيانا ما يعرف الأخ ما يفكر فيه شقيقه.

- وماذا بعد حدوث المأساة؟

- يا لفيليب المسكين! لقد حطمته تماما. لقد كان كثير الاعتزاز بامياس، كما تعرف - نوع من التقديس. إننى وامياس كريل فى نفس العمر تقريبا وفيليب يصغرنا بعامين وكان يعتبر امياس نموذجا يحتذى به، ولهذا كانت صداقته شديدة، وكانت مرارته تجاه كارولين كبيرة.

- لكنه لم يدر من خلده أى شك عندئذ؟

- لم يداخل أحد منا أى شك.. أوه لقد انتهى كل ذلك الآن، وها أنت تثيره مرة أخرى.

- لست أنا بل كارولين كريل.

حدق فيه ميرديث وقال: كارولين كريل. من تقصد؟

- كارولين كريل الثانية.

- تقصد كارولين الصغيرة - لقد أسأت الفهم لأول وهلة.

- هل فكرت أننى أقصد كارولين الحقيقية وأنها هى التى لم ترقد حتى الآن فى قبرها بسلام. هل تعرف أنها كتبت رسالة لابنتها - وكانت آخر كلماتها - أنها بريئة.

حدق فيه ميرديث بعدم التصديق وقال فى دهشة شديدة:

- هل كتبت كارولين ذلك.

- نعم، هل يدهشك هذا؟

- إن ذلك كان سيدهشك لو أنك رأيتها فى المحكمة، مخلوق يائس مستسلم ليس فيه ذرة كفاح للحياة.

- روح انهزامية مستسلمة؟

- كلا، كلا - ربما يكون السبب هو أنها قتلت الرجل الذى أحبته - أو هذا ما ظننته.. ولكن أن تكتب شيئا مثل هذا قبل موتها بلحظات.

- ربما كانت كذبة بيضاء؟ ربما، لكن هذا لا يتفق مع أخلاق كارولين.

أومأ بوارو برأسه موافقا، لقد قالت كارلا ليمارشانت من قبل ربما

قلنا أن كارلا لها ذاكرة طفل عنيد لكن ميرديث بليك عرف كارولين جيدا. إن هذا أول تأكيد سمعه بوارو لفكرة كارلا عن أمها. تأكيد يمكن الاعتماد عليه. قال ميرديث

- ولكن لو كانت كارولين بريئة.. فإن الأمر كله يكون جنونا.. إننى لا أرى احتمالا بديلا.. وماذا عنك؟ ما هى أفكارك؟

- حتى الآن ليست لى أية أفكار، إننى أجمع الانطباعات فقط. من هى كارولين كريل؟ ومن هو امياس كريل؟ ومن هم الأشخاص الذين كانوا معهما فى ذلك الوقت؟ ما الذى حدث بالضبط فى هذين اليومين؟ هذا هو ما أنا بحاجة إليه. أن أميز الأحداث واحد بعد الآخر. إن شقيقك سوف يساعدنى فى هذا المجال. سوف يرسل إلى بتقرير مفصل عن الأحداث التى يتذكرها عن المأساة.

قال ميرديث بليك في حدة: لن تخرج بالكثير من هذا التقرير. إن فيليب رجل مشغول، وذاكرته لن تسعفه، وخاصة وأن سنوات عديدة قد مرت، وربما تذكر الأشياء على وجه خاطىء تماما.

- أدرك أنه ستكون هناك فجوات.

- أقول لك أنه - إذا أردت ـ فسوف أقوم أنا بنفس العمل، أقصد سيكون علىّ مراجعة ما يقوله أليس كذلك؟

- سوف يكون لهذا قيمة كبيرة جدا. هذه فكرة ممتازة حقا.

- حسنا، سوف أفعل، إن لدى بعض اليوميات التى احتفظ بها فى مكان ما. ولكن تذكر أننى لست خبيرا باللغة والهجاء ولا تنتظر شيئا ممتازا.

– ليس هو الأسلوب الذى أطلبه، ولكن سرد لكل ما تستطيع أن تتذكره، كل ما قاله هذا الشخص أو ذلك. كيف كانوا يتصرفون. لا تهتم إذا لم تبد الأحداث متماسكة، فإن ما يهم هو الجو العام.

– نعم أفهم ذلك. لابد أنه من الصعب عليك ان تتخيل البشر من الأشخاص ممن لم ترهم قط.

– هذا هو الأمر الذى كنت على وشك أن أطلبه منك. إن ضيعة أولبري على مقربة من ضيعتك أليس كذلك؟ هل يمكننا الذهاب إلى هناك؟ كى أرى بعينى المكان الذى وقعت فيه المأساة.

– أستطيع أن اصحبك إلى هناك فورا. لكن المكان قد تغير كثيرا.

– هل أعيد بناؤه؟

– كلا، لم يصل الأمر إلى هذا الحد – لكنه أصبح شيئا كالفندق. اشترته جمعية ما وخصصته لجمعية من الشباب كى يقيموا فيه فى الصيف. لقد أقيمت الحواجز فى الحجرات جميعا وتغيرت معالم الأرض إلى حد كبير.

– تستطيع أنت أن تعيد بناء ما كان موجودا بوصفك له.

– سأفعل ما أستطيع. كنت أتمنى أن ترى كل شىء كما كان فى الماضى. لقد كان من أجمل الضياع التى شاهدتها فى حياتى.

وانطلقا يهبطان المنحدر فى حين سأل بوارو:

– من الذى صرح ببيع الضيعة؟

– الأوصياء لصالح الطفلة. إن كريل لم يكتب وصية ما، لكن كل

شىء آل لهـا. اتخيل أن الأمـلاك قـسـمت بين كـارولين والطفلة إلا أن كارولين قد تركت ما ورثته للطفلة أيضا.

- وماذا عن أختها انجلا؟

- كان لانجلا مبلغ من المال تركه لها والدها.

- فهمت. ولكن إلى أين تأخذنى؟ إننى أرى الشاطىء أمامى مباشرة.

- لابد أن أشـرح طبيـعـة المنطقـة لك وهو مـا سـوف تـراه بعد قليل. هناك خليج صـغـيـر يجـرى إلـى داخل الأرض، وهو يشـبـه مـصب نـهـرى صـغـيـر ولكنه طبـعـا جزء مـن البـحـر. ولكـى تصل إلى أولبـرى عن طريق البـر عليك أن تتوغل فى الشـاطىء حتـى تدور حـول الخليـج. لكن أقـصـر طريق إلـى المنزل هو عـبـور الخليـج فى هذه المنطقـة الضـيـقـة، لتـجـد أولبرى أمـامك مباشـرة - هـاك - أنت تستطيع أن تـرى المنزل من خـلال الأشـجـار. كـان قـد وصـلا إلـى الشـاطىء. وأمـامـهـا كـانت غـابة صـغـيـرة، فاسـتطاع بوارو أن يميز منزلا أبيض اللون يبـدو من فوق الأشـجـار. كـان هناك قاربان مربوطان إلى الشاطىء وسـرعان مـا أصبحـا يجدفان تجاه الناحية الأخرى. قال ميرديث بليك:

- لقـد اعـتـدنا على هـذا الطريق فى تلك الأيام إلا إذا كـانت هنـاك عاصفة أو كـانت السماء تمطر، فعندئذ كنا نستقل السـيـارة. إن المسـافـة تكاد تكون ثلاثة أميال فى ذلك الطريق.

ربط القـارب إلى الشـاطىء وألقـى نظرة تائهـة على تلك الأكـواخ أمـامـهـا وقـال: كل هذه الأكـواخ جـديدة. لقـد كـان هناك كـوخ واحـد للقـوارب، وكنا نسـبـح فـى هـذا الجـزء من الخليـج. لا تظن أننا سنلقى

أحــدا لن يكون هنـاك أحـد فـى شـهــر إبـريل، ثم أننى على وفـاق مع جيـرانى إن الشـمس رائعـة اليـوم كـمـا كـانت فى ذلك اليـوم.. هذه هى الحديقة التى كانوا يسمونها (حديقة المدفعية) إننا الآن ندور حولها.

انطلقا بين مجموعة أخرى من الأشجار، ثم دار الطريق بهما مرة أخرى حتى وجدا نفسيهما أمام باب ثبت فى حائط مرتفع. استمر الطريق صاعدا فى تعرج لكن ميرديث فتح الباب ونفذا من خلاله.

ولأول وهلة غشيت الشمس عينا بوارو وقد خرجا لتوهما من تحت ظلال الأشجار.

كانت الحديقة الصغيرة مسطحة وحولها سور ضخم عريض به فتحات للمدفعية، وفى وسطها كان هناك مدفع ضخم، والانطباع الذى يشعر به المرء هو أنه معلق فوق البحر. كانت الأشجار تحوطها، لكن ماء البحر الأزرق كان تحتها تماما. قال ميرديث:

- كانت هناك منضدة ومقعد ثم صناديق للبيرة فى ذلك الركن. لم يتغير المكان كثيرا.

- وقد وقعت المأساة هناك؟ نعم، كان هذا المقعد الطويل تجاه الحائط، وكان كريل ممدا عليه. كان قد اعتاد أن يفعل ذلك، فيحدق فى السماء، وفجأة ينهض واقفا ثم يستأنف الرسم مرة أخرى وكأنه مجنون.

وتوقف لحظة قبل أن يستطرد قائلا:

- ولهذا بدا شكله طبيعيا جدا وكأنه نائم، لكن عيناه كانتا مفتوحتين وقد تصلب جسده. إن الكونين يشل الأطراف كما تعرف. لم تكن هناك آلام وقد أراحنى ذلك.

- من الذى وجده هكذا؟ كارولين بعد الغداء. كنت أنا واليزا جرير آخر من رآه على قيد الحياة. لابد أن الموت كان فى طريقه إليه عندئذ. بدا لى غريبا. أفضل ألا أتحدث عن ذلك. سأكتبه لك فإن ذلك أسهل.

استدارا خارجين من حديقة المدفعية ليصعدا الطريق المتعرج وعلى مستوى أكثر ارتفاعا من حديقة المدفعية كانت هناك بقعة مسطحة تظللها الأشجار وبها مقعد ومنضدة. قال ميرديث:

- وهذا لم يتغير أيضا. لقد جلست هنا ذلك الصباح، ومن هنا استطعت رؤية حديقة المدفعية بوضوح، حيث لم تكن الأشجار عندئذ بهذا الارتفاع. كانت اليزا جالسة كموديل هناك.

واستمرا يصعدان الطريق المؤدى إلى المنزل. كان منزلا قديما على الطراز الجيورجي، وعلى مقربة منه بنيت أكواخ صغيرة للسباحة قال ميرديث شارحا: إن الفتيان والفتيات يقضون أياما فى المنزل لا أعتقد أن هناك ما يهمك رؤيته فى الداخل، فكل الحجرات قد قسمت.. هيا بنا فإن الأشباح تعود لتطاردنى مرة أخرى.

وعادا إلى الشاطىء من طريق أكثر طولا. لم يتكلم أى منهما، فقد احترم بوارو صمت مرافقه. وعندما أصبحا فى ضيعة هاندكروس مرة أخرى قال ميرديث فجأة:

- لقد اشتريت تلك اللوحة كما تعلم. تلك التى كان امياس كريل يرسمها. لم أستطع تحمل فكرة أن يشتريها أحدهم لمجرد الدعاية. إنها قطعة فنية رائعة. لقد قال امياس أنها أفضل لوحة رسمها، ولن أدهش إذا كان ذلك صحيحا. لقد تمت فعلا، ولم يكن ليعمل فيها سوى

يوم أو يومين. هل يهمك أن تراها؟ نعم بالتأكيد.

قاد ميرديث بليك الطريق عبر بهو واسع وأخرج من جيبه مفتاحا. فتح به بابا ليجد بوارو نفسه فى حجرة متوسطة الاتساع تفوح منها رائحة التراب. كانت ضلف نوافذها مغلقة باحكام. وببعض الجهد فتح ميرديث إحدى النوافذ ليدخل منها هواء الربيع. وقفا إلى جوار النافذة يستنشقان الهواء النقى. لم يكن هناك داع للسؤال عما كانت هذه الحجرة فقد كانت الأرفف الخاوية وعلامات الزجاجات فوقها تشرح كل شىء. وإلى جوار الحائط كان هناك حوض والتراب يلف كل شىء. قال ميرديث بليك: إن كل شىء يعود إلى الذاكرة بسهولة. أن أقف هنا وأشم رائحة الياسمين وأتحدث عن عقاقيرى وأدويتى.

وبذهن غائب مد بوارو يده عبر النافذة وجذب عددا من أعواد الياسمين تحرك ميرديث نحو الحائط الآخر ونفض التراب عن لوحة.

وأمسك بوارو أنفاسه. لقد رأى حتى الآن أربع لوحات لامياس كريل. اثنتان فى قاعة (تيت)، وثالثة عند تاجر لوحات فى لندن، ثم لوحة الزهور عند فيليب بليك. لكنه الآن ينظر إلى ما سماها الفنان نفسه أحسن لوحاته. وتحقق بوارو من موهبة الفنان. لأول وهلة يخيل إليك أنها مطبوعة. صورة فتاة فى قميص أصفر، تجلس فوق جدار ضخم، والشمس ساطعة تماما، وخلفها زرقة البحر الصافية. إنه موضوع مثالى لصورة مطبوعة، لكن النظرة الأولى تصبح زائفة فالضوء مختلف والوضوح غريب ثم الفتاة..

نعم.. هنا كانت الحياة نفسها.. الشباب والحيوية.. الوجه كان يفيض بالحياة ثم العينان.. فيض من الحياة والشباب.. هذا إذن ما رآه

امياس كريل فى اليزا جرير.. ذلك الشىء الذى أعماه عن زوجته الرقيقة. كانت اليزا هى الحياة وهى الشباب. كانت رأسها مرفوعة فى كبرياء، وعيناها منتشيتان بالنظر والزهو.. إنها كانت تنظر إليك. ترقبك. مد هركيول بوارو ذراعيه إعجابا وقال: إنها رائعة.. نعم رائعة.

- نعم، لقد كانت صغيرة السن جدا.

هز بوارو رأسه موافقا هو يفكر فى نفسه. ما الذى يعنيه الناس بصغر السن؟ هل يقصدون البراءة؟ هل يقصدون عدم الخبرة؟ لكن الشباب ليس كذلك. إن الشباب قوى وبكر وقاس أحيانا. ثم إن الشباب قبل ذلك وبعده عرضة للسقوط.

تبع مضيفه إلى الباب وقد زاد اهتمامه باليزا جرير التى سيقوم بزيارتها بعد ميرديث بليك. ترى ما الذى تفعله الأعوام بهذه الفتاة الصغيرة المنتضرة. والقى على اللوحة نظرة أخيرة. إن هاتين العينين تراقبانه، تقولان له شيئا.

لنفرض أنه لم يفهم ما تقولان؟ هل ستتمكن من ذلك المرأة الحقيقية؟ أم هل تقول هاتان العينان ما لم تعرفه المرأة الحقيقية؟

مثل هذا الكبرياء والانتصار والترقب.. لكن الموت انقضى وأخذ الفريسة من بين هاتين الذراعين الشرهتين.

ثم إن اللمعة قد ذهبت عن هاتين العينين المحمومتين المترقبتين. كيف هما عينا اليزا جرير الآن؟ خرج من الحجرة وفكرة واحدة تسيطر عليه (لقد كانت مليئة بالحيوية أكثر مما يجب).

وأحس من هذه الفكرة ببعض الخوف.

الخنزير الصغير آكل اللحم المشوى

كان منزلا فاخرا فى شارع بروك ذلك الذى ذهب إليه هركيول بوارو للقاء ليدى ديتشام. أخذ منه رئيس الخدم معطفه وعصاه، وتقدمه إلى الداخل عبر الهول يهبط ثلاث درجات ثم يعلن اسمه فى مقاطع واضحة.

وعندما أغلق الباب خلفه وجد بوارو نفسه مع رجل طويل نحيل يتقدم نحوه. لم يكن لورد ديتشام من النبلاء فقط لكنه كان شاعرا أيضا. فقد ألف مسرحيتين شعريتين نالتا نجاحا. كان فى نحو الأربعين من عمره، عريض الجبهة له عينان وفم جميل الشكل. دعا بوارو للجلوس وقدم له سيجارة ثم قال: لقد حضرت كى تقابل زوجتى كما فهمت؟

- لقد كانت الليدى رقيقة جدا فأعطتنى موعدا.

أرجو ألا يكون لديك أى اعتراض يا لورد ديتشام؟

أجاب اللورد مبتسما: إن اعتراضات الزوج يا مستر بوارو لا تأخذ فى الاعتبار مطلقا هذه الأيام.

- إذن فلديك اعتراض؟

- ليس بالضبط، لكنى أعترف بأننى أخشى نتيجة اللقاء على زوجتى. ولأصارحك بالحقيقة. منذ سنوات عديدة مضت، عندما كانت زوجتى لا تزال فتاة صغيرة تعرضت لتجربة مأساوية أرجو أن تكون قد تغلبت على الصدمة التى خرجت بها منها، حتى أننى أميل إلى الاعتقاد أنها نسيتها كلية. وها أنت تعود لتنبش الماضى، ولابد أن تثير أسئلتك ذكريات قديمة.

- إن هذا لشىء مؤسف يا سيدى اللورد، وأستطيع أن أؤكد لك أننى سوف أكون عاقلا إلى أقصى الحدود، ولن أقول شيئا فيه ضرر لليدى ديتشام لأنها لابد وأن تكون رقيقة العواطف جياشة الأحاسيس.
وفجأة ضحك الرجل الآخر وقال:

- اليزا! إن اليزا قوية كالجواد. إن زوجتى قادرة على امتصاص أى عدد من الصدمات. وإننى لأتسائل إذا كنت تعرف غرضها من استقبالك؟

- ربما كان حب استطلاع؟

ظهر بريق الفهم والتقدير فى عينى اللورد وقال:

- إذن فأنت تعرف ذلك.

- إن هذا شىء محتمل. فالنساء لن يرفضن مطلقا لقاء مخبر سرى، أما الرجال فسوف يقولون له اذهب إلى الشيطان.

- بعض النساء قد يقلن له اذهب إلى الشيطان أيضا.

- سيكون ذلك بعد أن ينتهى اللقاء وليس قبله.

- ربما. ما هى الفكرة وراء هذا الكتاب الذى تكتبه؟

- إن الناس يعيدون تقديم الألحان القديمة، ديكورات المسرح القديمة والأزياء القديمة. إن هذا يتفق مع الطبيعة البشرية. إن الجريمة مأساة، والرغبة فى المأساة شعور قوى فى الجنس البشرى. وسوف لا يتعرض الكتاب بالتشويه للحقائق المعروفة.

- إن الحقائق هى ملك الجميع كما كنت أعتقد.

- نعم، ولكن ليس تفسير هذه الحقائق التعليق عليها.

- ما الذى تعنيه بهذا يا مستر بوارو؟

- يا عزيزى اللورد، إن هناك طرقا عديدة للنظر إلى حقيقة تاريخية. خذ مثلا: إن كتبا عديدة كتبت عن مارى ملكة اسكتلندا، مقدمة اياها على أنها ضحية، ثم على أنها عاهرة لا مبادىء لها، ثم على أنها قديسة ساذجة، ثم على أنها قاتلة متآمرة، وأخيرا على أنها ضحية الظروف والأقدار - ولكل امرء ما يشاء من تفسيرات.

- وماذا هناك فى هذه القضية؟ إن كريل قتلته زوجته وهذا شىء لا شك فيه: وأثناء المحاكمة تعرضت زوجتى لافتراءات شوهت سمعتها دون حق، ولقد اضطرت الشرطة لمحاكمتها حتى خرجت من المحكمة. لقد كان الرأى العام معاديا تماما.

- إن المجتمع الانجليزى حريص جدا على الأخلاق.

- اللعنة عليهم، وماذا عنك أيضا؟

- إننى أحيا حياة تتسم بالأخلاق، لكن هذا يختلف عن تمسك المرء بأفكار أخلاقية.

- لقد تساءلت أحيانا عن ماهية مسز كريل هذه. لقد ظهرت بمظهر الزوجة الضحية المغلوبة على أمرها! لدى شعور أن شيئا خلف هذا.

- إن زوجتك قد تعرف.

- إن زوجتى لم تذكر لى القضية مرة واحدة. على أية حال فهى فى انتظارك.

وفى الطريق إليها كانت مظاهر الثراء الفاحش فى كل ركن من القصر، أشياء قيمة بصرف النظر عن ذوقها، وقال بوارو لنفسه (إنها الخنزير الذى يأكل اللحم المشوى). ووجد نفسه داخل حجرة واسعة، وسيدة القصر واقفة إلى جوار المدفأة. وعلى الفور انبثقت فى ذهن بوارو جملة لم يستطع التخلص منها (لقد ماتت فى شبابها ...).

كانت هذه هى الفكرة التى ألحت عليه وهو ينظر إلى اليزا ديتشام التى كانت تدعى اليزا جرير. لم يكن سيعرفها طبعا من صورتها فى لوحة كريل، فقد كانت تلك تمثل الشباب، تمثل الحيوية. أما اليزا الحقيقية الماثلة أمامه الآن فليس شبابا ولا حيوية، لكنه تحقق أيضا - بأكثر مما تحقق من لوحة كريل - إن اليزا رائعة الجمال. نعم لقد كانت امرأة جميلة جدا. إن عمرها الآن لا يعدو السادسة والثلاثين لوكان عمرها وقت تلك المأساة عشرين. لكن بوارو شعر فوق ذلك ببعض الألم. فإن هذه لم تكن جولييت التى وصفها له العجوز جوناثان.

إن اليزاجرير قد تركت لتعيش، وها هى الآن تحييه فى صوت رتيب: إننى مهتمة بحضورك يا مستر بوارو. تفضل بالجلوس وأخبرنى بما تريدنى أن أفعله.

وفكر بواروفى نفسه (لكنها ليست مهتمة! ليس هناك فى هذا العالم ما يهمها) لكنه تمكن من القول:

- إننى مضطرب يا سيدتى، فأنا أعرف إن إعادة تخيل الماضى سيكون مدعاة للألم بالنسبة لك.

- أجابت وقد ظهرت علامات المرح على وجهها:

- أعتقد أن زوجى هو الذى وضع تلك الفكرة فى رأسك. لقد التقى بك عند قدومك، وهو طبعا لا يفهم شيئا، ليس معتادا على ذلك. إننى لست على الإطلاق تلك الإنسانة الرهيفة الحس التى يظنها. لقد كان أبى كما تعلم عاملا فى طاحونة - لقد تمكن بعمله وكفاحه من أن يحقق ثروة، وما كان له أن يفعل ذلك لو كان رقيقا. وأنا مثله.

ومرة أخرى فكر بوارو فى نفسه: (نعم، إن إنسانة رقيقة لم تكن لتذهب للبقاء فى منزل كارولين كريل لتخطف زوجها). ثم قال لها:

- هل أنت واثقة يا سيدتى أن العودة إلى الماضى لن تكون مؤلمة لك؟

- كلا، ليست مؤلمة، كنت أتمنى أن تكون.

- لماذا؟

- إنه من السخف ألا يشعر المرء بشىء على الإطلاق وفكر بوارو مرة أخرى (إن اليزا جرير قد ماتت).. ثم بصوت مرتفع:

- إن هذا يجعل مهمتى أسهل يا سيدتى. لكنى أخشى أن يؤلمك الرجوع إلى تلك التفاصيل.

- لن يؤلمنى هذا، فإن الأشياء تؤلم فقط عند حدوثها، وهذا ما لا

يستطيع زوجى أن يفهمه. إنه يتخيل أن المحاكمة والتحقيق كانا قطعة من العذاب بالنسبة لى.

- ألم تكن كذلك؟

- كلا لقد تمتعت بها، يا الهى. كيف واجهنى ديبليتش العجوز بالهجوم. إنه الشيطان بعينه. لكنى استطعت مقاومته ولم يستطع أن ينتصر على. أرجو ألا أكون قد أخرجتك من خيالاتك عنى يا مستر بوارو، فإن فتاة فى العشرين من عمرها كانت ستحس بالخجل والعار. لكننى لم أكن كذلك، ولم أهتم بما قالوه عنى. كان هناك شىء واحد أريده.

- وما هو؟

- أن تشنق كارولين.. ستظننى عدائية؟ وأننى لكذلك - تجاه أى شخص يسبب لى جراحا. إن تلك المرأة فى رأيى أحقر نوع من النساء - لقد عرفت أن امياس يحبنى، وأنه كان على وشك أن يهجرها، ومن ثم فقد قتلته حتى تحرمنى منه.. ألا تظن ذلك شيئا فظيعا منها؟

- ألا تفهمين وتقدرين موقف إنسانة غيورة؟

- كلا، لا أفعل لو أنك خسرت المعركة، فاعترف بذلك. وإذا لم تستطع الاحتفاظ بزوجها فلتتركه يذهب بسلام. إنه حب التملك.. ذلك الذى لا أفهمه.

- ربما كنت شعرت بمثلها لو أنك تزوجته.

- لا أظن ذلك.. اسمع. إننى أريد أن أوضح لك شيئا.. لا تظن أن امياس كريل قد غرر بفتاة بريئة.. لم يكن الأمر كذلك بالمرة؟ لقد كنت أنا - أكثر منه - مسئولة عن بدء تلك العلاقة. لقد التقيت به فى حفل

ووقعت فى غرامه، وعرفت أننى لابد لى من الحصول عليه.

- رغم أنه كان متزوجا؟

- إن من يدخلون أرض غيرهم يحاكمون؟ لكن الأمر يحتاج إلى أكثر من لوحة حتى يظل الناس خارج أرض غيرهم. فإذا كان غير سعيد مع زوجته وسعيدا معى، فلما لا آخذه؟ إن لنا حياة واحدة نحياها.

- لكن قيل أنه كان سعيدا مع زوجته؟

- كلا، كانا يتشاجران مثل الكلب والقطة - كانت مصدر غيظه باستمرار.. لقد كانت امرأة فظيعة.. ربما لا أكون منصفة بالنسبة لها، لكنى أعتقد إنها امرأة كريهة.

- لقد كانت مأساة كبيرة؟

- نعم كانت كذلك.

قالت ذلك واستدارت نحوه فجأة، ولحظ بوارو ارتعاشة حياة فى وجهها الجميل واستطردت:

- لقد قتلتنى تلك المأساة.. هل تفهم ذلك؟ لقد قتلتنى.. ومنذ ذلك الوقت لم يبق لى شىء.. ليس حولى سوى فراغ.. مثل السمكة المحشورة فى إناء من زجاج.

- هل كان امياس كريل يعنى كل شىء بالنسبة لك؟

أومأت برأسها بطريقة تثير الشفقة ثم قالت فى رزانة:

- لقد كان عقلى دائما يعمل فى اتجاه واحد، أظن أن المرء لابد أن يضع سكينا فى صدره - مثل جولييت. ولكن أن تفعل ذلك فإنك عندئذ

تعترف أنك قد انتهيت، وأن الحياة قد هزمتك.

- وبدلا من ذلك؟

- أن يكون لك كل شيء. أن تتغلب على المأساة. إنها لم تعد تعنى شيئا بالنسبة لى. عرفت أننى يجب أن أنتقل إلى مرحلة تالية.

نعم. المرحلة التالية. رآها بوارو فى خياله تحاول أن تحقق أطماعها بتلك الإرادة القوية. تخيلها امرأة جميلة تبحث عن شىء تتهبه لتملأ به حياة خاوية. لقد كانت دائما تعبد الأبطال، طيار مشهور، ثم مكتشف له أعماله ثم لورد ديتشام. قالت اليزا ديتشام:

- لم أكن منافقة مطلقا. إن المثل الأسبانى يقول: (خذ ما تريد وادفع ثمنه). لقد فعلت ذلك لقد أخذت ما أردت، لكننى كنت على الدوام راغبة فى دفع الثمن.

- لكن مالا تستطيعين فهمه هو أن هناك أشياء لا يمكن أن تشترى.

- إننى لم أقصد مجرد النقود.

- كلا، كلا، إننى أفهم ما تعنيه، هناك أشياء ليست أساسا للبيع.

- هراء.

ابتسم بوارو ابتسامة خافتة. كان فى صوتها نبرة عامل الطاحونة الذى وصل إلى الثروة. شعر نحوها فجأة بالشفقة. نظر إلى الوجه الناعم والعينين المتعبتين وتذكر الفتاة التى رسمها امياس كريل. قالت:

- أخبرنى بأمر هذا الكتاب. ما الهدف منه؟ من الذى فكر فيه؟ إنك لست كاتبا، أليس كذلك؟

- إننى خبير فى الجريمة.

- هل تقصد أن الناس تستشيرك فى أمور كتب الجريمة؟

- ليس على الدوام. فى حالتنا هذه لدى مهمة أؤديها.

- لصالح من؟

- كارلا ليمارشانت.

- ومن تكون؟

- ابنة امياس وكارولين كريل.

- نعم أتذكر أنه كانت لهما طفلة صغيرة. أعتقد أنها كبرت الآن.

- نعم، فى الحادية والعشرين من عمرها. فتاة طويلة سمراء تتمتع بشخصية قوية.

- أظن أننى أريد أن ألقاها.

- ربما تهتم هى بلقائك.

- لماذا؟ أوه، نعم. لكن يا له من لغو فارغ. لا يمكن لها أن تتذكر أى شىء، الآن فلم تكن عندئذ قد بلغت السادسة من عمرها.

- إنها تعلم أن أمها حوكمت لقتلها أبيها.

- وهى تظن أننى السبب فى ذلك؟

- ربما كان هذا تفسيرا صحيحا.

- يا له من غباء - لو أن كارولين قد تصرفت مثل مخلوق عاقل لما...

- إذن فليس عليك مسئولية ما.

- ولماذا؟ ليس هناك ما أخجل منه. لقد أحببته وجعلته سعيدا.

وفجأة وكأنما تغيرت ملامحها وعادت مرة أخرى فتاة اللوحة.. استطردت: لو استطعت أن أجعلك تفهم - لو أنك رأيت الموقف من زاويتى - لو أنك فقط تعرف.

- ولكن هو ما أريده.. أن أعرف. إن مستر فيليب بليك الذى كان هنا فى ذلك الوقت سيكتب لى تقريرا شاملا بكل ما حدث. وسوف يفعل مستر ميرديث بليك نفس الشىء. ولو أنك...

التقطت اليزا ديتشام أنفاسها وقالت بازدراء:

- هذين الاثنين! لقد كان فيليب نائما غبيا - أما ميرديث فقد كان يحوم حول كارولين. لكنه كان أليفا على الدوام. لكنك لن تخرج بشىء حقيقى من تقريرهما. ومرة أخرى لمح الحياة والحيوية تعودان إليها. عادت امرأة تحيا من بقايا المرأة التى ماتت. استطردت قائلة بسرعة وغضب: هل تريد الحقيقة؟ إنها ليست للنشر، بل فقط لتسمعها أنت:

- أتعهد بألا أنشر شيئا دون موافقتك.

- أريد أن تكتب الحقيقة، أن تعود إلى الماضى؟ أن تظهر كيف أنها كانت.... لقد قتلته. قتلت امياس.... امياس الذى كان يريد أن يعيش وأن يتمتع بالحياة.. ليس للكراهية أن تكون أقوى من الحب.. لكن كراهيتها كانت أقوى. وكراهيتى لها.. إننى أمقتها... اسمع لابد لك أن تفهم، أن تشعر كيف كانت عواطفنا أنا وامياس وسأريك شيئا.

اتجهت إلى الناحية الأخرى من الحجرة وأخرجت من أحد الأدراج

السرية خطابا بهت لون الحبر عليه. ألقته بين يدى بوارو. تذكر بوارو طفلة ما - فى يوم ما - ألقت بين يديه بقوقعة كانت تعتز بها، وقفت على البعد ترقبه وهى تحس بالفخر والخوف من رد الفعل لديه. فض الخطاب ليقرأ:

اليزا أيتها الطفلة الرائعة. إننى لم أر مثل جمالك فى حياتى، ورغم ذلك فأنا خائف - لأننى رجل عجوز - فى منتصف العمر - شيطان لا يستقر على حال. لا تثقى فى أو تعتمدى على إخلاصى - إننى فيما عدا عملى - أصلح لشىء. إن أفضل ما فى هو عملى. والآن لا تقولى أننى لم أحذرك.

اللعنة على كل شىء - إننى سآخذك مهما كان الأمر. سأذهب إلى الجحيم لأجلك وأنت تعرفين ذلك. وسوف أرسم لك لوحة تجعل هذا العالم الأحمق يحبس أنفاسه حينما يراها. إننى مفتون بك ولا أستطيع أن آكل أو أنام - اليزا. اليزا. اليزا. أنا لك دوما وحتى الموت.

كان الخطاب قد كتب منذ ستة عشر عاما - والحبر قد بهت لونه، لكن الكلمات لا تزال حية تنبض وتتحرك ونظر بوارو إلى المرأة التى كتبت لها هذه الكلمات. لكن من يراها الآن لن يجدها امرأة:

كانت فتاة صغيرة غارقة فى الحب.

وفكر مرة أخرى فى جولييت.



الخنزير الصغير لا يملك شيئا

- هل لى أن أسألك السبب يا مستر بوارو؟

فكر بوارو لحظة فى الإجابة. كان يشعر بعينيها الحادتين الفاحصتين ترقبانه داخل وجهها المغضن. كان قد صعد إلى حجرة مس سسليا وليامز فى ذلك الحى الفقير الذى بنيت فيه البيوت بحيث تشمل حجرات صغيرة مستقلة للعاملات من النساء. كانت حجرة وحيدة تستخدمها فى كل شىء. لكن رغم الفقر البادى على كل شىء فقد نجحت مس وليامز فى أن تصبغ كل شىء بشخصيتها. فلقد غطت الجدران بلوحات مقلدة لهذا الرسام وذاك وردت قولها قائلة:

- إنك تريد ذكرياتى عن قضية كريل. هل لى أن أعرف لماذا؟

كان يمكن لهيركيول بوارو أن يكذب فى أوقات ما، لكنه مع مس وليامز - المربية الحازمة شعر أنه صبى صغير تسأله إذا كان قد غسل أسنانه أم فلا يستطيع إلا أن يجيب بالصدق. وبدلا من أن ينسج قصة كتابته كتابا عن الجريمة شرح لها فى بساطة تكليف كارلا ليمارشانت له بالمهمة وقالت السيدة العجوز بعد أن استمعت إليه فى اهتمام:

- يهمنى أن أسمع أنباء هذه الطفلة وما هو مصيرها الآن؟

- لقد أصبحت شابة جميلة جذابة، لها شخصية قوية مستقلة، ليست من هؤلاء الأشخاص الذين يمكن اثناؤهم عن قرارهم بسهولة.

- هل اتجهت للفن؟ لا أظن ذلك.

- حسنا ما فعلت، فإن وصفك لها يوحى بأنها قد شبت لأبيها وليست لأمها. إننى أريد أن أراها فإنه من المفرح أن ترى شخصا تعرفه فى صغره وقد شب عن الطوق.

- أعتقد أنها كانت صغيرة جدا عما رأيتها آخر مرة.

- كانت فى الخامسة من عمرها تقريبا. طفلة جذابة تميل إلى الهدوء والتفكير وتنصرف إلى لعبها الصغيرة ولا تهتم بأن يساعدها أحد. ومن حسن حظها أنها كانت صغيرة عندما حدثت المأساة، فلو أنها كانت أكبر سنا لأحدثت ضررا بالغا.

- ورغم ذلك فإن المرء لا يشعر أن هناك شيئا فى الأفق، فرغم أنه لا يسمح للطفل بأن يرى أو يفهم الكثير، فإنه يحس بأن هناك شيئا غامضا لا يفهمه وهذا ضار أيضا. ولكن دعينى أسألك سؤالا وربما كنت أنت الوحيدة التى يمكنك شرحه.

- وما هو؟

- إن هناك أشياء لا أستطيع تحديدها بالنسبة لها. أشعر أن الطفلة - عندما يذكر اسمها لا تعطى الاهتمام الكافى، بل إن إستجابة الآخرين لسماع الاسم لا يكون سوى دهشة غامضة وكأن الشخص الذى أتحدث إليه قد نسى كل شىء عنها. إن هذا ليس طبيعيا كما تعرفين! إن طفلة فى مثل سنها لابد أن يكون لها الاهتمام كله فى مثل

كل هذه الظروف، ليس لشخصها، بل لأنها محور حيوى. ربما كان لامياس كريل أسبابه لهجر زوجته، أو لعدم هجرها، لكنه عند الانفصال يشكل الأطفال نقطة هامة جدا، لكن فى حالتنا هذه فإن الطفلة لا تشكل أهمية على الإطلاق. إن هذا يبدو لى غريبا.

- لقد وضعت أصابعك على نقطة هامة يا مستر بوارو. إنك على حق تماما فيما قلت، وهذا من ناحية ما السبب فيما قلته لتوى من أن نقل كارلا إلى بيئة مختلفة كان له أثر طيب عليها. ولو كانت أكبر سنا لقاست من حنينها إلى بيتها الأول. إنه على مدى عملى الطويل فى هذا الميدان رأيت أطفالا كثيرين - معظم الأطفال - يعانون من الاهتمام الزائد من ناحية آبائهم.وأمهاتهم، وفى حالة الطفل الوحيد تزداد هذه المعاناة، فإن الطفل يريد أحيانا أن يكون بمفرده بعيدا عن الرقابة. وهذا نفسه له تأثير سيىء على الزواج، فالزوج يكره أن يأتى إلى المرتبة الثانية بعد الطفل، ولذلك فهو يبحث عن الاهتمام والرعاية فى مكان آخر، وهنا يكون الطلاق هو الخاتمة، وأنا مقتنعه أن أفضل شىء للطفل هو ما اسميه الإهمال الصحى من جانب الأبوين، وهذا يحدث بطريقة طبيعية فى حالة أسرة كبيرة لها أطفال عديدة بامكانيات مادية ضيقة.إنهم يهملون فعلا لأن ليس لديها الوقت للانشغال بهم. إنهم يدركون جيدا أنها تحبهم، لكن رعايتها لهم لا تضايقهم. وعلى الناحية الأخرى نجد الزوج وامرأته يكتفى كل واحد منهما بالآخر بحيث لا يبدو عليهما اهتمام بالطفل. وفى مثل هذه الظروف يحس الطفل بالخيانة ويشعر أنه قد ترك فى العراء، أما بالنسبة لمسز كريل فإنها كانت أما ممتازة، تلعب مع كارلا فى الأوقات المناسبة، لكنها أيضا كانت تهتم

بزوجها إلى أقصى حد، بل إن وجودها نفسه كان متلاشيا فى وجوده وربما كان ذلك هو المبرر الوحيد لما فعلته.

- هل تقصدين أنهما كانا أكثر شبها بعاشقين منهما بزوج وزوجته؟

- تستطيع أن تقول ذلك بطريقة ما، لكنه طبعا كان رجلا!

- إنك لا تضمرين إحساسا بالحب نحو الرجال.

- إن الرجال لهم أحسن ما فى العالم. إننى أرجو ألا يستديم الوضع على هذا المنوال طويلا.

- إذن فلم تكونى تحبين امياس كريل؟

- بالتأكيد لم أكن أحبه، ولم أوافق على أفعاله مطلقا، ولو أننى كنت زوجته لتركته منذ زمن فإن هناك أشياء لا تستطيع المرأة أن تتحملها. فإن على المرأة أن تحترم نفسها وألا تخضع للازدراء.

- هل قلت شيئا كهذا لمسز كريل؟ كلا بالتأكيد فلم يكن لى أن أقول ذلك بحكم عملى فإننى مستخدمة لتعليم انجلا وليس لكى أقدم نصائح لم تطلب منى إلى مسز كريل. لو أننى فعلت ذلك لكان سوء تصرف منى.

- لكنك كنت تحبين مسز كريل.

- لقد كنت مغرمة جدا بها، ولقد أسفت لما حدث لها.

- وماذا عن تلميذتك آنجلا وارن؟

- كانت فتاة رائعة.. من أكثر التلميذات اللائى قابلتهن ذكاء. كان ذهنها متوقدا رغم انفعالها السريع وأفعالها الطائشة، لكنها كانت على العموم شخصية قوية، وكنت آمل على الدوام أن تفعل شيئا له شأن.

ولقد فعلت! لابد أنك قرأت عن اكتشافاتها فى الصحراء وفى الفيوم. إننى فخورة بانجلا رغم أنى لم أمكث معها فى أولبرى سوى عامين ونصف لكننى أحب أن أعتقد أننى استطعت أن أساعدها فى اكتشاف ذكائها وحبها للحفريات.

– فهمت أنه كان قد اتخذ قرارا بإرسالها إلى المدرسة. لابد أنك غضبت لمثل هذا القرار؟

– كلا على الإطلاق يامستر بوارو. لقد كنت موافقة عليه تماما. دعنى أوضح لك المسألة: لقد كانت انجلا فتاة عزيزة على، لكنها كانت مع ذلك فتاة صعبة المراس. وكانت قد بدأت فعلا فى السن الصعبة التى تشعر فيها الفتاة بعد ثقتها بنفسها، فهى ليست بطفلة وليست بامرأة. فإنه فى لحظة ما تكون انجلا عاقلة ناضجة، لكنها فى اللحظة التالية تصبح طفلة طائشة عصبية تقوم بحيل شريرة. وفى هذا السن تكون المدرسة شىء رائع، فهى تجد فيها عقولا أخرى تحفز عقلها، ومجتمعا منظما متكاملا يساعدها على أن تصبح عضوا عاملا فيه. إن ظروف انجلا فى المنزل لم تكن مثالية، ذلك لأن مسز كريل أفسدتها تماما برعايتها وحبها الدائمين. وقد نتج عن ذلك مشاجرات بين مستر كريل وزوجته، لأنه كان يريد أن يكون فى المرتبة الأولى. لقد كان يحب الفتاة وكانا فى معظم الأحيان صديقين، لكنه فى أحيان أخرى كان يغضبه اهتمام مسز كريل الزائد بانجلا. وعندما كان يتشاجر مع انجلا كانت كارولين تأخذ جانبها فيجعله ذلك حانقا. وفى أحيان أخرى كانت انجلا تثيره بحيلها، بأن تضع بعض الملح فى خمره وهو الذى اعتاد أن يصبه مرة واحدة. ولقد كانت حيلتها الأخيرة

السبب فى قراره بإرسالها إلى المدرسة حينما وضعت بعض الديدان فى فراشه.

توقفت مس وليامز لحظة ريثما التقطت أنفاسها واستطردت:

- كان قرارا لا رجعه فيه، غضبت له انجلا رغم أنها كانت قد عبرت مرة أو اثنين عن ترحيبها بالذهاب إلى المدرسة. وعندما سئلت حبذت ذلك القرار وكانت على وشك الالتحاق بالمدرسة فى الخريف. ولكن المسألة برمتها كانت خلفية سيئة لكل ما حدث بعد ذلك الصيف.

- هل تعنين مجئ اليزا جرير؟ وما رأيك فيها؟

قالت مس وليامز بحدة وهى تزم شفتيها:

- ليس لدى رأى فيها على الإطلاق، فهى امرأة لا أخلاق لها البتة.

- لكنها كانت صغيرة السن.

- كانت كبيرة بما يكفى، ولا أستطيع أن أجد لها عذرا على الإطلاق.

- لقد وقعت فى غرامه وأعتقد أنها..

قاطعته مسز وليامز فى غضب صائحه: وقعت فى حبه حقيقة. أظن يا مستر بوارو أنه مهما كانت عواطفنا فإننا يجب أن نسيطر عليها. ونسيطر كذلك على انفعالنا. إن تلك الفتاة لم تكن لها مبادئ أو أخلاق من أى نوع. لم يعن شيئا بالنسبة لها أن مستر كريل كان رجلا متزوجا. لابد أنها تلقت تربية سيئة فهذا هو العذر الوحيد الذى التمسه لها.

- لابد أن موت مستر كريل كان صدمة شديدة لها.

- أوه نعم، رغم أنها هى الوحيدة الملومة على ذلك، إننى لا أذهب

إلى حد اتهامها بالمشاركة فى الجريمة، لكن لو أن امرأة دفعت إلى نقطة الانهيار دفعا لكانت هذه المرأة هى كارولين كريل. أقول لك بصراحة. إنه كانت هناك لحظات أصررت فيها أن أقتلهما معا. تلك اللحظات التى سمعت فيها الفتاة توجه الإهانات لمسز كريل. كلا يا مستر بوارو إن امياس كريل قد لقى ما يستحقه، فإنه ليس لرجل أن يعامل زوجته كما كان يعاملها ولقد نال عقابه.

- إن مشاعرك بالغضب قوية...

- إن مشاعرى قوية تجاه رابطة الزوجية، فإذا لم تحترم هذه الرابطة فإن المجتمع كله ينهار. إن مسز كريل كانت زوجة مخلصة وفية، لكن زوجها أتى عن عمد بعشيقته إلى منزلها، ولقد نال ما يستحقه لأنه ضايقها بأقصى ما يستطيع تحمله أى إنسان، وعن نفسى فإننى لا ألومها على ما فعلته.

- لقد كانت تصرفاته سيئة، اعترف بذلك، لكن تذكرى أنه كان فنانا عظيما.

- نعم. إن هذا هو العذر دائما هذه الأيام. فنان! إن هذا، هو العذر للحياة المنحلة من كل نوع - الخيانة - السكر - والعربدة. ومن أى نوع كان امياس كريل فنانا؟ إن من المعتاد أن يعجب المرء ببعض اللوحات لعدة أعوام، لكن هذا لا يدوم، بالإضافة إلى أن أبعاد صوره كانت مخيفة وتشريحه كان خاطئا. كلا لا تطالبنى بأن أعجب برسومه.

قال بوارو بغير وضوح: هل كنت مع مسز كريل عندما اكتشفت الجثة؟

- نعم تركت المنزل معها بعد الغداء. كانت انجلا قد تركت معطفها

على الشاطىء بعد السباحة أو ربما فى القارب، ولقد كانت على الدوام تهمل أشياءها هنا وهناك. تركت مسز كريل عند باب حديقة المدفعية، لكننى سمعت صوت ندائها على الفور. أعتقد أن مستر كريل كان قد مات منذ أكثر من ساعة، كان ممدا على المقعد الطويل بالقرب من حامل لوحاته.

- هل كانت مسز كريل حزينة جدا عند اكتشافها لجثته؟

- ما الذى تقصده بالضبط يا مستر بوارو؟

- إننى أسألك عن انطباعاتك فى ذلك الوقت.

- فهمت، نعم لقد كانت توشك أن يغمى عليها. أرسلتنى لأطلب الطبيب بالتليفون. ذلك لأننا قبل كل شىء لم نكن قد تأكدنا أنه مات، ربما كان الأمر مجرد إغماء.

- هل عبرت هى عن هذا الاحتمال؟ لا أتذكر.

- هل ذهبت لطلب الطبيب بالتليفون؟

- قطعت نصف الطريق عندما قابلت مستر ميرديث بليك وعهدت إليه بمهمتى وعدت أنا إلى مسز كريل. ظننت أنها يمكن أن تكون قد انهارت - والرجال لا يفيدون كثيرا فى مثل هذه الحالات.

- وهل كانت قد انهارت؟

- كانت مسيطرة على نفسها تماما. كانت امرأة مختلفة عن اليزا جرير التى ناحت وولت وحاولت مهاجمة مسز كريل.

- تقصدين أنها أدركت أن مسز كريل مسئولة عن موت مستر كريل؟

فكرت مس وليامز فى الإجابة لحظة قبل أن تقول:

- كلا لم تكن واثقة تماما، فإن هذا الشك لم يكن قد نشأ بعد، لقد صاحت اليزا جرير فقط قائلة: (إن هذا فعلك يا كارولين. لقد قتلته. إنه خطؤك). ولم تقل فعلا (لقد وضعت له السم). لكن لم يكن هناك شك فى أن ظنونها قد ذهبت هذا الاتجاه.

- وماذا عن مسز كريل نفسها؟

- لا أستطيع يا مستر بوارو أن أخبرك بحقيقة مشاعر مسز كريل وعما إذا كان ذلك مجرد هلع أو خوف، لكن ذلك كان طبيعيا تماما.

- نعم ولكن ماذا كانت وجهة نظرها الرسمية فى مقتل زوجها؟

- الانتحار. لقد قالت ذلك بكل تحديد من أول الأمر.

- هل قالت نفس الشيء عندما تتحدث إليك على انفراد، أم كانت لها نظرية أخرى؟

- كلا لقد بذلت جهدا لكى تقنعنى بأن الأمر لابد وأن يكون انتحارا.

- وماذا قلت إجابة على ذلك؟

- هل يهمك أن تعرف ماذا قلت يا مستر بوارو؟ إننى لا أرى سببا لذلك، لابد أننى قلت (بالتأكيد يا مسز كريل، لابد أنه كان انتحارا)..

- هل كنت مقتنعة بما قلته بنفسك؟

رفعت مس وليامز رأسها فى دهشة وقالت فى حزم:

- كلا... لم أكن مقتنعة، ولكن أرجوك أن تفهم يا مستر بوارو أننى كنت فى صف مسز كريل كلية، كان كل تعاطفى معها وليس مع الشرطة.

- كنت تفضلين لو أنها برئت. نعم.

- إذن فأنت تتعاطفين مع مشاعر ابنتها، حسنا فلا أعتقد ان لديك اعتراضا على أن تكتبى لها تقريرا وافيا عن المأساة.

- هل تريده لكارلا لكى تقرؤه؟ حسنا ليس لدى اعتراض إذا كان الأمر كذلك. هل هى مصرة على أن تبحث الأمر برمته من جديد بنفسها؟

- نعم وإنى لأظن أنه كان من الأفضل لها ألا تعرف بالمأساة برمتها.

قاطعته مس وليامز قائلة: كلا. إنه دائما أن تواجه الحقيقة. ليس من المفيد على الإطلاق تجنب أى تعاسة عن طريق قلب الحقائق. لقد نالت كارلا صدمتها وهى تعرف الحقيقة.. وهى الآن تريد أن تعرف بالضبط كيف تمت المأساة. إن هذا يبدو الموقف الصائب لامرأة شابة شجاعة. وحالما تعرف كل شىء عن الموضوع فسوف يكون فى مقدورها أن تنساه وأن تعيش حياتها الخاصة.

- لكنها تطلب ما هو أكثر من ذلك. تريد أن تبرهن على براءة أمها.

- يا للفتاة البائسة. إننى أفهم الآن لماذا قلت أنه كان من الأفضل لها ألا تعرف بالأمر برمته. لكن على كل فإننى أعتقد أنه من الأفضل لها أن تعرف. ورغبتها فى أن تكشف براءة أمها شىء طبيعى رغم أن الحقيقة الواقعية ستكون قاسية، لكن مما عرفت منك عن كارلا فإنها ستواجه الحقيقة بشجاعة.

- ولكن هل أنت واثقة أن تلك هى الحقيقة؟..

أعتقد أنه أليس هناك بصيص من ضوء فى أن تكون مسز كريل بريئة؟

- لا أظن أن هذا الاحتمال قد نوقش بجدية مطلقة.

- لكن مسز كريل نفسها تعلقت بنظرية الانتحار.

- كان على المرأة المسكينة أن تقول شيئا.

- هل تعرفين أن مسز كريل وهى تموت تركت خطابا لابنتها تقسم فيه بشدة على أنها بريئة.

حدقت فيه مسز وليامز بدهشة وقالت بحدة:

- لقد كان ذلك عملا خاطئا منها.

- هل هذا رأيك؟ نعم وإنى لا أجرؤ على القول بأنك عاطفى كبقية الرجال. لماذا تكتب كذبة مثل هذه تقسم عليها فى لحظتها الأخيرة؟ هل تفعل أنت ذلك لتجنب طفلك الألم؟ نعم إن نساء كثيرات قد يفعلن ذلك، لكنى لم أكن أظن أن مسز كريل - وهى كما عرفتها امرأة شجاعة تفعل ذلك. كنت أتوقع منها أن تكتب لابنتها تسألها ألا تدينها.

- إذن فإنك لا تأخذين حتى فى اعتبارك احتمال أن تكون ما كتبته مسز كريل هو الحق - ذلك رغم أنك تقرين بحبها لك.

- لقد أجبتها حقا وكنت متعاطفة معها إلى أقصى حد... إنك لن تفهم يا مستر بوارو... لكن ذلك حدث منذ وقت بعيد ولم يعد يهم. اسمع لقد حدث ما جعلنى أعرف أن مسز كريل كانت مذنبة.

- ماذا تقولين؟

- هذه هى الحقيقة سواء كنت على حق بعدم إفشاء ما أعرفه فى ذلك الوقت أم لا - لكنى أخفيت ما أعرف، لكن عليك أنت أن تعرف بكل تأكيد. إننى واثقة أن كارولين كريل كانت مذنبة.

الخنزير الصغير يولول

كانت شقة انجلا وارن تطل على حديقة ريجنت. كان يوما ربيعيا دخل فيه الهواء المنعش من نافذة الحجرة التى دخل إليها بوارو. وسرعان ما استدار عندما فتح الباب ليلقى انجلا وارن.

لم تكن تلك أول مرة يراها فيها. فلقد كلف نفسه مشقة الذهاب إلى إحدى محاضراتها التى كانت تلقيها فى المعهد الملكى الجغرافى.كانت محاضرة ممتازة ألقتها مس وارن بمهارة فى صوت واضح جذبت به اهتمام الجميع رغم أنه كان موضوعا جافا بالنسبة للجمهور. اتضح له عندئذ أنه شخص له ذهن منظم ذكى.

وهى الآن عندما يراها بشخصها يدرك أن انجلا وارن كان يمكن أن تكون امرأة جميلة رغم ملامحها التى تميل إلى القسوة. ولم يكن بها ما يشير إلى الخنزير الصغير الذى ينتحب، فيما عدا التشويه الذى نتج عن جرح غائر شفى مع الزمن. كانت العين اليمنى مشوهه قليلا، وقد انضم ركن عينها أكثر من اللازم، لكن أحدا لم يكن يمكنه أن

يتحقق من أن تلك العين قد فقدت أبصارها. وبدا لهركيول بوارو أنها عاشت مع هذا التشويه مدة طويلة حتى أنها لم تعد تشعر بوجوده. وخطر لبوارو أنه من الخمسة أشخاص الذين يهتم بسؤالهم، بدا له أن هؤلاء الذين بدو وكأن لهم كل المميزات لم يكونوا قد نالوا سعادة مثل التى تنالها انجلا. فإن اليزا التى كانت منذ البداية رائعة الجمال، واسعة الثراء، قد انتهت وكأنها زهرة نزل عليها الصقيع وقتلت فى برعمها. أما سيسليا وليامز التى بدت لعين الناظر من الخارج وكأنها معدمة، فإنه لم يشعر لديها بإحساس بالفشل. بل إنها كانت لا تزال مهتمة بالناس والأحداث أما الآن فها هى انجلا وارن - الشابة المشوهة التى لابد أن تحس بالاستكانة، فإن بوارو لمح فيها روحا يقظة مشتعلة بحاجتها للكفاح فى سبيل اكتساب الثقة والشهرة. لقد ذهبت الفتاة الصغيرة الجامحة لتصبح امرأة كاملة الشخصية والحيوية، موهوبة بنشاط وافر وأهداف طموحة. كانت امرأة سعيدة ناجحة، حياتها مليئة بالمتعة والآمال.

كان من السهل مع امرأة كانجلا وارن أن يصل إلى هدف زيارته مباشرة. أعاد على مسمعها ببساطة لقاءه مع كارلا ليمارشانت. أضاء وجه انجلا وارن بفهم وقالت:

- كارلا الصغيرة؟ هل هى هنا الآن؟ إننى أرغب فى رؤيتها.

- إنك لم تستمرى فى صلتك بها، أليس كذلك؟

- ليس بالقدر الذى كنت أود أن يكون. لقد كنت فى المدرسة عندما ذهبت هى إلى كندا، واعتقدت أنها سوف تنسانا بعد عام أو عامين. أما فى الأعوام القليلة الماضية فلم يكن بيننا سوى هدية على عيد

الميلاد بين حين وآخر. ذلك أننى تخيلت أنها لابد أن تكون قد اندمجت فى الحياة فى كندا، وأن مستقبلها سيكون هناك. وكان هذا أفضل بالنسبة للظروف.

- ربما كان الأمر كذلك حقا - تغير فى الاسم وتغير فى المكان يخلقان حياة جديدة. لكن الأمر لم يكن بمثل هذه السهولة.

ثم أخبرها بأمر خطبة كارلا واكتشافها للرسالة التى تركتها لها أمها عندما بلغت سن الرشد وحضورها إلى انجلترا. استمعت إليه انجلا وارن فى هدوء وعندما انتهى من روايته قالت بهدوء:

- إن هذا أفضل لكارلا.

دهش بوارو لأن هذه هى المرة الأولى التى يواجه فيها بمثل هذا التعليق وقال: إذن فأنت توافقينها يا مس وارن.

- بالتأكيد وأرجو لها النجاح. وسوف أفعل كل شىء يمكن أن يساعدها. إننى أشعر بالذنب إذ أننى لم أحاول أن أفعل شيئا فى هذا المجال بنفسى.

- إذن فأنت تعتقدين أن هناك احتمالا بأن نظريتها قد تكون صحيحة؟

قالت انجلا وارن بحدة:

- بالطبع إنها على حق. إن كارولين لم تقتله، ولقد كنت أعلم ذلك على الدوام.

- إنك تدهشيننى يا آنستى، فإن كل شخص تحدثت إليه....

قاطعته انجلا وارن بحدة قائلة:

- ليس لك أن تعتمد على ما سمعت ليس لدى شك فى أن الأدلة الملموسة مقنعة، لكن اعتقادى المبنى على معرفتى لأختى يقول بأن كارولين بالتأكيد لا يمكن أن تقتل أى إنسان.

- هل يمكنك أن تقولى ذلك عن أى كائن بشرى؟

- ربما فى معظم الحالات. أننى أوافقك على أن الحيوان الآدمى يمكن أن يأتى بالمفاجآت، ولكن حالة كارولين هناك أسباب لا يمكن لأحد تقديرها مثلى.

ولمست خدها المشوهة واستطردت قائلة:

- هل ترى هذا؟ ربما كنت قد سمعت عنها؟ إن ذلك من فعل كارولين، ولهذا السبب فإننى واثقة أنها لا يمكن أن ترتكب جريمة.

- لكن هذا ليس بالدليل المقنع لمعظم الناس.

- كلا ولقد يكون على العكس، ولقد استخدم فعلا على ذلك الأساس كما اعتقد، استخدم دليلا على أن كارولين عصبية المزاج وسريعة الانفعال، ذلك لأنها أصابتنى وأنا طفلة، ومن ثم فإنها قادرة على أن تضع السم لزوج غير مخلص.

- إننى على أقل أتفهم الفرق. فإن نوبة من الانفعال المفاجىء الجامح لا يمكن أن يقود إلى استخدام السم عن عمد واصرار فى اليوم التالى.

- إننى لم أقصد ذلك على الإطلاق، سأشرح لك ما أريد. افترض أنك شخص عاطفى طيب لكنك أيضا معرض للشعور بالغيرة الحادة، وافرض أنك فى نوبة غضب جامحة قد اقتربت من ارتكاب حادث قتل.

فكر عندئذ فى الصدمة العنيفة والفزع وتأنيب الضمير الذى يسيطر عليك. وبالنسبة لشخص حساس مثل كارولين فإن الفزع وتأنيب الضمير لم يتركانها لحظة واحدة. إننى لم أشعر بذلك فى ذلك الوقت بوضوح، ولكنى عندما أعود بذاكرتى إلى الماضى أدرك موقفها بوضوح. لقد كان أشد ما يسيطر على حياة كارولين استمرار إحساسها بأنها قد آذتنى، وهذا الإحساس لم يتركها لحظة واحدة فى سلام، بل إنه أعطى لونا خاصا لانفعالها كله. كان يفسر موقفها نحوى بأن كانت تقدمنى على أى شىء آخر. ونصف المشاجرات التى كانت بينها وبين امياس كريل كانت بسببى. لقد كنت أميل للإحساس بالغيره نحوه ومن ثم ضايقته بكل أنواع الحيل، بوضع الملح فى شرابه والديدان فى فراشه، لكن كارولين رغم ذلك كانت تقف فى صفى.

توقفت مس وارن لحظة قبل أن تستأنف قائلة:

- لقد أفسدتنى تماما بتدليلها لى، لكن ما أعنيه هو أن تلك الفورة العنيفة جعلتها تحجم عن أى عمل من نفس النوع. كانت ترقب نفسها باستمرار، خائفة من أن يتكرر ما حدث مرة أخرى، وكانت تتخذ كل احتياط ضد ذلك، ومن هذه الاحتياطات اسرافها فى الكلام. شعرت أنها لو كانت عنيفة بما يكفى فى حديثها فإن ذلك سيجنبها العنف فى انفعالها. ولقد وجدت بالتجربة أن ذلك مفيد، ومن ثم فكنت تسمع كارولين تقول لزوجها (لو أنك ضايقتنى فسوف أقتلك. لقد أدركت أن ميلها للعنف كان فى طبيعتها، ومن ثم كانت تتنفس عن هذا الميل بالكلام، ولقد اعتادت هى وامياس كريل أن يتشاجرا كثيرا بهذه الطريقة.

- نعم هناك دليل على ذلك، على أنهما كانا يتشاجران كالقطة والكلب.

- بالضبط، وأن هذا هو الشىء الغبى والمضلل فى الدليل على جرمها. إن كارولين وامياس كانا يتشاجران طبعا، ويقولان أشياء فظيعة كل للآخر، ولكن مالا يفهمه الناس أنهما كانا يتمتعان بالشجار. كان كل منهما يحب الناحية المأساوية والمناظر الانفعالية. إن معظم الرجال لا يحبون ذلك فهم يحبون الهدوء. لكن امياس كان فنانا يحب الصياح والتهديد والتظاهر بالغضب وكان ذلك ينفس عما به. كان من نوع الرجال الذين إذا فقدوا زرارا يقلب البيت رأسا على عقب. إننى أعرف أن ذلك سخف، لكن هذا كان ما يظنه امياس وكارولين، الشىء الظريف فى الحياة.

حركت انجلا وارن يدها تعبر عن عدم صبرها ثم استطردت قائلة:

- لو أنهم فقط لم يبعدونى لاستطعت أن أقدم شهادتى ولأخبرتهم بكل هذا. لكنى لا أعتقد أنهم كانوا سيصدقوننى. على أية حال إن ذلك ربما لا يكون واضحا فى ذهنى عندئذ كما هو الآن.

إن كل ذلك كان شيئا أعرفه دون أن أفكر فيه، ولم يكن يخطر لى أن أعبر عنه بالكلمات.

- إننى أدرك حقيقة كل ما سمعته منك. إن هناك أشخاصا الاتفاق بينهم يسبب نوعا من الرتابة، وهم يطلبون الشقاق لخلق شىء مثير فى حياتهم، ولكن يا مس وارن هل لى أن أسألك ماذا كانت مشاعرك فى ذلك الوقت؟

- الدهشة واليأس كاملين. كان الأمر برمته مثل الكابوس. سرعان ما قبض على كارولين - بعد الحادث بثلاثة أيام كما أعتقد، ولازلت أتذكر غضبى وحنقى وثقتى الطفولية أنه لابد أن يكون هناك خطأ ما،

وأن كل شىء سيعود إلى مجراه الطبيعى. كان أهم ما يشغل بال كارولين هو أنا، أرادت أن تبعدنى بأسرع وقت ممكن، وأقنعت مس وليامز بأن تأخذنى إلى بعض الأقارب فورا، خاصة ولم يكن لدى الشرطة أى اعتراض ثم تقرر أن شهادتى لن تحتاج إليها، ومن ثم فقد اتخذت ترتيبات لإرسالى إلى مدرسة داخلية فى الخارج. لقد كرهت الذهاب بالطبع، لكنهم شرحوا لى أن كارولين كانت مشغولة بى، وأن الطريقة الوحيدة لمساعدتها هى أن أذهب.

وتوقفت مس وارن لحظة قبل أن تستطرد:

- وهكذا ذهبت إلى ميونخ وكنت هناك عندما نطق بالحكم. ولم يسمحوا لى برؤية كارولين وهو الشىء الذى لم تقبل به هى أيضا. إن هذه هى المرة الوحيدة كما أعتقد التى لم تفهم فيها الأمور على حقيقتها.

- لا يمكن أن تتأكدى من ذلك يا مس وارن فإن زيارة شخص تحبينه فى السجن ربما يخلق انطباعا مخيفا فى فتاة حساسة رقيقة صغيرة السن.

- ربما. وبعد االنطق بالحكم كتبت لى أختى رسالة لم أظهرها لأى مخلوق. أظن أنه يجب أن أريك إياها الآن، فقد تساعدك فى فهم شخصية كارولين. وإذا أحببت يمكنك أن تريها لكارلا أيضا.

اتجهت إلى الباب واستدارت قائلة: تعال معى. إن هناك صورة لكارولين فى حجرتى. وللحظة ظل بوارو يحدق فى الصورة. كان لها وجه طويل بيضاوى عليه تعبير خجول رقيق. كان زوجها غير واثق من نفسه، عاطفى له جماله الداخلى. كان ينقصه قوة وحيوية وجه ابنتها - ولابد أن كارلا ليمارشانت قد ورثت نشاطها ومرحها من أبيها. أما

كارولين فقد كانت مخلوقا أقل إيجابية، ورغم ذلك فقد فهم هيركيول بوارو كيف أن رجلا خياليا مثل فوج لم يستطع نسيانها مطلقا.

كانت انجلا وارن تقف خائفة مرة أخرى وفى يدها رسالة. قالت فى هدوء: الآن وقد رأيت صورتها تستطيع أن تقرأ رسالتها. فضها بوارو بعناية وقرأ ما كتبته كارولين بخط يدها منذ ستة عشر عاما:

عزيزتى الصغيرة انجلا:

سوف تسمعين أنباء سيئة وسوف تحزنين، لكن ما أريده أن ينطبع فى ذهنك أن كل شىء سيكون على ما يرام تماما. إننى لم ألق عليك بالأكاذيب مطلقا، ولا أفعل ذلك الآن عندما أقول لك أننى سعيدة بالفعل، وأننى أشعر بهدوء لم أعرفه من قبل. إن كل شىء على ما يرام يا عزيزتى. كل شىء على ما يرام. لا تنظرى إلى الخلف، ولا تندمى أو تحزنى من أجلى. استمرى فى حياتك وحققى نجاحك. إنك تستطيعين ذلك كما أعرف وقد أصبح كل شىء على ما يرام. إننى ذاهبة إلى امياس، وليس لدى أى شك فى أننا سنكون سويا.

إننى لم أكن أستطيع الحياة بدونه. افعلى هذا الشىء الوحيد من أجلى - كونى سعيدة. لقد قلت لك أننى سعيدة تماما. وعلى المرء أن يسدد ديونه ومن الرائع أن يحس الإنسان بالهدوء.

أختك المحبة كارو

قرأ هيركيول بوارو الخطاب مرتين ثم ناوله لانجلا وارن قائلا:

- إنها رسالة جميلة جدا يا آنستى، وهى رسالة متميزة تماما.

- ذلك لأن كارولين شخصية متميزة.

- نعم إن لها ذهنا غير عادى، هل تعتقدين أن هذه الرسالة تنبىء عن براءتها؟

- نعم إنها تفعل ذلك بالطبع.

- لكن الرسالة لا تقول هذا بطريقة مباشرة.

- ذلك لأن كارولين تعرف أننى لن أفكر مطلقا فى أنها مذنبة.

- ربما لكنه يمكن فهم الرسالة بطريقة مختلفة، على أساس أنها كانت مذنبة وأن التكفير عن جريمتها سيعطيها السلام.

إن هذا التفسير كان يتناسب مع وصف حالتها وهى فى المحكمة. وشعر بوارو فى تلك اللحظة - أكثر من أى وقت مضى بالشكوك فى الطريق الذى ينتهجه. إن كل الأمور حتى الآن تشير إلى جرم كارولين كريل. والآن حتى كلماتها هى تشهد ضدها، ولكنه من الناحية الأخرى كان هناك اقتناع انجلا وارن الذى لا يتزعزع. لقد عرفتها انجلا جيدا بدون شك ولكن ألا يكون اقتناعها هذا مجرد إخلاص ووفاء متعصب من فتاة مراهقة تجاه الشقيقة المحبة؟

وكأنما قرأت انجلا أفكاره فقد قالت:

- كلا يا مستر بوارو إننى أعرف أن كارولين لم تكن مذنبة.

- الله وحده يعلم. أننى لا أريد أن أزعزع ثقتك فى هذا، لكن دعينا نكن عمليين.. إنك تقولين أن أختك لم تكن مذنبة، حسن جدا ما الذى حدث إذن فى الحقيقة؟

- أتفق معك أن هذا أمر صعب، أظن أن الأمر كما قالت كارولين - إن امياس انتحر.

- هل هذا محتمل بما تعرفين عن شخصيته؟

- غير محتمل على الإطلاق.

- لكنك لا تستعملين عبارة (إن هذا مستحيل) كما فى الحالة الأولى؟

- كلا لأن معظم الناس قد يفعلون أفعالا مستحيلة أحيانا، إلى أشياء لا تتفق مع شخصياتهم، لكن هذه الأفعال - لو عرفتهم عن قرب - لن تكون بعيدة عن شخصيتهم.

- هل كنت تعرفين شخصية زوج أختك جيدا؟

- نعم ولكن ليس كما أعرف. يبدو لى مستبعدا جدا أن يقتل امياس نفسه - لكن يحتمل أن يكون قد فعل هذا - بل الحقيقة أنه لابد أن يكون قد فعل هذا.

- أليس لديك تفسيرا آخر.

تقبلت انجلا ما يثيره هذا السؤال من إيحاءات بهدوء، لكن الاهتمام ازداد فى نبرة صوتها وهى تقول:

- أوه، أرى ما تقصده، لكننى لم أفكر فى هذا الاحتمال مطلقا فى الحقيقة. هل تقصد أن أحدا من الآخرين قد قتله؟ وأنها كانت جريمة مدبرة عن عمد.

- نعم ، ربما كانت كذلك. أليس هذا محتملا؟

- نعم، محتمل، لكن هذا يبدو مستبعدا.

- هل هو مستبعد أكثر من الانتحار؟

- من الصعب الإجابة على هذا... فمن الظاهر ليس هناك ما

يدعـو المرء لأن يشك فى أى شـخص آخـر. وعندمـا أنظر الآن إلى الماضى لا أجد...

- على أية حال دعينا نضع هذا الاحتمال فى اعتبارنا. من الذى يهمه الأمر يمكنه أن يكون فلنقل - أكثر الأشخاص احتمالا؟

- دعنى أفكر، حسنا أنا لم أقتله واليزا تلك لم تفعل، فلقد جن جنونها عندما علمت بموته. من يتبقى؟ ميرديث بليك؟ لقد كان دائما وفيا مخلصا لكارولين كالقطة الأليفة للمنزل بأكمله، أعتقد أن ذلك قد يعطيه دافعا. ربما كان يريد ازاحة امياس من الطريق ليتزوج من كارولين، لكنه كان يصل إلى نفس النتيجة. بأن يترك امياس يذهب مع اليزا جرير وفى الوقت المناسب يتقدم هو إلى كارولين. ذلك بالإضافة إلى أنه لا يمكن أن أتخيل ميرديث قاتلا فهو رقيق جدا وحريص جدا. من يبقى؟

- مس سيسليا وليامز؟ ومستر فيليب بليك؟

- مس مليامز، إننى لا أستطيع أن احمل نفسى على الاعتقاد بأن هذه المربية يمكنها ارتكاب جريمة قتل. لقد كانت مخلصة لكارولين تماما، ومستعدة لأن تفعل أى شىء من أجلها. لقد كانت فى صف النساء على خط مستقيم وتكره الرجال، وأولهم امياس كريل، هل هذا دافع كاف للقتل؟ كلا بالتأكيد. أما فيليب بليك؟..... أوه، نعم لو أننا تحدثنا عن مجرد الاحتمالات فإنه أكثر الأشخاص احتمالا.

- إن حديثك هام جدا يا مس وارن هل لى أن أسألك لماذا قلت هذا؟

- إنه ليس شيئا محددا. لكن طبقا لما أذكره عنه فإننى أقول أنه

شخص محدود الخيال.

- وهل يدفع الخيال المحدود إلى الجريمة؟

- إنه قد يدفعك لاتخاذ طريق جاد للتخلص من الصعوبات التى تعترضك. إن رجالا من هذا الطراز يشعرون بالرضى فى اتخاذ عمل أو آخر. إن القتل عملية حادة أليس كذلك؟

- نعم، أظنك على حق وهى وجهة نظر تستحق التفكير، لكن لابد أن يكون هناك ما هو أكثر من ذلك يا مس وارن. ما هو الدافع المحتمل لفيليب بليك للقتل ؟ لم تجب انجلا وارن على الفور بل شخصت ببصرها إلى الأرض واستطرد بوارو:

- لقد كان أعز أصدقاء امياس كريل أليس كذلك؟

- نعم... إن هناك شيئا يدور فى ذهنك يا مس وارن، شىء لم تخبرينى به بعد، هل كان كل من الرجلين يتنافسان على الفتاة اليزا؟

- كلا، ليس فيليب بليك.... إنك تعرف كيف تتداعى الذكريات فى ذهنك فى مناسبة ما. لقد كنت أقيم يوما فى فندق، وعندما كنت أمر فى الردهة فتح أحد الأبواب وخرجت منه امرأة كنت أعرفها. لم تكن تلك غرفة نومها - ولقد انطبع تأثير لقائى لها بوضوح على وجهه حالما رأتنى - فلقد عرفت معنى هذا التعبير عندما رأيت وجه كارولين وهى تخرج من حجرة فيليب بليك فى أولبرى فى إحدى الليالى.

مالت انجلا وارن إلى الأمام وأوقفت بوارو عن الكلام وهى تستطرد قائلة: لن تكون لدى أى فكرة فى ذلك الوقت، كان لدى ما لدى البنات فى تلك السن من أفكار، لكننى لم اقرن ذلك بالحقيقة. إن

خروج كارولين من حجرة نوم فيليب بليك لم يعن أكثر من ذلك، وكأنها خرجت من حجرة مس وليامز أو من حجرتى. ولكن ما لاحظته هو التعبير الذى ارتسم على وجهها - تعبير غريب لم أعرفه ولم أستطع أن أفهمه، لم أفهمه حتى... - كما قلت لك - تلك الليلة فى باريس التى رأيت فيها نفس التعبير على وجه المرأة.

- لكن ما تقولين لى يا مس وارن يدعو للدهشة. فالذى خرجت به من فيليب بليك هو أنه كان يكمن الكراهية لكارولين كريل، وكان هذا هو شعوره على الدوام.

- أعرف هذا، لا أستطيع تفسير روايتى لكن هذا هو ما حدث.

أومأ بوارو برأسه وفكر فى أنه أثناء لقائه بفيليب بليك شعر فى غموض أن شيئا ما لم يكن صادقا. هذا الشعور بالكراهية والعداء تجاه كارولين لم يكن طبيعيا تماما. ورنت فى ذهنه كلمات ميرديث وهو يقول (إن فيليب قد ضايقه جدا أن يتزوج امياس كريل من كارولين ولم يذهب إليهما نحو عام أو أكثر.) هل كان فيليب إذن مغرما على الدوام بكارولين؟ وهل تحول حبه إليها - بعد زواجها من امياس - إلى كراهية ومرارة؟

نعم، لقد كان فيليب عنيفا - متحيزا. وتخيله بوارو أمام عينيه - الرجل الثرى وعصا الجولف فى يده ومنزله المريح فى انتظاره. ماذا كان شعور فيليب بليك الحقيقى منذ ستة عشرعاما؟ سمع انجلا وارن تقول: إننى لا أفهم ذلك كما ترى - فليست لدى خبرة بأمور الغرام، فلم أمر بإحدى التجارب الغرامية. ولقد قلت لك هذا لأنه قد يكون لها تأثير على تفسير ما حدث.

الجزء الثانى

رواية فيليب بليك

رسالة مرافقة للمخطوط

عزيزى مستر بوارو

إننى أفى بوعدى لك وأرفق مع هذا تقريرا وافيا عن الأحداث التى صاحبت وفاة امياس كريل. بعد مرور كل هذه السنوات أجد نفسى مضطرا للإشارة إلى أن ذاكرتى لم تكن دقيقة تماما. لكننى كتبت ما حدث طبقا لما تذكرته على أحسن صورة.

المخلص: فيليب بليك

مذكرات عن تطور الأحداث التى أدت إلى

مصرع امياس كريل فى التاسع عشر من سبتمبر

إن صداقتى للمتوفى تعود إلى فترة سحيقة مضت. فبيتى وبيته كانا متجاورين فى الريف. وكان أفراد أسرتنا أصدقاء كذلك. كان امياس كريل أكبر منى سنا بعامين، وكنا نلعب سويا أيام العطلات، رغم أننا لم نكن أصدقاء ننتمى إلى مدرسة واحدة.

ومن معرفتى الطويلة بالرجل أجد نفسى مؤهلا للحكم على شخصيته ونظرته للحياة، وسوف أقول هذا مباشرة - إن لأى شخص

عرف امياس كريل - فإن فكرة انتحاره تكون مثيرة للسخرية. فإن كريل لا يمكن أن يكون أنهى حياته بنفسه. فقد كان محبا جدا للحياة، وحجة الدفاع التى أبداها أثناء المحاكمة أن نوبة تأنيب الضمير قد تكون دافعة على ذلك تصبح سخيفة تماما عند شخص عرف الرجل عن قرب. لقد كان ضمير امياس كريل ضعيفا جدا وليس من النوع المرضى. ذلك بالإضافة إلى أنه وزوجته لم يكونا على وفاق. ولا أعتقد أنه كان لديه أى تردد فى فسخ ما كان - بالنسبة له - حياة زوجية غير مرضية. كان على استعداد لأن يعطيها كل طلباتها المادية، وكذلك الطفلة ثمرة ذلك الزواج، وأنا واثق أنه كان سيفعل ذلك بسخاء. لقد كان رجلا كريما محبوبا. لم يكن فقط رساما بارعا بل أيضا رجل يخلص له أصدقاؤه الود والمحبة. وعلى حد ما أعرف لم يكن له أى أعداء.

لقد عرفت أيضا كارولين لسنوات عديدة - عرفتها قبل أن تتزوج حيث اعتادت أن تأتى للإقامة فى أولبرى. كانت عندئذ فتاة عصبية معرضة لنوبات من الغضب الجامح، إلا أنها رغم ذلك لم تكن تفتقر إلى الجاذبية، لكنها دون شك كانت شخصية من الصعب على الإنسان أن يعاشرها.

أظهرت غرامها بامياس على الفور تقريبا، لكنه لم يكن - على ما أظن - يحبها كثيرا لكن حيث أنهما كانا يمضيان معظم الأوقات معا - ولم تكن هى تفتقر إلى الجاذبية - فقد تمت خطبتهما. لم يتقبل أصدقاء كريل الأمر بترحاب لشعورهم أن كارولين لم تكن الشخص المناسب له.

ولقد نتج عن ذلك بعض الحساسية بين كارولين وأصدقاء كريل فى

السنوات الأولى من زواجهما، لكن امياس كان صديقا مخلصا ولم يكن على استعداد لأن يتخلى عن أصدقائه القدامى تنفيذا لأوامر زوجته. وبعد بضع سنوات عدت أنا وهو على نفس صداقتنا القديمة، وأخذت أتردد على أولبرى كثيرا، وأضيف أننى كنت الأب الروحى للفتاة الصغيرة كارلا عندما ولدت. وهذا دليل على أن امياس كان يعتبرنى أعز أصدقائه عليه، وهذا ما يعطينى التفويض لأن أتكلم عن رجل لم يعد يستطيع أن يتكلم عن نفسه.

وإذا أتينا إلى الأحداث التى وقعت فى أولبرى فهى كالآتى: وصلت أنا إلى الضيعة قبل خمسة أيام من وقوع الجريمة. أى فى الثالث عشر من سبتمبر، ولقد أدركت على الفور أن هناك توترا فى الجو العائلى. ولقد كان هناك أيضا فى المنزل مس اليزا جرير الذى كان امياس يقوم برسم لوحتها فى ذلك الوقت.

كانت أول مرة أرى فيها مس اليزا جرير شخصيا. لكننى كنت أعرف بوجودها منذ بعض الوقت. ذلك لأن كريل كان قد تكلم عنها بحماس قبل ذلك الشهر. قال لى أنه التقى بفتاة رائعة. كان يتحدث عنها بحماس شديد حتى أننى قلت له ضاحكا (كن حريصا أيها الصبى العجوز وإلا فقدت عقلك مرة أخرى). ولقد قال لى عندئذ الا أكون أحمق فإنه لن يفعل شيئا سوى رسم لوحة للفتاة، وأنه لا يهتم بها شخصيا، وعندما قلت له (قل ذلك لشخص غيرى فطالما سمعت منك هذا من قبل). أجاب أن هذه الفتاة مختلفة، وكان ردى على ذلك هو أنهن جميعا كذلك بالنسبة له. لكن امياس كريل بدا جادا متأملا وهو يقول (إنك لن تفهم، إنها ليست سوى فتاة صغيرة السن، - ليست سوى طفلة وأضاف أن لها أراء

حديثة وليست متمسكة بتلك الأفكار العتيقة، واختتم حديثه عنها قائلا: إنها مخلصة شريفة وطبيعية لا تخشى شيئا مطلقا)

ولقد قلت لنفسى فى ذلك الوقت أن اميـاس وقع فى الفخ هذه المرة. وبعد أسابيع قليلة سمعت تعليقات أخرى من آخرين. قال أحدهم أنها مدلهة فى غرامه تماما، وآخر قال إن امياس مخطىء فيما فعله لأن الفتاة صغيرة السن تماما، لكن تعليق شخص ثالث كان أن اليزا جرير كانت تعرف جيدا كيف تشق طريقها. وسمعت ملاحظات أخرى عن أن الفتاة واسعة الثراء، وأنها اعتادت أن تأخذ ما تريد، وأنها هى المستفيدة الأولى من تلك العلاقة. ولقد ظهر تساؤل عن موقف زوجة كريل، لكن الإجابة كانت أنها قد اعتادت على مثل هذه العلاقات، وعلق آخر بأنها غيورة تماما وأنها جعلت من حياة كريل جحيما لا يطاق، مما يحفزه أكثر للارتباط بمثل هذه العلاقات بين وقت وآخر.

إننى أذكر هذا كله لأننى أظن أنه من المهم ايضاح كيف كانت الأمور تسير قبل أن أصل أنا إلى أولبرى. اهتممت برؤية الفتاة التى كانت حقا رائعة الجمال ذات جاذبية لا تقاوم، ولا أخفى سرا أننى سررت قليلا إذ رأيت كارولين مغتاظة جدا.

أما امياس كريل نفسه فلم يكن مرحا كالعادة. كان طبيعيا لعين شخص غريب لا يعرفه جيدا، لكننى - بحكم علاقتى به - أحسست بجو من التوتر والانفعال والإثارة فى أكثر من مظهر.

ورغم أنه كان معتادا على مثل هذه التوترات وهو يرسم، لكن اللوحة التى كان يعمل فيها لم تكن هى السبب فى كل ما ألم به من عصبية وتوتر. سره أن يرانى، وحالما أصبحنا بمفردنا قال (شكرا لله

أنك أتيت يا فيليب فإن الحياة فى منزل مع أربع نساء لهى شىء كاف لإرسال أى رجل إلى الجحيم. سوف يرسلنى إلى مستشفى المجانين).

لم يكن بالقطع جوا مريحا، فلقد كانت كارولين كما قلت مغتاظة حانقة من الموقف، وبأسلوب رقيق مهذب - كانت تعامل اليزا بجفاء لا يمكن للمرء تخيله، دون أن تلفظ بكلمة واحدة جارحة. أما اليزا فكانت واضحة الكراهية نحو كارولين. كانت يدها هى العليا، وكانت تعرف ذلك جيدا - ولم يكن لديها نشأة مهذبة. وكانت نتيجة ذلك أن كريل كان يقضى معظم وقته - عندما لم يكن يرسم - مع الفتاة انجلا. كان كلا منهما يحب صحبة الآخر رغم شجارهما ومعاركهما الكثيرة، ولكن فى تلك المناسبة - وامياس كريل متوتر عصبى - كانا كثيرا ما يفقدان أعصابهما. أما الشخص الرابع فى الأسرة فكانت المربية التى كان امياس يعرف جيدا أنها تكرهه وكأنه سم زعاف، وترقبه فى غضب واحتجاج دون توقف. قال لى عندئذ:

- اللعنة على النساء جميعا، لو أن رجلا أراد هدوءا وسلاما فعليه أن يبتعد عن المرأة تماما.

- لم يكن لك أن تتزوج، فإنك من نوع الرجال الذين ليس لهم أن يرتبطوا بأسرة ومنزل. أجاب بأن الوقت متأخر جدا للحديث عن ذلك، وأضاف. بأن كارولين سوف يسعدها أن تتخلص منه. وكان هذا أول إيحاء بأن هناك شىء غير عادى. قلت له:

- ما هذا كله؟ فعلاقتك باليزا جرير هذه شىء جاد إذن؟

- إنها رائعة الجمال - أليست كذلك؟ أحيانا ما أتمنى ألا أكون قد رأيتها مطلقا.

- اسمع أيها الصبى العجوز، لابد لك أن تتحكم فى نفسك، فإنك لا تريد أن ترتبط بامرأة أخرى.

ضحك منى وهو يقول:

- من السهل عليك أن تتكلم - إننى لا أستطيع أن أعيش بدون نساء - لن أستطيع ذلك مطلقا، وإذا فعلت فإنهن لن يتركنى وشأنى... أوه حسنا، إن كل شىء سيعود إلى الهدوء آخر الأمر كما أتوقع، وعليك أن تعترف بأن اللوحة جيدة. كان يشير إلى اللوحة التى يرسمها لاليزا جرير، ورغم أن معرفتى الفنية بالرسم قليلة إلا أننى استطعت أن أرى أنها ستكون عملا له قيمته الكبيرة. إن امياس وهو يرسم شخص مختلف تماما. ورغم أنه كثيرا ما يئن ويتوجع ويشتم إلا أنه عندئذ يكون سعيدا تماما.

وفقط عندما كان يعود إلى المنزل تهبط روحه المعنوية بسبب ذلك الجو العدائى بين المرأتين وقد بلغ العداء أقصى مداه فى ١٧ سبتمبر. تناولنا الغداء فى جو ملىء بالحرج. ذلك لأن اليزا قد أصبحت وقحة جدا، فتجاهلت كارولين عن عمد، وخاطبت امياس وكأنها وهو وحدهما فى الحجرة. تحدثت كارولين فى مرح إلى وإلى بقية الحاضرين، مصدرة تلميحات وايحاءات كلدغات العقرب. ذلك أن كارولين لم يكن لها عجرفة اليزا وصراحتها المباشرة الوقحة - بل كان كل شىء عندها يتم بالتلميح والإشارة.

تأزم الموقف تماما بعد الغداء، وفى حجرة الاستقبال حيث كنا نشرب القهوة. كنت قد قلت شيئا ما عن أحد التماثيل فى الحجرة فقالت كارولين (إن هذا عمل أحد النحاتين النرويجيين. إننى وامياس

نعجب بعمله جدا، ونتمنى أن نذهب لنراه الصيف القادم). ولقد كانت هذه الإيماءة بالتملك فوق احتمال اليزا جرير، ولم ترغب فى أن تترك هذه الفرصة للتحدى، بل قالت بعد دقيقة أو اثنتين فى نبرات واضحة جلية (إن هذه الحجرة جميلة لو أعيد تأثيثها، إن بها أثاثا أكثر من اللازم. عندما آتى للحياة هنا سوفْ أتخلص من كل هذا الأثاث البالى فيما عدا قطعة أو اثنتين، وسوف اشترى ستائر بلون النحاس حتى يكون لأشعة الشمس وهى تغرب تأثير مدهش) ثم استدارت نحوى وقالت (ألا تظن أن ذلك سيكون شيئا رائعا؟).

لم تتح لى الفرصة للإجابة، لأن كارولين تكلمت بصوتها الهادىء الناعم الخطر النبرة قائلة: هل تفكرين فى شراء هذا المنزل يا اليزا؟

- لن يكون من الضرورى أن اشتريه.

- ماذا تقصدين.

لم يعد فى صوتها أى نعومة الآن. بل كان صوتا معدنيا قاسيا. ضحكت اليزا وأجابت: هل نحن مضطرون للتظاهر يا كارولين؟ إنك تعرفين جيدا ما أعنييه.

- ليست لدى أية فكرة.

- لا تكونى كالنعامة التى تدفن رأسها فى الرمل. لن يفيدك أن تتظاهرى بأنك لا ترين شيئا ولا تفهمين شيئا. إن امياس وأنا يحب كل منا الآخر. إن هذا ليس بيتك بل بيته هو. وعندما نتزوج سآتى لأعيش هنا معه.

- أظنك مجنونة.

- كلا، لست كذلك يا عزيزتى وأنت تعرفين هذا جيدا. سوف يكون الأمر أسهل لو أننا كنا صادقين مع أنفسنا. إن امياس يحبنى وأنا أحبه، ولقد كان هذا واضحا لك بما فيه الكفاية. لم يبق لك سوى شىء واحد لعمله. هو أن تعطيه حريته.

- إننى لا أصدق كلمة واحدة مما تقولينه.

لكن صوتها لم يكن يوحى بأنها مقتنعه، وكانت اليزا واثقة مما تقول. فى تلك اللحظة دخل امياس كريل الحجرة فقالت اليزا لكارولين ضاحكة: إذا لم تصدقينى فأسأليه بنفسك.

- سأفعل... اسمع يا امياس.. إن اليزا تقول أنك تريد أن تتزوجها. هل هذا حقيقى؟

ووقع امياس المسكين فى المأزق، لقد أثارت شفقتى عندئذ، إن المرء ليشعر بأنه أحمق تماما لو وقع فى مأزق كهذا. احمر وجهه وبدأ يتلعثم. استدرا نحو اليزا وسألها لماذا بحق الشيطان لم تمسك لسانها؟. قالت كارولين: إذن فالمسألة صحيحة؟

لم يقل امياس شيئا بل وقف فى مكانه يعبث بياقة قميصه. كان معتادا أن يفعل ذلك منذ كان صبيا عندما يقع فى مأزق من أى نوع. حاول أن يضع فى صوته نبرة السيطرة لكنه لم يفلح... قال:

- إننى لا أريد أن أناقش المسألة الآن:

- لكن علينا أن نناقشها.

قالت اليزا متدخلة فى الحديث:

- أعتقد أنه من العدل بالنسبة لكارولين أن تعرف ما هناك.

قالت كارولين فى هدوء قاتل: هل الأمر حقيقى يا امياس؟

بدا خجلا من نفسه، إن الرجال يفعلون ذلك عندما تضيق عليهم النساء الخناق قالت:

- قل لى أرجوك - لابد لى أن أعرف.

رفع رأسه بقوة كما يرفع الثور فى حلبة المصارعة رأسه وقال بسرعة: إنها الحقيقة - لكنى لا أريد أن أناقش الموضوع الآن.

واستدار وخرج من الحجرة فذهبت خلفه، ذلك لأننى لم أكن أريد أن أترك بمفردى مع النساء. لحقت به فى الشرفة. كان يسب ويلعن كل شىء من أعماق نفسه، ثم قال فى صوت حانق:

- لماذا لم تمسك لسانها؟ لماذا بحق الشيطان لم تستطع أن تمسك لسانها؟ إن - النار مشتعلة فى كل شىء الآن ولابد لى أن أتم هذه اللوحة.- هل تسمعنى يا فيليب؟ إنها أفضل ما رسمته حتى الآن وربما كانت أفضل شىء سأرسمه فى حياتى، وها هما امرأتان حمقاوتان يفسدان كل شىء.

ثم هدأ قليلا وقال إن النساء لا يتمتعن بأية حساسية للكياسة، فلم أتمالك نفسى من الضحك وقلت: اللعنة على كل شىء أيها الصبى العجوز، لقد جلبت كل هذا على نفسك.

- ألست أعرف هذا؟ ولكن عليك أن تعترف يا فيليب إننى معذور، إذ فقدت رأسى بسببها، حتى أن كارولين عليها أن تتفهم ذلك.

وسألته ماذا سيفعل إذا ركبت كارولين رأسها ورفضت اعطائه الطلاق، لكنه كان الآن - يحلم بشىء آخر، وعندما رددت ملاحظتى

قال بذهن غائب:

- إن كارولين لن تتخذ موقفا عدائيا مطلقا. هل تفهم ذلك؟

- لكن هناك الطفلة.

- اسمع يا فيليب إننى أعرف أن مقاصدك حسنة لكن لا تستمر فى النعيق كالبومة. سوف أتمكن من تدبير أمورى، وسوف يكون كل شىء على ما يرام، وسوف ترى.

كان هذا يتفق مع شخصية امياس تماما - تفاؤل ليس له ما يبرره. سمعته يقول - بمرح: فليذهبن جميعا إلى الجحيم.

لا أعرف إذا كان ينتوى أن يقول لى شيئا آخر أم لا، لكن بعد دقيقة جاءت كارولين إلى الشرفة مرتدية قبعة جميلة الشكل. قالت بصوت طبيعى تماما: اخلع هذا المعطف الملطخ بالألوان يا امياس، إننا ذاهبون إلى ميرديث لتناول الشاى، ألا تتذكر أننا وعدناه بذلك؟

حدق فيها مبهورا لحظة ثم قال: أوه، لقد نسيت. نعم. نعم بالطبع.

- إذن حاول أن تظهر كرجل ليس رث الثياب.

ورغم أن صوتها كان طبيعيا تماما فإنها لم تنظر إليه. اتجهت نحو آنية الزهور وبدأت تقطف بعضها، فى حين استدار امياس ببطء وعاد إلى داخل المنزل. تحدثت إلى كارولين طويلا عن ابتهاجى باستمرار الطقس بذلك الشكل، وإذا ما كنت أحب أن أذهب مع امياس وانجلا للصيد. لقد كانت مدهشة ما فى ذلك شك. لكن هذا كما أعتقد يوضح نوع المرأة التى كانتها، امرأة لها إرادة قوية وسيطرة حديدية على مشاعرها. لا أعرف إذا كان عزمها استقر على قتله عندئذ أم لا

- لكن لن أدهش إذا كانت قد فعلت. ولقد كانت قادرة على وضع خططها بعناية وبطريقة باردة بعقل وبذهن منظم قاس.

لقد كانت كارولين كريل امرأة خطرة حقا. وكان من واجبى عندئذ أن أدرك أنها لن تسكت على هذا الوضع مطلقا. ولكنى كالأحمق ظننت أنها قد قررت أن تقبل المحتوم أو أنه ربما لو تصرفت هى بطريقة طبيعية فإن امياس قد يعود إليها. وسرعان ما خرج الجميع من المنزل - اليزا تبدو متحدية كالعادة ولكن باحساس بالانتصار فى نفس الوقت. لم تلق كارولين إليها التفاتا. وكانت انجلا هى من أنقذت الموقف حقا. فقد خرجت مع مس وليامز قائلة أنها لن تغير جونلتها من أجل أى شخص وأنها كانت حسنة المظهر بما يكفى للذهاب إلى مستر ميرديث العجوز الطيب الذى لا يلحظ أى شيء.

بدأنا السير أخيرا. سارت كارولين مع انجلا أما أنا فسرت مع امياس وسارت اليزا بمفردها تبتسم. إننى لم أكن أعجب بها شخصيا - فهى من النوع العنيف الذى لا يروقنى - لكن - يجب على أن أعترف أنها بدت غاية فى الجمال بعد ظهر ذلك اليوم. إن النساء يظهرن جميلات بعد أن يفزن بما يردن.

إننى لا أستطيع تذكر أحداث بعد ظهر ذلك اليوم بوضوح، إن كل شيء يبدو أمامى متداخلا، أتذكر ميرديث خارجا للقائنا، وأننا سرنا فى الحديقة الأمامية أولا، وأننى تبادلت نقاشا مع انجلا عن تدريب كلاب الصيد، وأنها أكلت كمية كبيرة من التفاح، وحاولت أن تقنعنى أن أفعل مثلها. وعندما وصلنا إلى المنزل كان الشاى قد أعد تحت شجرة السنديان الضخمة. كان ميرديث يبدو مكتئبا قليلا، ولابد أن امياس أو كارولين قالا

له شيئا ضايقه. كان ينظر إلى كارولين فى شك، ثم أخذ يحدق فى اليزا جرير وقد بدا عليه القلق العميق. إن كارولين طبعا كان يعجبها أن يظل ميرديث متوترا على الدوام، فهو الصديق الأفلاطونى الذى لن يذهب إلى أبعد من حدوده مطلقا. لقد كان هذا النوع من النساء.

بعد تناول الشاى تناول ميرديث حديثا سريعا معى قال:

- اسمع فيليب، إن امياس لا يمكن أن يفعل هذا الشىء.

- لا تنتظر غير هذا، سوف يفعله.

- إنه لا يستطيع أن يترك زوجته وطفلته ويذهب مع تلك الفتاة. إنه أكبر منها بسنوات عديدة. فهى فى الثامنة عشرة من عمرها لا أكثر.

وقلت له أن مس اليزا جرير فى العشرين من عمرها ولها الكثير من التجارب وقال:

- على أية حال إنها أقل من السن القانونية ولا تعرف ماذا تفعل.

- لا تقلق أيها الصبى العجوز فهى تعرف ماذا تفعل وهى تحب ذلك.

لا تتح لنا الفرصة لنقول أكثر من ذلك. وفكرت فى نفسى أنه ربما كان ما يضايق ميرديث هو أن تترك كارولين امرأة مهجورة، وتخيلت أنه ما أن يتم طلاقها من كريل حتى يفكر العجوز المخلص فى الزواج منها.

وكانت فكرتى أن الإخلاص بلا أمل هو حقا الخط الذى يتفق مع شخصيته. ولابد لى من الاعتراف أن هذا الجانب فيه كان يثير سخريتى.

ومن الغريب أننى لا أتذكر سوى قليلا جدا من زيارتنا لمعمل ميرديث. كان يتمتع بأن يطلع الناس على هوايته. أما أنا فكنت أجدها مملة تماما. أعتقد أننى كنت معهم وهو يلقى علينا جميعا فقرة عن

فاعلية الكونين، لكننى لا أتذكر ما قاله ولم أشهد كارولين وهى تسرق المادة السامة. إنها كما قلت امرأة جريئة.

أتذكر ميرديث وهو يقرأ فقرة من أفلاطون يصف فيها موت سقراط. ظننتها مملة تماما.

ليس هناك ما أستطيع أن أتذكره عن هذا اليوم أكثر من ذلك. تشاجرت انجلا مع امياس مشاجرة كبيرة رحبنا بها جميعا، فقد ساعدت على تجنب مشاكل وصعاب أخرى، وانطلقت انجلا إلى حجرة نومها وهى تزمجر غاضبة وقائلة: إنها سوف ترد على ذلك وتتمنى لو أنه مات وتأمل فى أن يموت بالجذام فهذا هو ما يستحقه. وترغب فى أن تلتصق قطعة من السجق بأنفه كما فى القصص الخرافية، وعندما ذهبت انطلقنا جميعا نضحك.

ذهبت كارولين إلى فراشها بعد ذلك مباشرة، واختفت مس وليامز بعد تلميذتها، أما امياس واليزا فقد اتجها إلى الحديقة، وبدا من الواضح أنهما لا يرغبان فى وجودى معهما، فانطلقت أتجول بمفردى فى تلك الليلة الجميلة.

هبطت إلى الطابق السفلى فى وقت متأخر من صباح اليوم التالى. لم يكن هناك أحد فى حجرة الطعام. يا للأشياء الغريبة التى قد يتذكرها الإنسان. إننى لا أزال أتذكر طعم شريحة اللحم التى أكلتها ذلك الصباح. كانت ممتازة تماما، بعد ذلك خرجت أتجول بحثا عن الآخرين. لم أر أحدا أول الأمر فدخنت سيجارة حتى لمحت مس وليامز تجرى هنا وهناك باحثة عن انجلا التى اعتادت أن تختفى عن الأنظار عندما يطلب منها عمل شىء. عدت إلى المنزل حيث أدركت أن امياس

وكارولين كانا يصفيان ما بينهما من عراك. كانا يتشاجران بصوت مرتفع فى حجرة المكتبة. سعتها تقول له: أنت ونساؤك! أقتلك، سأقتلك يوما ما.

- لا تكونى حمقاء يا كارولين!

- إننى أعنى ما أقوله يا امياس.

لم أرغب فى سماع أكثر من ذلك. فخرجت مرة أخرى لأتجول فى الشرفة والتقى باليزا جرير، كانت تجلس على إحد تلك المقاعد الطويلة الموضوعة تحت نافذة حجرة المكتبة مباشرة، النافذة التى كانت مفتوحة على مصراعيها فى تلك اللحظات، فلا عجب إذ كانت اليزا قد سمعت كل كلمة دارت فى تلك الحجرة.

وعندما رأتنى تقدمت نحوى وقالت: إنه صباح جميل، أليس كذلك؟

كان صباحا جميلا بالنسبة لها بالطبع، تلك الفتاة القاسية. كلا، أعتقد أنها كانت صادقة، لكن كان ينقصها الخيال، ذلك أن ما تريده لنفسها كان هو كل ما يمكنها أن تراه. بقينا نتحدث فى الشرفة دقائق معدودة،ثم سمعنا صوت باب حجرة المكتبة يصطفق، ورأينا امياس خارجا منها وقد احمر لون وجهه تماما. أمسك بكتفى اليزا وقال لها:

- هيا بنا - حان وقت الرسم، لابد أن أنتهى من تلك اللوحة.

- حسنا، سأدخل لأحضر بلوفر فاننى أحس ببعض البرودة.

تركتنا ودخلت المنزل، وتساءلت إذا كان امياس سيقول لى شيئا ولكنه لم يفعل، ثم تقدمت اليزا نحونا فصحبها واتجه إلى حديقة المدفعية. دخلت المنزل لأرى - كارولين واقفة فى البهو، ولا أظن أنه

لحظت دخولى - بدت شاردة الذهن تماما، وغمغمت بشىء لنفسها، ولم أستطع سوى سماع كلمة (إن هذا لشىء قاس). - ثم سارت إلى ناحيتى لتتجه إلى السلم ورغم ذلك لم ترنى. وأنا أقول هنا - إننى أظن زوليس لى سلطة قول هذا كما تفهم) إنها صعدت للطابق العلوى لتحضر السم، وإنه فى تلك اللحظات قررت كارولين أن ترتكب جريمتها.

فى تلك اللحظة نفسها دق جرس التليفون فالتقطت أنا السماعة. كان شقيقى ميرديث على الطرف الآخر وكانت نبرة صوته توحى بالضيق الشديد. قال لى أنه ذهب إلى معمله واكتشف سرقة نصف ما كان بزجاجة الكونين.

لن أخوض مرة أخرى فيما كان يجب على أن أفعله، لكن ما حدث هو أن الدهشة ألجمتنى، بينما كان ميرديث يغمغم بكلمات غير مفهومة على الطرف الآخر. سمعت شخصا يخطو فوق درجات السلم فقلت لميرديث أن يحضر إلى على الفور.

ذهبت لألقاه فى منتصف الطريق. وإذا لم تكن تعرف المنطقة جيدا فإنى أقول لك أن أقصر طريق من ضيعة ميرديث إلى أولبرى هو أخذ القارب لعبور الخليج الصغير الذى يفصل بينهما من ناحية البحر. ولكى أصل إلى الشاطىء كان على أن أمر بحديقة المدفعية. وهناك استطعت أن اسمع امياس واليزا يتبادلان حديثا مرحا منطلقا. قال امياس إنه كان يوما حارا جدا، فى حين قالت اليزا ان هناك ريحا باردة تهب عليها من ناحية البحر وأردفت: (لقد تصلبت عضلاتى يا عزيزى. ألا أستطيع أن أستريح قليلا؟) لكن امياس صاح فيها (كلا بحق السماء، ابقى كما أنت) فغمغمت اليزا (أيها المتوحش) ثم ضحكت

بينما ابتعدت أنا عن مرمى السمع.

كان ميرديث يقترب من الشاطىء فانتظرته. ثبت القارب وصعد درجات السلم الحجرى إلى وقد شحب وجهه بفعل القلق والاضطراب قال: إن تفكيرك أسلم من تفكيرى يا فيليب، ماذا يجب أن أفعل؟ إن المادة خطرة السمية.

- هل أنت واثق مما تقول؟.

لقد كان ميرديث على الدوام شخصا غامضا مترددا. وربما لهذا السبب لم آخذ كلامه على محمل الجد كما كان يجب أن أفعل. قال أنه واثق تماما من أن - الزجاجة كانت مليئة بعد ظهر يوم أمس. فقلت:

- وليست لديك فكرة مطلقا عمن يكون قد سرقه؟ قال أنه ليس هناك من يمكن أن يشك فيه. فكرت فى أنه ربما كان أحد الخدم لكن هذا غيرِ محتمل. فإنه كان يحتفظ بالباب دائما مغلقا، ثم بدأ يتحدث عن أنه وجد النافذة مفتوحا بضع بوصات من أسفل. لابد أن أحدا قد فعل ذلك.

سألته: ألا يمكن أن يكون لصا هاربا، يبدو لى الأمر يا ميرديث كأن له احتمالات سيئة تماما. ولما سألنى رأيى لو أنه كان واثقا تماما مما يقول فإنه من المحتمل أن تكون كارولين كريل قد أخذت المادة كى تضعها لاليزا - أو أن ليزا قد - أخذتها لتقتل كارولين كى يخلو لها الجو للإنفراد بحبها.

جفل ميرديث وقال إن هذا يبدو ميلودراميا أكثر من اللازم، ولا يمكن أن يكون واقعيا. لقد كان تفكيره يتجه إلى ما فكرت فيه لكنه لم

يكن يريد مواجهة الحقائق. ردد سؤاله للمرة العاشرة عما يجب أن تفعله وقلت أنه علينا أن نفكر فى الأمر مليا بعناية. وعلينا إما أن نعلن عن اكتشاف السرقة فورا فى وجود الجميع، أو أن ننفرد بكارولين ونواجهها بشكوكنا، فإذا اقتنعنا أنه ليس لها شأن بالموضوع فعلنا نفس الشىء مع اليزا، وعندما قال أن اليزا لا يمكن أن تفعلها أجبته أننى لا أستبعد ذلك مطلقا.

كنا نسير فى الطريق المؤدى إلى المنزل، وعندما كنا ندور حول حديقة المدفعية سمعنا صوت كارولين، ظننت لحظة أن شجارا بين ثلاثتهم يدور لكنهما كان يناقشان أمر انجلا. كانت كارولين تقول فى احتجاج (إنه شىء قاس على الفتاة)، فأجاب امياس إجابة من فرغ صبره. وفى اللحظة التالية فتح باب حديقة المدفعية ليفاجأ بما أمامه. خرجت كارولين خلفه لتقول (أهلا يا ميرديث - لقد كنا نناقش أمر انجلا وذهابها إلى المدرسة. إننى لست واثقة أن هذا أفضل شىء بالنسبة للفتاة) فأجابها امياس كريل قائلا أنها ستكون على ما يرام، وأن أفضل شىء هو التخلص منها.

فى تلك اللحظة أتت اليزا من ناحية المنزل ممسكة بلوفر، فزمجر امياس كريل قائلا هيا، عودى إلى وضعك فإنى لا أريد إضاعة الوقت) وعادا إلى وضعهما ولا حظت أن كريل يتعثر قليلا، وتساءلت إذا كان قد أفرط فى الشراب. إن رجلا فى مثل موقفه له كل العذر لو فعل ذلك. سمعته يقول فى استياء:

- إن البيرة التى هنا تكاد تغلى من السخونة. لماذا لا نحتفظ ببعض الثلج هنا؟

قالت كارولين؟:سوف أرسل لك بعض البيرة المثلجة.

غمغم امياس بكلمة شكر، فى حين أغلقت كارولين باب حديقة المدفعية وراءها وتبعتنا إلى المنزل. جلسنا إلى الشرفة فى حين دخلت هى إلى المنزل. وبعد دقائق قليلة خرجت إلينا انجلا بزجاجتين من البيرة وبعض الكئوس. رحبنا بالبيرة حيث كان اليوم حارا. كنا نشرب فى اللحظة التى مرت بنا فيها كارولين حاملة زجاجة أخرى قالت أنها ستأخذها إلى امياس. عرض عليها ميرديث أن يأخذ الزجاجة إليه لكنها أصرت على أن تفعل ذلك بنفسها. وفكرت فى نفسى أنها الغيرة تعتمل فى داخلها، وأنها لا تحتمل فكرة أن ينفرد امياس واليزا وحدهما. لابد أن ذلك هو الذى دفع بها إلى هناك بحجة أن تناقش مسألة ذهاب انجلا إلى المدرسة.

ذهبت فى الطريق المتعرج بينما كنت أنا وميرديث نرقبها. لم نكن قررنا شيئا على الإطلاق فى اللحظة التى أتت فيها انجلا صائحة بى أن أذهب معها للسباحة. ولما كان من الصعب التحدث إلى ميرديث بمفرده فقد قلت له (نستأنف حديثنا بعد الغداء) وأومأ هو موافقا.

ذهبت للسباحة مع انجلا عبر الخليج الصغير والعودة إلى الشاطىء. استلقينا على الصخور وانجلا تميل إلى السكوت وكان هذا يناسبنى. ولقد عزمت على أن أنفرد بكارولين بعد الغداء وأواجهها بسرقتها للكونين. لم يكن هناك فائدة من ترك ميرديث يتحدث إليها - فإنه أضعف من أن يفعل هذا. وعليها عندئذ أن تعيده إلى، وإذا لم تفعل فهى على الأقل لن تحاول استخدامه. إن تفكيرى كان يدفعنى للاقتناع بأنها هى التى أخذته، فإن اليزا أعقل من اللعب بالسموم. إنها

تحب الحياة ولن تغامر بفعل ذلك. لكن كارولين كانت من معدن أكثر خطورة، عصبية، تنتابها نوبات من التوتر الشديد. ولكن فى مؤخرة عقلى كان هناك احتمال أن يكون ميرديث قد وقع فى خطأ ما. أو أن - خادما قد أسقط الزجاجة عن غير عمد ولا يجرؤ على الاعتراف.

كان الوقت قد بدا متأخرا بالنسبة لتناول الغداء وأنا وانجلا نهرع عائدين إلى المنزل. كانوا جميعا جالسين إلى المائدة فيما عدا امياس الذى بقى فى حديقة المدفعية يرسم، كان هذا شيئا معتادا عليه. ولقد قلت لنفسى إن هذا عمل حكيم فإن وجوده كان سيجعل من الغداء وجبة محرجة.

تناولنا القهوة فى الشرفة ولا أتذكر أن كارولين كانت منفعلة مطلقا. كانت هادئة وأميل إلى الحزن. يا لها من امرأة. ذلك أنها قتلت زوجها وهى فى منتهى الهدوء، لو أنها أمسكت مسدسا وأردته صريعا لكان فى الإمكان فهم ذلك. لكن أن تقتله بالسم بطريقة متعمدة باردة هادئة.

نهضت قائلة أنها ستأخذ القهوة إلى امياس - قالت ذلك بطريقة طبيعية تماما - ورغم ذلك كانت تعرف - أنها ستجده ميتا. ذهبت مس وليامز معها ولا أتذكر إذا كان هذا ما أقترحته كارولين أم لا.

ذهبت المرأتان سويا، وانطلق ميرديث يسير بمفرده بعد ذلك بقليل، وفى اللحظة التى كنت أفكر فيها فى عذر كى ألحق به رأيته آتيا يجرى نحوى ووجهه شاحب كالموتى، تمكن من أن يقول:

- علينا أن نحضر طبيبا، إن امياس.... بسرعة.

- هل هو مريض - يموت؟

- أخشى أن يكون قد مات فعلا.

كنا قد نسينا اليزا جرير وقتها. لكنها ألقت صرخة مدوية وصاحت قائلة: مات؟ مات! وانطلقت تعدو مثل طير جريح فى حين قال ميرديث لاهثا:

- الحق بها! سأتصل بالتليفون - الحق بها... إنك لا تعرف ما قد تفعله. ولقد انطلقت خلفها - وحسنا ما فعلت لأنه كان من السهل عليها أن تقتل كارولين إن لم أر فى حياتى مثل هذه الكراهية والحقد. لقد تعرف من كل ما عليه لها المجتمع المتحضر وعادت ابنة لعامل طاحونة انتزع منها حبيبها. كانت على وشك أن تغمد أظافرها فى وجه كارولين وتشد شعرها. لقد ظننت للحظة أن كارولين قد أغمدت فى صدر امياس سكينا. لكن هذا كان خطأ بالطبع.

أبعدتها عن المكان، وقامت مس ويليامز بواجبها، فقد حملت اليزا على أن تتمالك نفسها بحزم.

أما عن كارولين فقد انتزع عنها النقاب. وقفت هناك هادئة تماما. إن شخصا آخر ربما شعر بالدوار لكنها لم تفعل. عيناها فقط كشفت عما تشعر به. كانتا مترقبتين. كان الخوف قد بدا بداخلها، اقتربت منها وقلت فى صوت خافت لا تسمعه المرأتان:

- أيتها القاتلة اللعينة.. لقد قتلت أعز أصدقائى. جفلت مرتعدة فى الخلف وقالت: كلا، كلا، لقد فعلها بنفسه.

- تستطيعين أن تقولى هذه الرواية لرجال الشرطة.

وقد فعلت ذلك - لكنهم لم يصدقوها.

انتهى تقرير فيليب بليك

رواية ميرديث بليك

عزيزى مستر بوارو

لقد كتبت تقريرا - كما وعدتك - بكل ما أتذكره ويتصل بالحوادث المأساوية التى حدثت منذ ستة عشر عاما مضت. أود أولا أن أقول لك أننى فكرت جيدا فى كل ما قلته لى فى لقائنا الأخير. وبناء على تفكير متأمل فأنا مقتنع أكثر من أى - وقت مضى بأن من غير المحتمل اطلاقا أن تكون كارولين كريل هى التى وضعت السم لزوجها. لقد بدا لى هذا مستبعدا، كان افتقارى لأى تفسير آخر ومسلكها هى - حملانى على تبنى وجهة النظر العامة القائلة - إن لم تكن هىَ فعلتها فمن يكون؟

ومنذ لقائى بك أخذت أفكر فى التفسير البديل الذى طرح فى ذلك الوقت والذى تبناه الدفاع أثناء المحاكمة. وهو أن امياس كريل قد أنهى حياته بيده.

وبالرغم من أن معرفتى به تقول أن هذا التفسير خيالى فإننى الآن أوشك على تغيير موقفى. إنه من الهام جدا قبل أى شىء آخر أن كارولين نفسها صدقت هذه النظرية. ولو أننا الآن قلنا أن تلك المرأة الرقيقة الفاضلة قد أدينت ظلما فإن النظرية التى تمسكت بها لابد وأنها كانت صحيحة. إنها كانت تعرف امياس كريل أكثر من أى إنسان آخر فإذا قالت هى أن الانتحار احتمال معقول فإنه لابد أن يكون

كذلك رغم ما قاله أصدقاؤه.

سأقدم إذن نظرية أن امياس كريل كان له ضمير متيقظ، وأنه فى نوبة من تأنيب الضمير - وهو المعرض دائما لنوات انفعال طارئة - قد قتل نفسه. وربما لم يعرف أحد بهذا الجانب من شخصيته سوى زوجته نفسها. رغم أن هذا لا يتفق مع أى قول سمعته منه، لكن هذا لا يمنع من الحقيقة التى تقول أن فى معظم الرجال ناحية قد تبرز فجأة لتدهش كل من حولهم.

فمثلا رجل له احترامه ومركزه قد يكتشف أن له علاقة شاذة خفية، أو أن مرابيا مستغلا قد يكون له موهبة تذوق الفن، أو من يعرفون بالقسوة قد تكتشف فيهم نزعة للرحمة والرأفة. لابد أن امياس كريل كانت له مثل هذه النزعة، نزعة مرضية تنحو به إلى لوم نفسه، وربما كان هذا ما حدث يؤكده تمسك كارولين بنظرية انتحاره وهو شىء له أهميته.

والآن. دعنا نفحص الحقائق - أوعلى الأصح ذكرياتى عن الحقائق، فى ضوء هذا الاعتقاد الجديد. أظن أنه من اللازم أن أستعيد حديثا دار بينى وبين كارولين قبل أسابيع من وقوع المأساة، وكان ذلك أثناء زيارة اليزا جرير الأولى إلى أولبرى. كانت كارولين كما تعرف تشعر بعاطفة صادقة نحوى ومن ثم فلا تتورع على أن تفشى لى أسرارها. لم تكن تبدو عندئذ سعيدة، لكننى دهشت عندما سألتنى إذا كان امياس كريل حقا يهتم بتلك الفتاة التى أحضرها معه. أجبتها قائلا: إنه مهتم برسمها، وأنت تعرفين امياس على حقيقته.

هزت رأسها قائلة: كلا إنه يحبها.

- حسنا... ربما قليلا.

- بل كثيرا كما أعتقد.

- أعترف أنها جذابة إلى أقصى الحدود، وكلانا يعرف أن امياس سريع التأثر بالجمال، لكنك بعد كل هذه السن لابد أن تعرفى أن امياس لا يهتم إلا بشخص واحد وهو أنت. لقد مرت به مثل هذه التجارب ولكنها لا تدوم. إنك الشخص الوحيد فى حياته، ورغم أنه يتصرف برعونة، إلا أن هذا لا يؤثر على مشاعره نحوك.

- إن هذا هو ما اعتدت دائما على التفكير فيه.

- صدقينى يا كارولين. إن هذه هى الحقيقة.

- لكننى خائفة هذه المرة يا ميرديث. إن هذه الفتاة مخلصة جدا. إنها صغيرة السن، غزيرة العاطفة وأخشى أن يكون الأمر هذه المرة جادا.

ولكنَ حقيقة أنها صغيرة كما تقولين، سوف تحميها. إن النساء لسنَ إلا ألعوبة فى يد امياس، لكن الأمر مع فتاة مثل هذه سيكون مختلفا.

- نعم هذا هو ما أخشاه أن يكون الأمر معها مختلفا. إننى الآن فى الرابعة والثلاثين وقد مر على زواجنا عشرة أعوام، ومن ناحية الجمال فإننى سأخسر السباق أمام هذه الطفلة اليزا. إننى أعرف ذلك.

- لكنك تعرفين يا كارولين أن امياس كريل يكرس حياته لك.

- هل يستطيع المرء أن يطمئن إلى ذلك مع الرجال؟ إننى امرأة بسيطة جدا يا ميرديث. إننى لا أود أن أمسك بلطة فى مواجهة هذه الفتاة.

قال لها أن الفتاة ربما لم تكن تفهم ما تفعله، وأنها تعبد البطل فى

امياس، وربما لم تكن تدرك أن امياس سيقع فى حبها.

انتهى الحديث عند هذا الحد وأنا آمل الا يقلقها الأمر أكثر من ذلك. بعد ذلك بفترة قصيرة - عادت اليزا إلى لندن، وغاب امياس أيضا بضعة أسابيع، ونسيت أنا المسألة برمتها، ثم سمعت أن اليزا قد عادت إلى أولبرى مرة أخرى حتى يتم امياس اللوحة. أقلقتنى هذه الأنباء قليلا، لكن كارولين عندما التقيت بها لم تكن قلقة أو متوترة، فتخيلت أن كل شىء أصبح على ما يرام. وهذا يفسر شعورى بالصدفة عندما علمت بالمدى الذى وصلت إليه هذه الأمور.

لقد أخبرتك بالحديث الذى دار بينى وبين كريل، ثم بينى وبين اليزا، لكنى لم أتمكن من التحدث إلى كارولين. إننى أستطيع أن أتخيل وجهها الآن بعينيها الواسعتين الداكنتين والعواطف المكبوتة وصوتها يرن فى أذنى قائلة (لقد انتهى كل شىء).

إننى لن أستطيع أن أصف لك الوحشية واليأس الذى تضمنتهما هذه الكلمات، فإنها بهجر امياس لها يكون كل شىء بالنسبة لها قد انتهى. هذا هو كما أعتقد هو السبب فى أخذها الكونين. كان ذلك مخرجا، وهو مخرج وضعه فى ذهنها شرحى بغباء لفاعلية ذلك العقار، وتلك الفقرة التى قرأتها عن الإغريق عن سهولة الموت بهذا السم.

فيما يلى ما أعتقده حاليا: أنها أخذت الكونين معتزمة أن تنهى حياتها بنفسها عندما يهجرها امياس. وربما يكون هو قد رآها تأخذه، أو ربما اكتشف أنها قد أخذته مؤخرا، ولابد أن لذلك الاكتشاف وقعا قويا عليه. وقد أفزعه ما أدلت إليه أفعاله بالنسبة لزوجته. ولكنه رغم الرعب والفزع وتأنيب الضمير، شعر أنه لا يستطيع التخلى عن اليزا.

إننى طبعا أستطيع فهم ذلك، فإن أى شخص يقع فى غرامها سيجد أن من الصعوبة بمكان أن ينتزع نفسه منها. إذن فامياس لم يتخيل أن يعيش بدون اليزا - وأدرك أن كارولين لا يمكنها الحياة بدونه، فقرر عندئذ أنه ليس هناك سوى مخرج واحد أن يستخدم الكونين وينتحر.

وربما كان الأسلوب الذى استخدمه به يتفق مع شخصية الرجل فإن الرسم كان عنده أقدس شىء فى الحياة، ومن ثم فقد اختار أن يموت والفرشاة بيده، وكان آخر شىء وقعت عليه عيناه هو وجه الفتاة التى أحبها فى يأس، ربما كان قد فكر أيضا أن موته كان أفضل شىء بالنسبة لها. اعترف بأن هذه النظرية تطرق وقائع غريبة بدون تفسير. فلماذا إذن وجدوا بصمات أصابع كارولين فقط على زجاجة الكونين الفارغة؟ اقترح أن امياس قد تناولها وأن البصمات قد محيت بسبب المواد المختلفة التى كانت متراكمة على الزجاجة وأن كارولين - بعد موته أمسكتها لتعرف إذا كان أحدا قد لمسها، وأن ذلك بالتأكيد قد يكون شيئا محتملا! أما عن دليل وجود بصمات أصابعها على زجاجة البيرة فإن شهود الدفاع قالوا أن يد الرجل قد تتصلب فى وضع مشوه فى حالة شربه السم، ومن ثم استطاع أن يمسك زجاجة البيرة فى وضع غير طبيعى على الإطلاق.

هناك شىء آخر يبقى بدون تفسير، وهو مسلك كارولين طوال المحاكمة. لكننى الآن أكاد أتخيل السبب فى ذلك. لقد كانت هى فعلا التى أخذت السم من المعمل، وكان إصرارها على إنهاء حياتها بنفسها هو الدافع إلى انتحار زوجها بدلا منها. ومن المعقول أن يكون إحساسها الزائد بالمسئولية دفعها للإحساس بأنها مسئولة عن موته - وأقنعها

بأنها مذنبة فى ارتكابها جريمة رغم أنها ليست الجريمة التى تحاكم عليها فعلا.

أظن أن هذا يمكن أن يكون معقولا ومن ثم - وكأن هذا هو ما حدث تستطيع يا مستر بوارو أن تقنع كارلا بذلك حتى يمكنها أن تتزوج حبيبها مستريحة إلى أن كل ما أتته أمها هو دافع - لا أكثر - لأن تتخلص من حياتها بنفسها.

إن هذا ليس هو كل ما سألتنى عنه - وأحداث تلك الفترة كما أتذكرها هى كما يلى:

لقد نمت ليلة الحادث نوما سيئا يقلقنى تطور الأحداث الخطيرة لدى أصدقائى، وبعد أرق طويل حاولت فيه دون جدوى التفكير فى شىء يمكن أن يساعد فى تجنب المأساة نمت نوما عميقا حوالى الساعة السادسة صباحا. ولم يوقظنى إحضار الخادم الشاى حتى استيقظت فى الساعة التاسعة والنصف. بعد ذلك بقليل ظننت أنى سمعت حركة فى الحجرة التى تعلوها حجرتى وهى حجرة المعمل. ولابد لى من القول هنا أن تلك الأصوات كانت كأصوات قطة تحاول الدخول. ولقد وجدت شراعة النافذة مفتوحة قليلا وكأنها قد أهمل إغلاقها فى اليوم السابق. كانت مفتوحة بالقدر الذى يسمح لقطة بالدخول. إننى أذكر سماعى تلك الأصوات حتى أفسر دخولى إلى المعمل.

فعلت ذلك بعد أن ارتديت ملابسى مباشرة، مررت بنظرى على الرفوف لألحظ أن الزجاجة المحتوية على الكونين ليست فى مكانها العادى مع بقية الزجاجات. كان هذا ما لفت انتباهى إليها، وأدهشنى بعد ذلك أن أجدها نصف خاوية بعد أن كانت الزجاجة مليئة تماما فى

اليوم السابق أما الآن فقد كادت تكون فارغة.

أغلقت النافذة ثم الباب ورائى وأنا أشعر بالضيق والدهشة معا، وهذا - كما أعترف يجعل تفكيرى أقل سرعة وهذا ما زادنى انزعاجا. سألت كل من فى البيت فأنكر الجميع أن أيا منهم قد دخل المعمل على الإطلاق فكرت فى الأمر برهة ثم قررت أن اتصل بأخى تليفونيا أطلب نصيحته.

لقد كان فيليب على الدوام أسرع منى فى كل شىء، ومن ثم فقد حثنى على الذهاب إليه ومناقشة الأمر معه. ذهبت إلى هناك وقابلت مس وليامز وهى تبحث عن تلميذتها، فأكدت لها أننى لم أر انجلا وأنها لم تأتى إلى منزلى. ولابد أن مس وليامز لاحظت فى تغيرا - لقد رمقتنى باندهاش، لكن لم يكن فى نيتى أن أخبرها بما حدث وانطلقت إلى الشاطىء لأجدف متجها إلى ضيعة أولبرى حيث كان أخى واقفا على الجانب الآخر فى انتظارى.

سرنا نحو المنزل معا فى الطريق الذى سرت فيه معك. وفى مرورنا بحديقة المدفعية سمعنا ما كان يدور داخلها. وفيما عدا أن كارولين وامياس كانا يتناقشان فيما يشبه الشجار فإننى لم ألق انتباها إلى ما كان يقال. إننى بالتأكيد لم أسمع تهديدا من أى نوع تنطق به كارولين. كان موضوع المناقشة هو انجلا فقد كانت كارولين تتوسل ألا تذهب إلى المدرسة، إلا أن امياس كان مصرا على موقفه وصاح قائلا. إن الأمر قد انتهى وأنه سيهتم بأن تحزم حقائبها.

فتح باب حديقة المدفعية ونحن أمامه تماما لتخرج منها كارولين وقد بدا عليها الاضطراب. ابتسمت لى بذهن غائب وقالت أنهما كانا يتناقشان فى موضوع انجلا، اقتربت اليزا هابطة الطريق فى تلك اللحظة، وكان من

الواضح أن امياس يريد أن يتخلص منها ليستأنف الرسم.

إن شقيقى فيليب لام نفسه عدة مرات بعد ذلك لأننا لم نتخذ اجرءا سريعا لكننى لا أرى الأمر من هذه الزاوية.

فإنه لم يكن لنا أى حق فى افتراض أن أحدهم يفكر فى ارتكاب الجريمة - بالإضافة إلى أننى الآن أعتقد أنها لم تكن شيئا مدبرا. كان من الواضح أن علينا أن نتخذ اجراء، لكننى رأيت أن نتحدث سويا أولا حتى نكتشف أصح طريق نسير فيه، ولقد راودتنى هواجس عديدة منها: هل كانت الزجاجة حقيقة مليئة فى اليوم السابق، إننى لست من هؤلاء الأشخاص الذين يستطيعون أن يكونوا واثقين من شىء تماما فإن الذاكرة قد تخونك أحيانا، وكلما حاولت استعادة حالة الزجاجة بعد ظهر اليوم السابق كلما ازددت شكا فى نفسى. لقد كان هذا ما ضايق فيليب الذى فقد صبره معى.

لم نستطع أن نستمر فى نقاشنا ذلك الوقت، واتفقنا على تأجيل الحديث حتى بعد الغداء. وفيما بعد أحضرت لنا انجلا وكارولين البيرة، وسألت انجلا لماذا اختفت عن مربيتها فقالت أنها لم تكن تريد أن تحيك قميصها القديمة فى حين أنها ستشترى أشياء جديدة بمناسبة ذهابها إلى المدرسة ولما لم أستطع الحديث مع فيليب فقد تجولت فى الطريق المؤدى إلى حديقة المدفعية، وجلست فى تلك المساحة المفتوحة التى تطل على الحديقة تماما لأدخن وأرقب اليزا وقد أخذت وضع الموديل أمام امياس.

سأظل أذكرها كما كانت فى ذلك اليوم بقميصها الأزرق، والبلوفر الأحمر معلق فوق كتفيها، والبحر وراءها، وهما يتكلمان عن مشاريعهما

بالنسبة للمستقبل.

يبدو ذلك وكأنى كنت استرق السمع، لكن الأمر لم يكن كذلك، فإن اليزا كانت ترانى جيدا، وكانت هى وامياس يعرفان أننى هناك، بل إنها لوحت لى بيدها وصاحت: إن امياس كان قاسيا تماما هذا الصباح لأنه لم يعطها فرصة لتستريح بعد أن تصلبت عضلاتها.

زمجر امياس أن عضلاتها لم تتصلب مثل عضلاته المصابة بالروماتيزم، وقالت اليزا إنه رجل عجوز مسكين، وأنها كانت ستتزوج رجلا مريضا منتهيا.

لقد صدمنى حديثهما المتطلع إلى المستقبل بينما هما يتسببان فى تلك المعاناة الشديدة لكارولين، لكننى رغم ذلك لم أحقد عليها، فقد كانت صغيرة، وقد وقعت فى الحب، ولا تكاد تعرف ماذا تفعل. لقد افترضت بسذاجة أن كارولين ستتغلب علي مشاعرها وستكون (على ما يرام) إن اليزا لم تكن ترى سوى نفسها واميـاس سعيدين. لم تكن تساورها الشكوك، ولكن هل يمكن أن تساور الشكوك شبابا متطلعا؟

لم يتكلما كثيرا فأى رسام لا يحب الثرثرة وهو يعمل، لأنه بعد ما يقرب من عشرة دقائق سمعت اليزا تقول:

- أظن أنك على حق بالنسبة لاسبانيا: إنها أول مكان يجب أن نزوره ولابد أن تأخذنى لمشاهدة مصارعة الثيران، فهى لا شك شىء رائع، إلا إننى أريد أن يقتل الثور المصارع وليس العكس، فإن الرجال ليسوا شيئا، لكن الحيوانات رائعة.

بدت لى اليزا نفسها كحيوان بدائى وليست بشرا له تجاربه

الحزينة. إنها لم تكن تفكر، بل تشعر فقط، لكنها كانت قبل كل شىء مليئة بحيوية لم أر مثلها قط من قبل. لكن تلك كانت آخر مرة أراها فيها بهذا الانطلاق والثقة على قمة العالم، ذلك أن الجرس رن معلنا الغداء، فانضمت إلى اليزا عند باب حديقة المدفعية، ومن مكانى شاهدت امياس مستلقيا على المقعد الطويل، ويداه ممدودتان إلى جانبيه. كان يحدق فى اللوحة، ولطالما رأيته فى هذه الحالة.

كيف كان لى عندئذ أن اعرف أن السم كان يسرى فى جسده ويصلب عضلاته؟

لقد كان يكره المرض ولا يعترف به إطلاقا. وأظن أنه أعتقد أنها ضربة شمس تلك التى ألمت به، فإن أعراضها مشابهة، لكنه على أية حال لم يشكو من ذلك. قالت اليزا (إنه لن يأتى للغداء). أما أنا فقلت لنفسى أن ذلك عمل حكيم منه. ثم قلت له بصوت مرتفع (إلى اللقاء إذن).

حول عينيه من اللوحة إلى وفيها نظرة توحى بالشر. لم أفهم ذلك عندئذ وتخيلت أنه ربما كانت اللوحة على غير ما يريد، وقد كانت هذه عادته فى هذه الحالة - أن يبدو متوحشا. ولما لم نجد شيئا غير عادى فيه انطلقت أنا واليزا للغداء ونحن نتحدث ونضحك.

كانت كارولين طبيعية تماما أثناء الطعام، ربما مشغولة بأفكارها قليلا ليس أكثر، لم يكن هناك ما يدل على ارتباطها بما كان يحدث وإلا لكانت ممثلة ممتازة. بعد ذلك ذهبت هى والمربية ووجدته ميتا. التقيت بمس وليامز عائدة فى هلع وطلبت منى أن أتصل تليفونيا بالطبيب وعادت هى إلى كارولين. أما اليزا الفتاة المسكينة هذه فقد أصابها حزن مميت كأنها كالأطفال لا يصدقون أن الحياة يمكنها أن

تدفع بهم الى الموت.

أما كارولين فقد كانت هادئة تماما، وكانت قادرة بالطبع على ضبط عواطفها لم تبد وكأن ضميرها يؤنبها بل قالت فقط أنه انتحر. لكننا لم نستطع أن نصدق ذلك إلى أن انفجرت اليزا متهمة إياها فى مواجهتها.

وربما أدركت هى بالطبع أنها قد تتهم، وهذا يفسر سلوكها فيما بعد.

كان فيليب مقتنعا تماما أنها ارتكبت الجريمة. أما الممرضة فقد ساعدت اليزا على أن تتمالك نفسها، وحملت انجلا على الابتعاد عندما حضر رجال الشرطة. لقد كانت امرأة مدهشة.

إن الأمر كله كابوسا بغيضا والشرطة ينقبون فى المنزل ويوجهون الأسئلة، ثم رجال الصحافة بكاميراتهم يستجوبون أفراد الأسرة.... لقد كان الأمر كله كابوسا مخيفا.

إنه مازال كابوسا مخيفا بعد كل تلك الأعوام. ولكن شكرا لله لو أنك استطعت أن تقنع كارلا بما حدث حقيقة، فإننا نستطيع جميعا أن ننسى الأمر برمته ولا نتذكره بعد ذلك مطلقا.

إن امياس كريل لابد قد انتحر - مهما بدا الأمر بعيد الاحتمال.

انتهت رواية ميرديث بليك



رواية ليدى دينشام

لقد أوردت هنا القصة الكاملة للقائى باميـاس كـريل حتى وقت وقـوع مأساة موته. لقد رأيته أول مرة فى حفل أقامه أحد الرسامين. أتذكـر أنه كـان يقف إلى جـوار النافـذة، وعندمـا سألت أحدهم عمن يكون قال (إنه اميـاس كـريل الرسام) فقلت على الفور أننى أحب التعرف إليه.

تحدثنا فى تلك المناسبة حوالى عشر دقائق، وليس لأحد أن يتكلم عن الانطباع الذى تركه امياس كريل فهو لا يوصف. لاأحسن ما أصف به هذا التأثير إنما القول بأننى عندما كنت أرى امياس كريل كان وجود الآخرين جميعا يتلاشى تماما.

بعد هذ اللقاء المباشر ذهبت لرؤية جميع لوحاته وبعضها فى المتاحف، وعندما التقيت به فى المرة التالية قلت له (لقد ذهبت لرؤية جميع لوحاتك. وأعتقد انها رائعة) فقال:

- ومن قال أنك تصلحين للحكم على اللوحات؟ لا أعتقد أنك تفهمين أى شىء فيها.

- ربما لا ولكن ذلك لا يمنع من أن تكون رائعة.

- لا تكونى فتاة صغيرة مندفعة فى مشاعرك.

- إننى لست كذلك وإننى أريدك أن ترسمنى.

- لو أن لك عقلا على الإطلاق لأدركت أننى لا أرسم نساء جميلات.

- لا يهم أن تكون لوحة، ثم أننى لست امرأة جميلة.

نظر إلى عندئذ وكأنه يرانى لأول مرة ثم قال: كلا، ربما لست كذلك.

- هل سترسمنى؟

- إنك لست سوى طفلة غريبة، ألست كذلك؟

- إننى ثرية جدا، وأستطيع أن أدفع مقابلها.

- ولماذا تهتمين بأن أرسمك؟

- لأننى أريدها. وأنا دائما أحصل على ما أريد.

جذبنى من كتفى وأدارنى نحو الضوء ثم ابتعد عنى قليلا و أنا أنتظر فى سكون ثم قال: لقد أردت أحيانا رسم ببغاء ضخم متعدد الألوان هابطا فوق كاتدرائية سانت بول. ولو أننى رسمتك بخلفية منظر طبيعى لحصلت على نفس النتيجة كما أعتقد. سأرسمك. ولكنى أحذرك يا اليزا جرير من أننى لو قمت برسمك فربما طارحتك الغرام.

- أود أن تفعل.

قلت ذلك بهدوء وبطريق مباشرة. سمعته يلتقط أنفاسه دهشة، ورأيت نظرة خاصة فى عينيه..... لقد تم كل شىء فجأة كما ترى.

بعد ذلك بيوم أو اثنين التقينا مرة أخرى. قال لى أن أذهب إلى ضيعته حيث المنظر الطبيعى - قال:

- إننى متزوج كما تعرفين، وأنا مغرم جدا بزوجتى.

- بما أنك مغرم بها فلابد أن تكون سيدة لطيفة.

- إنها فعلا كذلك... إنها محبوبة جدا وأنا متيم بها. ومن ثم عليك أن تضعى هذا فى اعتبارك يا اليزا. قلت له أننى فهمت ما يرمى إليه. وبدأ الرسم بعد ذلك بأسبوع، بعد أن كانت كارولين قد استقبلتنى بالترحاب، لم تشعر نحوى بالحب، ولكن ما الذى يدفعها إلى ذلك؟ ولقد كان امياس حريصا فلم يقل لى كلمة واحدة لا يمكن أن تسمعها زوجتها، كنت أنا بالتالى مؤدبة ورسمية فى حديثى إليه. وتحت هذا الغطاء كان كل منا يعرف ما هنالك. بعد ذلك بعشرة أيام قال لى أن أعود إلى لندن. فقلت: لكن اللوحة لم تنته.

- إنها لم تكد تبدأ بعد، الحقيقة هى أننى لا أستطيع أن أرسمك يا اليزا.

- لماذا؟... أنت تعرفين السبب، ولهذا أيضا عليك أن ترحلى. إننى لا أستطيع أن أفكر فى الرسم أو أى شىء آخر سواك.

كنا عندئذ فى حديقة المدفعية فى يوم مشمس، وكان يمكن أن أشعر بالهدوء والسكينة، لكنى لم أكن كذلك. بل شعرت بالتوتر والمأساة، وكأن ما حدث بعد ذلك كان مرسوما فى المكان من قبل.

كنت أعرف أنه لا فائدة من عودتى إلى لندن لكنى قلت:

- حسنا جدا، سأعود طالما تريد أنت ذلك.

- يا لك من فتاة مطيعة.

وعدت إلى لندن ولم أكتب له. ابتعد عنى عشرة أيام كاملة ثم أتى، كان يائسا تماما لدرجة صدمتنى قال:

- لقد حذرتك يا اليزا. لا تقولى أننى لم أحذرك.

- لقد كنت أنتظرك وكنت أعرف أنك ستحضر.

- إن هناك أشياء أكبر من قوة أى رجل. إننى لا أستطيع أن أشرب أو آكل أو أنام بسبب حاجتى إليك. قلت له اننى أعرف ذلك، وأننى كنت أقاسى من ذلك الذى يقاسى منه، وإن ذلك حدث منذ اللحظة الأولى التى رأيته فيها. لقد كان القدر ولا فائدة من محاربة القدر. قال: إنك لم تحاربى كثيرا. يا اليزا. أليس كذلك؟

قلت أننى لم أحارب على الإطلاق. قال أنه يتمنى لو لم أكن صغيرة السن إلى هذا الحد، فأجبته أن هذا لا يهم. ويمكننى القول أننى وهو كنا فى غاية السعادة فى الأسابيع القليلة التالية... لكن كلمة سعادة لا تكفى، لقد كانت شيئا أكثر عمقا من ذلك. كنا وكأن كل منا قد ولد للآخر، وأن أحدنا قد عثر على الآخر فى نهاية الأمر، وأننا سنستمر سويا على الدوام.

لكن شيئا آخر حدث فى نفس الوقت، بدأت تلك اللوحة الناقصة تؤرق امياس إلى أن قال:

- يا له من أمر مضحك. إننى لم أستطع رسمك من قبل، وكنت أنت السبب - لكنى أريد أن أرسمك يا اليزا. ستكون تلك اللوحة أروع

شيء رسمته حتى الان. إنني أتحرق شوقا الآن لأن أمسك بالفرشاة لأرسمك وأنت جالسة على جدار حديقة المدفعية والبحر الأزرق وراءك... إنني لا أريد مشاكل أثناء رسم اللوحة، ومن ثم فسوف أنتظر حتى تنتهي ، ثم أخبر كارولين بالأمر وننهي المسألة برمتها.

- هل ستثير كارولين العقبات أمام إعطائك الطلاق؟

- لا أعتقد ذلك. لكنك لا يمكنك أن تتأكدى من شيء يتصل بامرأة.

قلت سأكون حزينة لو أنها تضايقت، ولكن هذه الأمور تحدث فقال: إنك عاقلة جدا يا اليزا، لكن كارولين ليست عاقلة مثلك، ولن تكون مشاعرها معقولة، فهي تحبني كما تعلمين.

قلت أنني أفهم ذلك لكن طالما كانت تحبه فسوف تضع سعادته في المكان الأول، وأنها لن تحتفظ به في حين يريد هو حريته. قال:

- إن مشاكل الحياة لا يمكن حلها بالحكم المكتوبة في كتب الأدب. تذكرى أن الطبيعة لها أسنان قوية.

- إننا بشر متحضرون هذه الأيام.

ضحك امياس وقال: فليذهب الناس المتحضرون إلى الجحيم - إن كارولين ستكون عندئذ مستعدة لضربك ببلطة، وقد تفعل ذلك. الا تدركين يا اليزا أنها ستقاسي؟ ألا تعرفين معنى المعاناة؟

- إذن لا تخبرها.

- كلا فإن الانفصال سوف يأتي لا ريب فيه. لابد لك أن تنتمي إلى ياإليزا أمام جميع العالم.

- افرض أنها لن تعطيك طلاقا؟ إننى لست خائفا من ذلك.

- فما الذى تخاف منه إذن؟

كان خائفا من شىء بالنسبة لكارولين، ولم أعرف ما هو - لو [illegible] فقط عرفت.... وعدنا إلى أولبرى مرة أخرى لنجد الأمور [illegible] صعوبة، فقد أصبحت كارولين أكثر شكا، ولم يرقنى ذلك مطلقا [illegible] كنت أكره على الدوام الخداع والغش، وظننت أنه يجب [illegible] نخبرها، لكن امياس لم يكن يسمح بذلك. لكن ذلك لم يكن يهمه [illegible] كان يهتم إلى حد كبير. فرغم أنه كان مغرما بكارولين ولا يريد [illegible] إلا أنه لم يهتم بأن يكون صادقا أو غير صادق. كان يرسم [illegible] من الحمى، ولا شىء سواها له قيمة. إننى لم أره فى مثل [illegible] من قبل، وأدركت عندئذ أن له عبقريةخاصة. لكن الأمر كان [illegible] بالنسبة لى، لأننى كنت فى موقف تسيئ، فكارولين لا تحب [illegible] الحق، ولم يكن أمامى سوى أن أخبرها بالحقيقة حتى يستقيم [illegible]

لكن كان كل ما امياس يقوله هو أنه لا يريد شجارا حتى ينتهى [illegible]

قلت له أنه ربما لن يكون هناك شجار، وقد [illegible] تحافظ على كرامتها فلا تثير أى نزاع. [illegible] صادقة بالنسبة للموضوع كله، علينا أن نكون صادقين.

- فليذهب الصدق إلى الجحيم فإننى أرسم اللوحة - اللعنة على كل شىء.

كنت أستطيع أن أفهم وجهة نظره، لكنه لم يكن يفهم وجهة نظرى.

وفى النهاية انتهزت الفرصة، فعندما كانت كارولين تتحدث عن

شىء ستفعله مع امياس فى الخريف التالى، وكانت تتكلم بثقة تامة، شعرت أنه شىء كريه أن أدعها تستمر فى هذا الوهم، فنطقت بالحقيقة. مازلت أظن أننى كنت على حق فى ذلك رغم أننى لم أكن لأفعل هذا لو أننى عرفت بأن ما حدث كان مقدرا له أن يحدث. وقع الصدام مباشرة، وتعرضت لغضب امياس الأعمى، لكنه اضطر أن يعترف بأن ما قلته هو الحقيقة. لم أفهم موقف كارولين على الإطلاق. فقد ذهبنا لتناول الشاى عند ميرديث بليك، وكان سلوك كارولين رائعا، فقد ظلت تضحك وتتحدث، ولقد ظننتها - وكان هذا حمقا منى أنها تتحمل الموقف بصلابة. كنت محرجة لعدم استطاعتى ترك المنزل، لكن امياس سيغضب بشدة لو فعلت. ظننت لحظة أن كارولين ربما ترحل هى، ولو أن ذلك قد حدث لجعل الأمور أسهل بكثير. إننى لم أرها تأخذ الكونين، ويحتمل تماما أنها قد أخذته - طبقا لأقوالها - كى تنهى به حياتها ، لكننى حقا لا أظن ذلك، لأنها من ذلك النوع الغيور المتملك من النساء اللائى لا يمكن أن يتخلين عن شىء يعتقدن أنه لهن. كان امياس ملكا خاصا لها، وأظن أنها كانت مستعدة لأن تقتله ولا تتركه يذهب نهائيا ولا كلية - إلى امرأة أخرى. أظن أنها قررت أن تقتله، وأن عرض ميرديث للكونين بمحض الصدفة أعطاها الوسيلة لتنفيذ ما عزمت عليه - تلك المرأة التى ملأتها المرارة وحب الانتقام. لقد كان امياس على الدوام يعرف أنها خطرة، لكننى لم أكن أعرف ذلك عنها.

فى صباح اليوم التالى جرت مشاجرة أخرى بينها وبين امياس سمعت معظمها وأنا فى الشرفة. كان هو صبورا هادئا يتوسل إليها أن

تكون عاقلة، قال لها أنه مغرم بها وبالطفلة، وأنه سيفعل أى شىء لضمان مستقبلهما، لكنه كان مصرا تماما على الزواج منى ولن يوقفه عن ذلك شىء، وذكرها بأنهما كانا قد اتفقا على أن يترك كل منهما الآخر حرا. حينما يرغب أى منهما فى ذلك. قالت كارولين عندئذ.

- افعل كما يحلو لك، لقد حذرتك.

- ما الذى تقصدينه يا كارولين؟

- إنك لى، ولن أسمح أبدا بأن تتركنى، وقبل أن تفعل ذلك سوف أقتلك.

وفى تلك اللحظة تقدم نحوى فيليب بليك فنهضت للقائه، وابتعدت به لأننى لم أرغب فى أن يسمع شيئا. بعد قليل، خرج امياس وقال لى أنه حان الوقت لاستئناف رسم اللوحة، فذهبنا سويا إلى حديقة المدفعية. لم يقل الكثير سوى أن كارولين مستاءة جدا، وطلب منى ألا أتحدث فى الموضوع، لأنه يريد أن يركز ذهنه فيما يفعل، وأن يوما آخر من العمل، فى اللوحة سيتمها. قال:

- ستكون هذه اللوحة أروع شىء رسمته حتى الآن يا اليزا، حتى لو كان ما دفعته فى سبيلها هو الدم والدموع.

بعد ذلك بدقائق ذهبت إلى المنزل لاحضار البلوفر، وأثناء عودتى كانت كارولين مع امياس فى حديقة المدفعية، وأعتقد أنها كانت تتوسل إليه للمرة الأخيرة ورأيت معها فيليب وميرديث بليك، وعندئذ قال امياس أنه يريد بعض البيرة حيث أن فى الحديقة كانت ساخنة. قالت كارولين أنها سترسل بيرة مثلجة. قالت ذلك بطريقة طبيعية تماما. يا لها من ممثلة ماهرة تلك المرأة، فلابد أنها عندئذ كانت تعرف ما تنوى

[illegible] أحضرت البيرة بعد ذلك بعشر دقائق فى حين كان امياس يرسم. صببتها ووضعت الكأس إلى جواره. لم أكن أنا أو هو نرقبها عندئذ فقد كان امياس يركز فى الرسم، بينما أنا متخذة وضعى كموديل. شرب امياس ما فى الكأس جرعة واحدة كعادته، ثم ظهرت على وجهه علامات الامتعاض وقال أن مذاق البيرة كريه، لكنها كانت باردة على أية حال. وحتى فى تلك اللحظة - ورغم قوله ذلك لم يداخلنى أى شك، بل ضحكت وقلت أنه لابد أن كبدك هو السبب فى ذلك يا امياس. وبعد أن رأته يشرب البيرة ابتعدت كارولين نحو المنزل.

لابد أنه مرت أربعون دقيقة قبل أن يشكو امياس من ألم وتصلب فى عضلاته، قال أنه لابد روماتيزم عضلى، وهو الذى لم يكن يحب أن يعترف بأنه مريض مطلقا. وبعد أن قال ذلك خفف من وقع كلماته بأن أردف ضاحكا (إنه كبر السن كما أعتقد، إنك تأخذين رجلا عجوزا قارب النهاية يا اليزا. قلت شيئا ردا على مزاحه، لكنى لاحظت عندئذ ساقيه تتحركان بطريقة متصلبة. لكنى لم أظن أن السبب شىء آخر غير الروماتيزم. [illegible] جلس على المقعد الطويل وتمدد عليه، كان ممددا على [illegible] ذلك ليريح عضلاته من الرسم، ومن ثم لم [illegible] شيئا غير عادى. سمعنا رنين الجرس يدعونا [illegible] قال انه لن يتناوله معنا، بل سيبقى ليرسم، ولم يكن [illegible] فقد اعتاد عليه، بالإضافة لأنه كان يسهل [illegible] كارولين على مائدة الطعام. كان يتكلم بطريقة [illegible] بالكلمات، لكنه كان أحيانا يفعل ذلك عندما لا يكون [illegible] فى اللوحة. أتى ميرديث بليك ليصحبنى،

وتحدث إلى امياس، لكن امياس لم يكن به ميل للكلام.

واتجهنا إلى المنزل سويا تاركين امياس بمفرده - كى يموت وحيدا.
إننى لم أر إنسان يتطور به المرض فى حياته مطلقا، ولم أكن أظن أن امياس به شيء سوى عصبية الرسام، ولو أننى أدركت ما به، فربما أتيت بطبيب ينقذه... يا الهى كم كنت حمقاء عمياء.

ليس هناك ما يمكن أن أضيفه أكثر من ذلك سوى أن كارولين والمربية هبطا إليه بعد الغداء يتبعهما بليك، وعلى الفور عاد هذا ليقول لنا إن امياس قد مات.

وعندئذ فقط علمت، اقصد أنها كانت كارولين رغم أننى لم أفكر فى السم، وكان ما ظننته هو أنها قد أطلقت عليه النار أو أغمدت فى صدره خنجرا. أردت أن افترسها، أن أقتلها. كيف فعلت هذا؟ كيف استطاعت أن تفعل هذا؟ لقد كان مليئا بالحياة والحيوية، أن يخمد كل ذلك ليصبح جثة هامدة باردة - لقد فعلت هذا كى تحرمنى منه.

يا لها من امرأة مخيفة قاسية منتقمة.

إننى أكرهها ومازلت أكرهها -إنهم لم يشنقوها، وكان يجب [illegible]

إن الشنق نفسه ليس كافيا بعقابها، إننى أكرهها.. أكرهها.. أكرهها.

نهاية رواية ليدى ديتشام

رواية سيسيليا ويليامز

عزيزى مستر بوارو:

إننى أرسل لك تقريرا عن حوادث التاسع عشر من سبتمبر كما شاهدتها بنفسى. لقد كنت صريحة تماما ولم أخف شيئا مطلقا، وتستطيع أن تطلع كارلا كريل عليه. قد يؤلمها ما جاء به، لكننى كنت على الدوام أثق فى قول الحقيقة، فإن نصف الحقائق أكثر ضررا، ولابد للمرء أن يكون أكثر شجاعة لمواجهة الواقع. وبدون هذه الشجاعة لن تكون للحياة معنى. وأكثر الناس اضرارا بنا هم أولئك الذين يخفون الحقيقة عنا.

المخلصة سيسيليا ويليامز

اسمى هو سيسيليا ويليامز، وقد استخدمتنى مسز كريل كمربية لأختها غير الشقيقة انجلا وارن. وقد استلمت عملى فى أولبرى، وهى ضيعة جميلة كانت على الدوام ملكا لأسرة مستر كريل، وكنت أعرف أن مستر كريل كان رساما مشهورا، لكننى لم ألتق به إلا حين ذهبت للإقامة فى أولبرى.

كانت الأسرة مكونة من مستر ومسز كريل وانجلا وارن وهى فى الثالثة عشرة من عمرها، وثلاث خدم قضوا معظم حياتهم فى خدمة الأسرة. وجدت تلميذتى فتاة لطيفة تبشر بالخير، وقد سرنى أن أقوم

بتعليمها بالرغم من فيض حيويتها التى يمكن توجيهها لفائدتها. كانت انجلا مدللة بسبب معاملة مسز كريل، أما مستر كريل فلم يكن حكيما فى موقفه تجاهها، فأحيانا يصادقها تماما، وأحيانا تغضبه تصرفاتها فيحنق عليها، لكن هذا هو طبع الفنان.

إننى لا أفهم مطلقا أن يتخذ الفنان من موهبته عذرا ليفعل ما يشاء. وإننى لم أعجب مطلقا برسوم مستر كريل والتى أعتبر ألوانها مبالغا فيها، لكننى طبعا ليس لى أن أعبر عن رأيى. ولكنى شعرت بالصداقة والإعجاب بمسز كريل التى كانت تتحمل صعوبة الحياة فى صلابة، ذلك لأن مستر كريل لم يكن زوجا مخلصا وكان هذا ما يؤلمها. ولو أنها كانت امرأة أخرى لتركته بلا عودة، لكن مسز كريل لم تفكر فى ذلك مطلقا بل تحملت عدم إخلاصه وغفرته له، رغم أنها لم تتحمل ذلك فى هدوء بل كانت تتشاجر معه بروح قتالية.

لقد قيل فى المحاكمة أنهما عاشا معا كالقطة والكلب، إننى لا أرى هذا الرأى، فرغم تكرار الشجار فإن ذلك كان شيئا طبيعيا فى مثل تلك الظروف. كنت قد أتممت عامين فى خدمة الأسرة عندما حضرت اليزا جرير إلى المنزل فى الصيف، ولم تكن مسز كريل قد التقت بها من قبل، وقيل أن الغرض من الزيارة هو أن مستر كريل سيرسم لها لوحة. كان واضحا من أول لحظة أن مستر كريل كان متأثرا بجمال الفتاة التى لم تفعل شيئا لتبعده عنها، بل إنها كانت تتصرف بوقاحة تجاه مسز كريل، وذلك بأن تتبادل الغزل مع زوجها.

ومن الطبيعى أن مسز كريل لم تكن تخبرنى بشىء، لكنى استطعت أن أرى أنها كانت تعسة قلقة، وقد فعلت ما فى وسعى كى أسرى عنها.

...ير تجلس ساعات طويلة أمام مسز كريل لكن الصورة لم
... بسرعة وكان الواضح أن لديهم أشياء أخرى يتحدثون عنها.

إن تلميذتى لم تكن - لحسن الحظ - تلحظ شيئا مما يحدث، لأنها
... رغبة فى قراءة كتب فى خارج دائرة دراستها وسنها، ولم
... تطلاع مرضى من أى نوع، ومن ثم فإنها لم تكن ترى أى
... مرغوب فيه فى صداقة مستر كريل ومس جرير، رغم أن
... الأخيرة كان سيئا، فقد اعتبرتها إنسانة غبية، ذلك أنها لم
... موضوعا عقليا أو كان لها أفكار أدبية أو علمية من أى نوع لم
...كن يشغلها سوى مظهرها الخارجى - الثياب والرجال.

أظن أن انجلا لم تشك فى أن أختها كانت تعسة، ذلك أنها كانت
تقضى وقتها فى تسلق الأشجار والسباحة والقراءة. ذلك بالإضافة إلى
أن مسز كريل تهتم بأن تخفى علامات حزنها عن انجلا، وتهتم على
... بأن تظهر بمرحها المعتاد فى حضور الفتاة.

... جرير إلى لندن، وهو شىء أسعدنا جدا، فإنها من النوع
... متاعب جمة ولا يهتم بأن يشكرك. وغاب مستر كريل
... إ... مباشرة مما فهمت منه طبعا أنه ذهب خلف الفتاة.
... أجل مسز كريل، فإنها حزنت جدا، مما جعلنى
... مستر كريل، فإنه عندما يكون للرجل زوجة جذابة
... أن يعاملها بفظاظة. على أية حال كان أملنا أن
... لم يحدث أننا تحدثنا فى الموضوع، لكنها كانت
... نحوها.

... الحظ - بعد بضعة أسابيع - عاد كلاهما إلى الظهور،

وبدا وكأن جلسات الرسم ستعيد سيرتها الأولى. لكن مستر كريل بدا الآن مشغولا باللوحة أكثر من انشغاله بالفتاة. ورغم ذلك لاحظت أن الأمور لم تعد إلى طبيعتها، وأن الفتاة قد شددت قبضتها عليه، وأنها تقصد أن تخطفه، وكان هو لينا فى يدها.

تطورت الأمور بسرعة فى اليوم السابق لليوم الذى مات فيه. أى فى السابع عشر من سبتمبر. كان سلوك مس جرير فظا للغاية فى الأيام الأخيرة، ذلك أنها أحست بثقة زائدة فى سيطرتها على الموقف. أما مسز كريل فقد كانت تتصرف بهدوء ورزانة لكنها كانت توحى للأخرى بما تكنه لها من آراء ومشاعر.

فى ذلك اليوم كنا جالسين فى حجرة الصالون بعد الغداء نطقت مس جرير بملحوظة غريبة عن نيتها إعادة تأثيث الحجرة عندما تأتى للإقامة فى أولبرى، وبطبيعة الحال لم تستطع مسز كريل أن تترك هذا يمر فتحدثا إلى أن قالت مس جرير - أمامنا جميعا - أنها سوف تتزوج مستر كريل. لقد قالت فعلا أنها ستتزوج رجلا متزوجا بالفعل، وقالت ذلك لزوجته.

لقد كنت غاضبة من مستر كريل، فكيف له أن يسمح لهذه الفتاة بإهانة زوجته فى منزلها؟ لو أنه أراد أن يهرب مع الفتاة لفعل ذلك دون أن يحضرها إلى بيت الزوجية ويساعدها على إهانة زوجته. ورغم مشاعرها فى تلك اللحظة فإن مسز كريل لم تفقد رباطة جأشها، وعندما دخل زوجها الحجرة طلبت منه ايضاحا.

بدا على مستر كريل الحرج والغضب من مس جرير ووقف وكأنه تلميذ أحمق سيىء السلوك مغمغما أن تلك كانت الحقيقة. لكنه لم يكن

يقصد أن تعرفها مسز كريل بتلك الطريقة. رمقته مسز كريل بنظرة احتقار لم أر مثلها فى حياتى، ثم خرجت من الحجرة مرفوعة الرأس. لقد كانت أكثر جمالا وسحرا من تلك الفتاة، وكانت تتكلم وكأنها إمبراطورة. ولقد داعبنى الأمل عندئذ فى أن يلقى مستر كريل جزاءه لقسوته التى أظهرها تجاه زوجته - تلك المرأة النبيلة القوية.

حاولت أن أقول شيئا أخفف به عن مسز كريل لكنها قالت:

- علينا أن نحاول أن نتصرف كالمعتاد فهذا أفضل شىء، ثم أننا ذاهبون لتناول الشاى عند ميرديث بليك.

- أظن أنك رائعة يا مسز كريل.

- إنك قد لا تعرفين......

ثم خرجت من الحجرة بعد أن قبلتنى. ذهبت إلى حجرتها، وظننت أنها ستبكى هناك. ورأيتها عندما خرجوا جميعا إلى الشاى. كانت تضع قبعة عريضة تخفى بها جزءا كبيرا من وجهها لم يكن مستر كريل يحس بالارتياح، لكنه يتظاهر بأن كل شىء على ما يرام. أما مس جرير فقد بدت منتصرة، وكأنها قطة فازت بطبق من القشدة - ثقة ورضاء عن نفسها.

عادوا من عند ميرديث بليك فى الساعة السادسة، ولم يتح لى أن انفرد بمسز كريل فى ذلك المساء. كانت متماسكة وهادئة وقت العشاء، وذهبت إلى فراشها مبكرة. ولا أعتقد أن شخصا آخر كان يعرف بما تعانيه سواى.

انقضى المساء فى شجار بين انجلا ومسز كريل. عادوا يناقشون

مسألة ذهابها إلى المدرسة الداخلية مرة أخرى. ورغم أن كل شىء كان قد استقر بأن اشتريت لها ملابسها ولوازمها فقد عادوا يناقشون المسألة مرة أخرى من جديد، ولقد كنت أنا فى شاغل بأفكارى الخاصة فلم أحاول أن أردع انجلا عن نقاشها. ترددت فى الذهاب إلى حجرة مسز كريل لخشيتى أن ذلك قد يضايقها. ولو أننى كنت أعرف ما سيحدث لما ترددت فى اصرارى على أن تتحدث إلى، فربما لو حدث ذلك لكانت سلكت مسلكا آخر. لم يكن لها من تسرى إليه بأسرارها، ورغم إعجابى بضبط المرء لنفسه إلا أن التعبير عن الأحزان يكون مخرجا أفضل. والتقيت بمستر كريل فى طريقى إلى حجرتى، وألقى على بتحية المساء، لكننى لم أرد عليه.

وفى صباح اليوم التالى - - وكان يوما رائعا جدا شعرت بأن كل شىء سيكون على ما يرام. ذهبت إلى حجرة انجلا والتقطت جونلة كانت ملقاة على الأرض وهبطت بها إلى الطابق الأرضى لأعطيها لها لتصلحها. حيث أنها كانت قد سبقتنى إلى هناك.

كانت انجلا قد أكلت شيئا خفيفا وخرجت، وبعد أن تناولت افطارى انطلقت للبحث عنها. إننى أقول هذا كى أشرح لماذا لم أقضى وقتا طويلا مع مستر كريل ذلك الصباح. ولما لم تكن ملابس السباحة الخاصة بانجلا فى مكانها فقد انطلقت إلى الشاطىء. لم يكن هناك أثر لها، لا فى الماء ولا على الصخور فقررت أنه من المحتمل أن تكون ذهبت إلى ضيعة مستر ميرديث بليك فقد كانا أصدقاء. عبرت إلى الناحية الأخرى بالقارب لكنى عدت دون أن أجدها. كان كل من مستر فيليب بليك وميرديث بليك يجلسان فى الشرفة.

كـان الطقس حـارا والشـمس قـوية، لكن الشـرفـة كـانت ظليلة، واقتـرحت مسز كريل عليهما أن ترسل لهـمـا بعض البيرة وذهبت خلفها كانت انجلا عند الثلاجة وهى تخرج زجاجـة من البيرة فقالت لها مسز كريل: إننى أريد زجاجة بيرة مثلجة أذهب بها إلى امياس.

كان من الصعب على عندئذ أن أشك فى شىء. كان صوتها - كما أنا واثقة حتى الآن - عاديا تماما. لكن لما كنت مهتمة بتأنيب ا... فإننى لم أركز اهتمامى فى أى شىء آخر، وعندما سألت انجلا أين كانت قالت أنها كانت تسبح. قلت لها أننى لم أجدها هناك، فضحكت وعندما سألتها عن البلوفر الخاص بها قالت أنها لابد وأن تكون نسيته على الشاطىء. أقول هذه التفاصيل لأشرح كيف اضطررت لأن أترك مسز كريل تذهب بالبيرة إلى حديقة المدفعية.

إننى لا أتذكـر أكـثـر من هذا فى ذلك الصـبـاح. أصلحت انجـلا جونلتها بينما انشغلت أنا بأعمال منزلية أخرى. لم يحضـر مستر كريل لتناول الغداء وقد سرنى هذا منه. وبعد الغداء قالت مسز كريل أنها ذاهبة إلى حديقة المدفعية، ولما كنت أريد استعادة بلوفر انجلا من على الشـاطـىء فقد انطلقنا سويا. وبعد أن تركتها بخطوات عند حديقة المدفعية سمعت صياحها يناديـنى. وكما قلت لك أثناء زيارتك لى طلبت هى إلى أن اتصل بالطبيب تليفونيا، لكنى عهدت بالمهمة إلى مستر ميرديث وعدت إليها.

هذه هى روايتى التى قلتها أثناء التحقيق ثم بعد ذلك فى المحاكمة.

لكن الذى سأكتبه الآن هو شىء لم أخبر به أى مخلوق من قبل. إن أحدا لم يوجه إلى سؤالا لم أجبه عليه بصدق. لكننى رغم أى اعتبار

مذنبة بأننى حجبت بعض الحقائق وأنا نادمة على ذلك. لكنى أشعر أيضا أنه بكشفى هذه الحقيقة قد أتعرض للوم لكنه بعد مرور كل تلك السنوات لا أعتقد أن أحدا سيأخذ ما أقوله على محمل الجد - خاصة وأن كارولين كريل قد وجدت مذنبة حتى دون الدليل الذى حجبته. وهذا ما حدث:

لقد التقيت بمستر ميرديث بليك كما قلت وعهدت إليه بالاتصال بالطبيب، وعدت بأسرع ما يمكننى إلى حديقة المدفعية، وعندما أصبحت عند بابها رأيت ما يلى:

كانت مسز كريل مشغولة بمسح ما على زجاجة البيرة بمنديلها. وبعد أن فعلت ذلك أخذت يد زوجها الميت ووضعتها على زجاجة البيرة. كانت طوال الوقت متيقظة منتبهة. وكان الخوف الذى لمحته على وجهها هو ما كشف لى الحقيقة. لقد عرفت عندئذ - بلا أى شك أن كارولين كريل قد سمت زوجها. وعن نفسى فإننى لا ألومها، فقد دفع بها لليأس فوق احتمال البشر، ولقد تسبب فى موته بيده.

إننى لم أذكر هذا الذى رأيته لمسز كريل، ولم تعرف هى مطلقا أننى رأيته. لا يجدر بابنة كارولين كريل أن تبنى حياتها على كذبة، ومهما كان الألم الذى تسببه معرفة الحقيقة، فإن الحقيقة أفضل من أى شىء آخر. قل لها عنى أن أمها لم تفعل ما فعلته برغبتها، بل دفعت إليه دفعا. وعلى ابنتها أن تفهم وأن تعفو.

نهاية رواية سيسيليا وليامز

رواية انجلا وارن

عزيزى مستر بوارو

ها أنا أنفذ وعدى لك وأكتب ما أتذكره عن تلك الأحداث الدامية التى حدثت منذ ستة عشر عاما. ولكنى حتى بدأت الكتابة لم أكن أدرك أن ما أتذكره هو قليل جدا. وحتى وقوع ذلك الحادث لم يكن هناك ما يثبت أحداث تلك الأيام فى ذهنى. لدى ذكرى غامضة عن أيام الصيف تلك، حتى أن جاء موت امياس وكأنه رعد انبثق فى السماء بطريقة مفاجئة، حتى أنى أبدو غير متذكرة لتلك الأيام التى سبقتها.

وإنى لأتساءل الآن. هل كان لى وأنا فى الخامسة عشرة من عمرى أن أكون عمياء صماء كما كنت عندئذ؟ وإذا كان للنشاطات أن تقتصر على السباحة وتسلق الأشجار وأكل الفواكه والقراءة لا أكثر، أم أننى كان يجب أن أحلل سلوك الناس وأعرف السبب فيما يلم بهم.

لقد كان كل من كارولين وامياس مركز الحياة بالنسبة لى، ومن ثم لم أكن أفكر فى مشاكلهما أوشئونهما أو ماذا يفكران أو يشعران. إنى أيضا لم ألحظ حضور اليزا جرير بطريقة خاصة. كل ما فكرت فيه أنها كانت غبية وليست جميلة كما يظن الآخرون وقد تقبلت وجودها على أنها إنسانة ثرية متعبة يهتم امياس برسمها.

ولقد كان أول ما أثار انتباهى ما سمعته وأنا فى الشرفة من اليزا وهى تقول أنها سوف تتزوج امياس. رنت فى أذنى تلك الكلمات كشىء سخيف، وأتذكر أننى حاولت إغاظة امياس بالتكلم فى الموضوع، فعندما كنا فى حديقة ضيعة هاندكروس قلت له:

- لماذا تقول اليزا أنها سوف تتزوج؟ إنها لا تستطيع ذلك، فالرجل لا يمكن أن تكون له زوجتان - إن ذلك مخالف للقانون ويؤدى إلى السجن.

أتذكر أن امياس غضب جدا وقال: كيف بحق السماء سمعت ذلك؟

قلت له أننى سمعت هذا الحديث عبر نافذة المكتبة. ازداد غضبه وقال أن الوقت قد حان لذهابى للمدرسة حتى أتخلص من تلك العادة القبيحة بالتصنت على الآخرين - شعرت أن ذلك ليس عدلا، وغمغمت قائلة أننى لم أكن أنصت ورددت قولى عن سبب ما قالته اليزا، فأجاب امياس أنها كانت نكتة. ولقد كان يمكن أن ترضينى هذه الإجابة إلا أنها لم تؤد إلى ذلك تماما. ومن ثم فقد سألت اليزا فى طريق عودتها إلى المنزل (لقد سألت امياس عما كنت تقصدينه بقولك أنك ستتزوجينه، وقد أجابنى بأنها نكتة) شعرت برغبة فى إغاظتها، لكنها لم تفعل شيئا سوى الابتسام. لم تعجبن تلك الابتسامة مطلقا فذهبت إلى حجرة كارولين وسألتها إذا كان من المستحيل بالنسبة لامياس أن يتزوج اليزا، فأجابتنى بالكلمات التالية التى أكاد أسمعها ترن فى أذنى حتى الآن قالت:

- سوف يتزوج امياس من اليزا فقط بعد أن أموت. ولقد أعادت على هذه الإجابة ثقتى تماما، فإن الموت كان يبدو لى شيئا بعيدا جدا. ورغم ذلك- فقد بقيت حانقة على امياس بعد ذلك اليوم، فتشاجرت

معه على العشاء، وانطلقت للحجرة متجهة إلى فراشى وأنا أنتحب.

إننى لا أتذكر كثيرا مما حدث بعد ظهر ذلك اليوم فى ضيعة ميرديث بليك، رغم أننى أتذكر قراءته بصوت عال من كتاب يصف موت سقراط. لم أكن قد سمعت هذه القطعة من قبل، وظننتها من أفضل وأجمل ما سمعت.

لا أتذكر شيئا مما حدث فى صباح اليوم التالى رغم محاولاتى ذلك مرارا - أتذكر بلا وضوح أننى ذهبت للسباحة، وأن شخصا ما حملنى على إصلاح شىء بنفسى. إن كل شىء غامض باهت حتى تلك اللحظة التى عاد فيها ميرديث بليك يلهث ووجهه شاحب تماما. أتذكر فنجان القهوة يسقط من فوق المائدة وينكسر أظنه كان فنجان اليزا، وأتذكر شكلها وهى تجرى - تعدو بكل قوتها إلى أسفل الممر، وتلك النظرة الغريبة التى ارتسمت على وجهها. ولقد ظللت أقول لنفسى (إن امياس مات) لكن ذلك بدا شيئا غير حقيقى.

كما أتذكر حضور دكتور فوست بوجهه الصارم، ثم مس وليامز وهى تعتنى بكارولين، أتذكر نفسى أيضا وأنا أتجول حزينة كسيفة البال فى طريقى هذا وذاك وأنا أشعر بالمرض. لم يتركونى أذهب كى أرى امياس، ثم اتت الشرطة وأخذوا يكتبون اشياء فى مفكراتهم، ثم أحضروا جثته على المحفة مغطاة بقطعة قماش.

بعد ذلك أخذتنى مس وليامز إلى حجرة كارولين، حيث كانت هذه ممدده على أريكة وقد بدت شاحبة تماما. قبلتنى وقالت أنها تريدنى أن أبتعد بأسرع ما يمكن عن هذا المكان المفزع، ولكن ليس على أن أقلق أو أفكر فى الموضوع أكثر من ذلك.

وأن على أن ألحق بكارلا عند ليدى تريسيليان لأن رجال الشرطة يريدون إخلاء المنزل. تعلقت بكارولين وقلت أننى لا أريد أن ابتعد عنها، فقالت أنه من الأفضل لى أن اذهب بعض الوقت كى أضع القلق عن ذهنى، وأردفت مس وليامز قائلة:

- إن أفضل شىء تساعدين به أختك يا انجلا هو أن تفعلى ما تريدك أن تفعليه دون معارضة كثيرة.

قلت لهما أننى سأفعل كل ما تريدنى كارولين أن أفعله، ومن ثم فقد عانقتنى كارولين مرددة أنه ليس هناك ما أقلق لأجله، وعلى ألا أفكر أو أتحدث فيما حدث إلا بالنذر اليسير. اضطررت بعد ذلك لمقابلة مفتشى الشرطة الذى كان رقيقا معى، سألنى متى رأيت امياس لآخر مرة، وأسئلة عديدة بدت لى بلا معنى فى ذلك الوقت، وإن فهمت الآن الهدف منها. وقد اقتنع بأنه لن يخرج منى بأكثر مما خرج به من الآخرين، ثم فقط قال لمس ويليامز أنهَ لا اعتراض لديه على ذهابى إلى ليدى تريسيليان.

ذهبت إلى هناك وكانت الليدى رقيقة جدا معى، ولكننى سرعان ما عرفت الحقيقة، وأنهم قد قبضوا على كارولين على الفور تقريبا، وقد أفزعنى ذلك وشل تفكيرى حتى مرضت. سمعت بعد ذلك أن كارولين كانت قلقة بشأنى، وأنها مصرة على أن أذهب إلى خارج انجلترا قبل أن تبدأ المحاكمة كما سبق أن قلت لك.

وكما ترى فإن ذكرياتى عن الأحداث قليلة جدا ولقد عصرت ذاكرتى لأستعيد التعبير الذى ارتسم على وجه هذا أو ذاك من الأشخاص، لكنى لا أتذكر شيئا يدل على جرم أحدهم فقط عصبية

اليزا، ووجه ميرديث الشاحب القلق وغضب فيليب بلك وحزنه - لقد بدوا جميعا طبيعيين بالنسبة للموقف. ورغم ذلك أعتقد أن أحدهم كان يمثل دورا.

إننى أعرف شيئا واحدا فقط وهو أن كارولين لم ترتكب الجريمة.

إننى واثقة تماما من هذه النقطة وسأظل كذلك دوما، لكننى لا أملك دليلا على ما أقول سوى معرفتى الوثيقة بشخصيتها.

نهاية رواية انجلا وارن



استنتاجات

رفعت كارلا ليمارشانت بصرها إلى أعلى. كانت نظراتها وهى تلمس كومة من الأوراق.

- إن هذا كله لا يثير الدهشة لأن لكل منهم وجهة نظر مختلفة. إن كلا منهم يرى أمى من زاوية مغايرة لكن الحقائق تكاد تكون واحدة. إن الجميع يتفقون على الحقائق.

- هل أصابتك قراءة هذه التقارير بخيبة أمل؟

- نعم ألم تخيب ظنك أنت؟

- كلا، بل وجدت فى بعض هذه الوثائق أشياء قيمة بها معلومات مفيدة.

كان بوارو يتحدث ببطء وتأمل فى حين كانت كارلا متوترة فقالت:

- أتمنى لو أننى لم أقرأها قط.

- إذن فهذا هو شعورك الآن؟

- إنهم جميعا يعتقدون أن أمى قاتلة - كلهم فيما عدا خالتى انجلا. وما تعتقده هى ليس له قيمة، فليس لها أى دليل على ما تقول.

إنها ليست سوى شخص مخلص يتمسك بما يعتقد، رغم عدم وثوقه منه، ولا تفتأ تردد (إن كارولين لم تفعلها). ولكن لو لم تكن أمى قد فعلتها فلابد أن أحد هؤلاء الخمسة قد فعلها، بل إن لدى نظرية عن دوافعهم لذلك.

- آه إن هذا مهم. أخبرينى عن ذلك.

- إنها كلها لا تتعدى نظريات، ففليب بليك مثلا - وهو سمسار وكان من أعز أصدقاء أبى - ربما كان قد استخدم نقود أبى، ثم خدع أبى بأن جعله يوقع على أوراق، وعندما كاد كل شىء يكتشف لم يكن أمامه سوى قتل أبى لينقذ نفسه. إن هذه أحد النظريات التى فكرت فيها.

- إنه خيال يمكن أن يكون معقولا تماما، وماذا أيضا؟

- حسنا هناك اليزا، وفيليب بليك يقول إنها أمكر من أن تستخدم السم، لكننى لا أعتقد ذلك مطلقا. لنفرض أن أمى قد ذهبت إليها وقالت لها أنها لن تطلق أبى، إنه ليس هناك مطلقا ما قد يدفعها إلى ذلك. وأظن أن اليزا بعقليتها البرجوازية كانت تريد أن تبدو محترمة بزواج شرعى، وعندئذ فكرت فى قتل أمى - وكان فى مقدورها بعد ذلك أن تسرق السم، وهى التى أتيحت لها فرصة كبيرة بعد ظهر ذلك اليوم، وحاولت أن تضعه لأمى فى تلك الليلة. أظن أن ذلك يتفق مع شخصية اليزا تماما. وعندئذ، وربما بالصدفة أخذ امياس السم بدلا من كارولين.

- مرة أخرى ليس هذا بخيال سيىء، وماذا بعد.

- أما بالنسبة لميرديث بليك فهو يبدو لى الشخص القادر على

ارتكاب جريمه. اقصد انه - وهو الذى يضحك منه الجميع ربما كان يمقت ذلك. وحيث أن أبى تزوج من الفتاة التى أرادها هو زوجة له، وكان أبى ناجحا وغنيا، أما هو وهو صانع للسموم، فربما يكون قد اتجه لهذه الهواية كى يكون فى مقدوره أن يقتل شخصا ما يوم ما - كان عليه أن يثير الانتباه لسرقة الكونين حتى يبعد الشبهة عنه وهو الشخص الأكثر احتمالا لأخذه. وربما كان يريد لكارولين أن تشنق لأنها رفضته وتزوجت غيره. وكلامه عن أن الناس أحيانا ما يقدمون على عمل لا يتفق مع شخصياتهم كلام ليس له ما يؤيده. وربما كان يقصد بذلك نفسه قبل أى شخص آخر.

- إنك على الأقل صادقة فى هذا، فإنه ليس علينا أن نأخذ رواياتهم على أنها حقيقة، فإن ما كتب يمكن أن يكون قد كتب للتضليل.

- أعرف ذلك ولقد كنت أفكر فى هذه النقطة طوال الوقت.

- هل لديك أفكار أخرى؟

- لقد تساءلت عن موقف مس ويليامز. لقد فقدت وظيفتها عندما ذهبت انجلا للمدرسة، ولو أن امياس مات فجأة لما ذهبت انجلا إلى المدرسة مطلقا. أقصد لو أن موته اعتبر طبيعيا - وهو الشىء الذى كان يمكن أن يحدث، لو أن ميرديث لم يكتشف سرقة الكونين - لو أن هذا حدث لما فقدت وظيفتها. لقد قرأت عن الكونين أنه لا يترك أى آثار واضحة فى الجثة، وربما ظن الجميع أن سبب موت امياس كريل كان ضربة شمس. إننى أعرف أن فقدانها وظيفتها ليس دافعا قويا للجريمة، لكن هناك جرائم قتل ارتكبت بدوافع بدت أكثر من هذا سخفا بسبب مبالغ تافهة من المال أحيانا، ومربية فى منتصف العمر

ليست على قدر كبير من المهارة، وربما كان ذلك دافعا قويا لها. لكن مس ويليامز من هذه الأوراق لا تبدو كذلك مطلقا، وهى ليست قليلة المهارة على وجه التأكيد.

- كلا على الإطلاق، وهى مازالت على قدر كبير من الكفاءة والذكاء.

- أعرف وهى تبدو مدعاة للثقة أيضا، فهى التى تنادى بمواجهة الحقائق كما هى، وكما قالت فإنه ليس من المفيد أن يبنى المرء حياته على كذبة، لأن تلك الكذبة هى ما يريد أن يصدقه. حسنا جدا إننى أواجه الحقائق! أمى ليست بريئة! وقد كتبت خطابها لى لأنها كانت ضعيفة تعسة وأرادت أن تجنبنى الألم. إننى لا أدينها وربما كنت سأفعل مثلها. إننى وأنت لا نعرف ما يفعله السجن بالناس. وأنا لا ألومها أيضا لأنها كانت تحب أبى إلى درجة اليأس. لكننى لا ألوم أبى كلية فإننى أفهم - ولو قليلا - إحساسه. لقد كان مليئا بالحيوية والحياة والاحتياج إلى كل شئ. إنه لم يستطع تجنب ما فعله فإن تكوينه كان هكذا. وكونه رساما عظيما يغفر له الكثير.

- إذن فأنت مقتنعة؟

- مقتنعة!

وأدارت وجهها المنفعل إلى هيركيول بوارو الذى قال:

- اسمعى. إنك تتخلين عن المعركة فى الوقت الذى يجب عليك أن تتمسكى فيه بالنضال، وفى اللحظة التى قد حصلت فيها أنا - هيركيول بوارو - على فكرة واضحة عما حدث حقا.

حدقت كارلا ليمارشانت وقالت:

- إن مس ويليامز أحبت أمى إلى أقصى حد، وهى التى رأتها تزور دليل الانتحار ذلك، فإذا أخذتهما مس ويليامز.....

- بل لأنه بسبب ما قالته سيسيليا ويليامز عن قيام والدتك بطبع بصمات أصابع امياس كريل على زجاجة البيرة، وانتهى إلى ما أقول - إن هذا هو الشىء الوحيد الذى أقنعنى بطريقة تامة أن والدتك لم تقتل أباك.

وأومأ بوارو برأسه عدة مرات وخرج من الحجرة وكارلا ليمارشانت تحدق خلفه فى دهشة.



بوارو يوجه خمسة أسئلة

السؤال الأول

- حسنا يا مستر بوارو؟

كانت نبرة فيليب توحى بفراغ صبره - قال بوارو:

- لابد لى أن أشكرك على تقريرك الرائع عن مأساة كريل.

- أشكرك! لقد أدهشنى أنا نفسى مقدار ما تذكرته عن تلك الأحداث عندما بدأت الكتابة فعلا.

- لقد كانت رواية واضحة بطريقة تدعو للإعجاب، لكننى لاحظت بعض الحذف أليس كذلك؟

قطب فيليب بليك ما بين حاجبيه وقال: حذف!

- إن روايتك لم تكن صريحة تماما، فلقد وصل إلى علمى يا مستر بليك أنه فى أحد ليالى ذلك الصيف شوهدت مسز كريل تخرج من حجرتك فى ساعة غير عادية.

ساد الصمت برهة، صمت لا يتخلله سوى تنفس فيليب بليك الذى قال أخيرا: من قال لك ذلك؟

- لا يهم من قال لى، بل المهم أن أعرف ما حدث.

- يبدو أنه بمحض الصدفة قد علمت بمسألة خاصة تماما. اعترف أنها لا تتفق مع ما كتبته لك، ولكنها مع ذلك تتفق مع الحقيقة التى أنا مجبر على أن أقولها لك..... لقد كان لدى شعور ببعض الكراهية لكارولين كريل، فى نفس الوقت الذى كنت أشعر فيه بجاذبيتها. وربما كان شعورى بحبها هو الذى أدى إلى شعورى بالعداء نحوها. لقد كرهت الاعتراف بسيطرة جاذبيتها على باستمرارى فى التأكيد على النقاط السيئة فيها. إننى لم أكن مغرما بها على الإطلاق، لكنه كان من السهل جدا على أن أتورط فى هذا الغرام فى أية لحظة. لقد كنت مغرما بها وأنا صبى فى حين لم تلتفت هى إلى، ولم أكن أنا لأغفر لها ذلك.

توقف فيليب بليك ثم قال:

- ولقد حانت لى الفرصة عندما فقد امياس كريل عقله تجاه تلك الفتاة اليزا جرير. وبدون أن أعرف ماذا أفعل، وجدت نفسى أخبر كارولين بحبى لها، لكنها قالت لى بهدوء ووقاحة (نعم لقد كنت أعرف ذلك دائما). لقد كنت أعرف بالطبع أنها لا تحبنى، لكننى رأيت فقط كيف أن موقفها الحالى مع امياس كان سيئا. إن مثل هذا الموقف قد يدفع أى رجل عندئذ للفوز بها بسهولة. ولقد وافقت على أن تأتى إلى فى تلك اللحظة. وقد أتت إلى حجرتى. وعندئذ وذراعاى يحيطان بها قالت لى ببرود كامل أن ذلك لن يفيدنى بشىء لأنها - قبل وبعد كل شىء - زوجة مخلصة، وأنها سوف تتمسك باامياس كريل مهما فعل.

قالت معترفة أنها عاملتنى بطريقة سيئة، وطلبت إلى أن أغفر لها ذلك. ثم تركتنى! هل تعجب يامستر بوارو إذا كانت كراهيتى لها عندئذ

قد ازدادت أضعافا؟ هل تتعجب إذ لم أغفر لها مطلقا لتلك الإهانة التى ألحقتها بى، بالإضافة إلى قتلها للصديق الذى أحببته أكثر من أى شخص فى العالم؟

وارتعش فيليب بليك وهو يقول آخر كلماته:

- إننى لا أحب أن أتكلم عن ذلك، هل تسمعنى. والآن وقد حصلت على الإجابة التى تريدها فاذهب ولا تذكر لى هذه المسألة مطلقا بعد ذلك.

السؤال الثانى

- إننى أريد ان أعرف يا مستر بليك الترتيب الذى خرج به ضيوفك من المعمل فى ذلك اليوم.

أجاب ميرديث بليك محتجا:

- ولكن يا عزيزى مستر بوارو! كيف يمكننى بعد ستة عشر عاما أن أتذكر ذلك؟ لقد قلت لك أن كارولين هى آخر من خرج.

- هل أنت واثق من ذلك؟

- نعم على الأقل أعتقد أن....

- دعنا نذهب إلى هناك فلابد لنا أن نتأكد.

وقاد ميرديث بليك الطريق مطيعا. فتح باب المعمل ثم النوافذ فى حين قال له بوارو آمرا.

- والآن يا صديقى تخيل نفسك وقد أريت ضيوفك محاليلك المثيرة للإهتمام. أغلق عينيك وتذكر ما حدث بعد ذلك.

أغلق ميرديث بليك عينيه وأخرج بوارو منديلا من جيبه محركا

إياه فى الهواء غمغم ميرديث بليك وأنفه يتحرك قليلا.

- نعم... نعم إنه لمن العجيب كيف يعود كل شىء إلى عقله. إننى أتذكر كارولين وثوبها بلون القهوة الشاحب وفيليب يبدو متبرما... لقد كان على الدوام ساخطا على هوايته.

- تذكر الآن.. أنك على وشك ترك الحجرة فى طريقك إلى المكتبة الملحقة بالمعمل لتقرأ عليهم تلك الفقرة عن موت سقراط. من ترك الحجرة أولا؟ هل كنت أنت؟

- اليزا - ثم أنا - نعم لقد مرت من خلال الباب أولا، وتبعتها أنا عن قرب، فقد كنا نتحدث. وقفت هناك أنتظر بقيتهم حتى أغلق الباب بنفسى. لقد خرج فيليب بعد ذلك ثم انجلا التى كانت تسأله شيئا. وتبعهم امياس، بينما وقفت أنا فى مكانى منتظرا كارولين بالطبع.

- إذن فأنت واثق أن كارولين هى التى بقيت فى الخلف. هل رأيت ماذا كانت تفعل.

- كلا فلقد كان ظهرى للحجرة كما ترى، لأننى كنت أتحدث إلى اليزا التى لابد كانت ضجرة بحديثى، وأنا أحدثها عن جمع الأعشاب عندما يكون القمر فى كامل استدراته طبقا للخرافات القديمة. ثم خرجت كارولين مسرعة قليلا - وأغلقت الباب.

توقف ميرديث بليك ونظر إلى بوارو الذى كان يعيد منديله إلى جيبه، استنشق ميرديث بليك الهواء فى ازدراء مفكرا فى نفسه (أن الفتى يستخدم الروائع) لكنه قال بصوت مرتفع:

- إننى واثق من الأمر الآن. إن الترتيب كان هكذا اليزا، أنا، فيليب،

انجلا ثم كارولين. هل يفيدك هذا بشىء؟

أجاب بوارو قائلا: إن كل شىء فى مكانه الآن. اسمع... إننى أريد ترتيب اجتماع هنا، ولا أعتقد أنه سيكون صعبا.

السؤال الثالث

إننى أريد أن أسألك سؤالا يا سيدتى.

قالت اليزا ديتشام فى حماس طفولى: حسنا ما هو؟

- بعد أن انتهى كل شىء - أقصد المحاكمة - هل طلب إليك ميرديث بليك أن تتزوجيه؟

حدقت فيه اليزا وعلى وجهها شعور بالاحتقار والملل وقالت:

- نعم لقد فعل... لماذا؟

- هل أدهشك ذلك؟

- لا أتذكر؟

- ماذا قلت له عندئذ؟

ضحكت اليزا وقالت: ماذا تظننى قد قلت؟ هل أقبل بميرديث بعد امياس؟ إن الأمر كان يدعو للسخرية لقد كان ذلك غباء منه، لكن الغباء لم يكن شيئا غريبا عليه. لقد أراد (أن يعتنى بى) هذا ما قاله بالحرف الواحد.

لقد ظن كما قد يفعل أى شخص آخر أن المحاكمة كانت شيئا مفزعا بالنسبة لى، والصحفيين والجمهور وتلك الصفات القبيحة التى ألحقوها بى.

وتأملت اليزا ديتشام لحظة ثم قالت ضاحكة:

- العجوز البائس ميرديث يا له من حمار.

السؤال الرابع

مرة أخرى ذهب هيركيول بوارو لسؤال مس ويليامز، ومرة أخرى عاوده شعوره الصبى الواقف أمام مدرسته. شرح لها أن لديه سؤالا يود توجيهه إليها فقال:

- لقد أصيبت انجلا وارن بعاهة وهى طفلة صغيرة. وفى مذكراتى أجد إشارتين لهذه الحقيقة أحدهما تقول أن مسز كريل القت على الطفلة بثقالة ورق، والإشارة الأخرى تقول أنها هاجمت الطفلة بقضيب من حديد. فأى الروايتين أصح؟

أجابت مس ويليامز فى نبرة واضحة مرحة:

- إننى لم أسمع مطلقا عن قضيب من حديد، وثقالة الورق هى الرواية الحقيقية.

- من كان مصدر هذه الرواية؟

- انجلا بنفسها، لقد قالت لى ذلك فى وقت مبكر.

- ما الذى قالته بالضبط؟

- لقد لمست صدغها وقالت (لقد فعلت هذا كارولين بى عندما كنت طفلة. ألقت على بثقالة ورق. أرجوك ألا تشيرى إلى هذا مطلقا لأن ذلك يزعجها جدا).

- ألم تذكر لك مسز كريل هذه المسألة مطلقا؟

- فقط بطريقة ملتوية. وقد ضمنت أننى أعرف القصة. أتذكر أنها قالت ذات مرة (أعرف أنك تظنين أننى أفسد انجلا بتدليلى، ولكن كما تعرفين لأننى أشعر دائما أننى لا أستطيع شيئا يعوضها عما فعلته لها) وفى مناسبة أخرى قالت (أن يعرف المرء أنه قد أصاب بأذى دائم إنسانا آخر لهو من أفظع الأثقال التى قد يتحملها الإنسان).

- أشكرك يا مس ويليامز. هذا كل ما أردت معرفته.

قالت مس ويليامز بحدة.

- إننى لا أفهمك يا مستر بوارو. هل أطلعت كارلا على روايتى عن المأساة؟

ولماذا أومأ بوارو برأسه - استطردت قائلة:

- ورغم ذلك فإنك لا زلت.....

- فكرى لحظة. لو أنك مررت ببائع سمك ورأيت اثنتى عشرة سمكة على منضدته فسوف تظنين أنها كلها أسماك حقيقية أليس كذلك؟ ولكن واحدة منها تكون سمكة محنطة.

- إن ذلك بعيد الاحتمال ولكن على أية حال....

- إنه بعيد الاحتمال حقا، لكنه ليس مستحيلا - لأن صديقا لى أخذ سمكة محنطة - كانت هذه مهنته - ليقارنها بسمك حقيقى. ولو أنك رأيت فاكهة لا تزرع فى انجلترا فى حجرة صالون شخص ما فقد تظنين أنها غير حقيقية. لكنها قد تكون فاكهة حقيقية نقلت بالطائرة من بغداد.

وهذا يوضح لك أن نوافذ العقل هى التى يرى بها المرء الأشياء.

السؤال الخامس

أبطأ بوارو فى سيره عندما وصل إلى منزل انجلا وارن الذى يطل على حديقة ريجنت. لم يكن يريد توجيه أى سؤال لانجلا، فإن السؤال الوحيد الذى كان يود أن يوجهه لها كان يمكن أن ينتظر. لكن إحساسه بالتناسب هو الذى دفعه للذهاب إليها. فطالما أن هناك خمسة أشخاص فلابد أن يكون هناك خمسة أسئلة. بدا له ذلك أفضل. ثم إنه يستطيع أن يفكر فى شىء.

حيته انجلا ببعض الحماس وقالت:

- هل اكتشفت شيئا. هل توصلت إلى أى شىء؟

- إننى على الأقل أحرز تقدما.

- فيليب بليك؟

نطقت انجلا وارن بالاسم بنبرة اختلَط فيها السؤال بالتقرير.

- إننى لا أريد أن أقول شيئا فى الوقت الحاضر، فاللحظة المناسبة لم تأت بعد، كل ما أطلبه منك هو أن تحضرى إلى ضيعة هاندكروس، ولقد وافق الآخرون على ذلك.

- ما الذى تنوى أن تفعله؟ إعادة تمثيل ما حدث منذ ستة عشر عاما مضت؟

- ربما لأراها من زاوية أكثر وضوحا. هل ستحضرين؟

- أوه نعم سأحضر، فسوف يكون مثيرا أن أرى كل هؤلاء الأشخاص مرة أخرى، ولسوف أراهم من زاوية أوضح عما رأيتهم فى

ذلك الوقت.

- وسوف تحضرين معك ذلك الخطاب الذى أطلعتنى عليه.

قطبت انجلا وارن ما بين حاجبيها وقالت:

- إن ذلك الخطاب يخصنى، ولقد اطلعت عليه لأسباب كافيه، لكننى لا أنوى قراءته على أشخاص غرباء متعارضين.

- ولكنك ستسمحين لى بأن أوجهك فى هذا المضمار.

- لن أفعل شيئا من هذا القبيل. سوف أحضر الخطاب معى، لكنى سأستخدم عقلى الذى أعتقد أنه يعمل بكفاءة عقلك.

رفع بورارو يده علامة استسلام ونهض قائلا:

- هل تسمحين لى بتوجيه سؤال واحد؟ حسنا ألم تقرأى فى وقت مقارب لوقوع المأساة رواية سومرست موم بعنوان (القمر وسِت بنسات)؟

حدقت فيه انجلا وارن بدهشة ثم قالت:

- أعتقد ذلك، لماذا؟ نعم إن ذلك حقيقى، ولكن كيف عرفت؟

- لكى أريك يا آنستى فى شىء بسيط كهذا فإننى شىء قريب من ساحر. أعرف أشياء دون أن تقال لى.

***

إعادة تمثيل الأحداث

اخترقت أشعة الشمس حجرة المعمل فى هاندكروس بعد ظهر ذلك اليوم وضعت بعض المقاعد الخفيفة فى الحجرة، لكن هذا أدى إلى زيادة الإحساس بفراغ الحجرة ووحشتها.

أخذ ميرديث بليك يتحدث إلى كارلا ليمارشانت بإحساس بالحرج وتوقف فجأة وهو يقول:

- يا عزيزتى إنك تشبهين أمك تماما وتختلفين عنها أيضا.

- فيم أشبهها، وفيما أختلف عنها؟

- لك نفس لونها وطريقة حركاتها، لكنك أكثر إيجابية منها بكثير.

أما فيليب بليك فقد تطلع إلى خارج النافذة فى غير صبر وقال:

- ما هى الحكمة فى ذلك كله؟ أن يضيع المرء بعد ظهر سبت رائع كهذا لهو..... أسرع هيركيول بوارو مهدئا من الموقف

- إننى أعتذر عن تخلفك عن لعب الجولف يا مستر بليك، ولكن ها

أنت ترى ابنة أعز صديق لك وفى مقدورك أن توضح لها شيئا ألن تفعل؟

وهنا أعلن الخادم مقدم مس انجلا وارن وذهب ميرديث ليرحب بها قائلا: إنه رائع منك أن تأتى يا انجلا فإنك مشغولة جدا كما أعرف.

وتقدمها نحو النافذة فقالت كارلا:

- أهلا بخالتى انجلا، لقد قرأت مقالتك فى جريدة التايمز هذا الصباح. إنه من الرائع أن يكون للإنسان خالة بهذه الشهرة.

ثم أشارت إلى شاب يقف إلى جوارها وأضافت:

- هذا هو جون ريتارى، وأنا وهو نأمل أن نتزوج.

تقدم ميرديث بليك ليصافح القادم التالى وقال:

- أهلا مس ويليامز، لقد مضت أعوام عديدة منذ أن رأيتك آخر مرة.

تقدمت المربية العجوز مركزة نظراتها على بوارو حتى تحولت عيناها إلى انجلا وارن التى تقدمت نحوها قائلة:

- إننى أشعر وكأننى تلميذة مرة أخرى.

- إننى فخورة بك يا عزيزتى فلقد حققت ما كنت أتمناه لك. هذه كارلا كما أعتقد؟

إنها لم تتذكرنى فقد كانت صغيرة جدا عندما... قال فيليب بليك بغضب: ما هذا كله؟ إن أحدا لم يخبرنى.

قال هيركيول بوارو: إنى اسمى ذلك رحلة إلى الماضى. هل تسمحون بأن نجلس جميعا وسوف نكون مستعدين فور وصول آخر ضيف، وعندما تكون حاضرة معنا فسوف نبدأ عملنا فى تحضير الأرواح.

- ما هذا العبث؟

- إنه ليس عبثا، لن نفعل شيئا سوى استعادة أحداث انقضى عليها زمن طويل وناقشها، وربما من خلال ذلك نراها بوضوح أكثر. أما عن الأشباح فإنها لن تتجسد أمامنا. ولكن من ذا الذى يقول أنها ليست معنا فى هذه الحجرة رغم أننا لا نستطيع رؤيتها؟ من ذا الذى يقول أن امياس وكارولين كريل لا ينصتان إلينا الآن.

فتح الباب وأعلن الخادم حضور ليدى ديتشام التى دخلت وتعبير وجهها يوحى بالسأم والتكبر كالعادة. ألقت على ميرديث ابتسامة خفيفة، ووجهت لانجلا وفيليب نظرة باردة. واتجهت إلى مقعد إلى جوار النافذة يبتعد عن الآخرين قليلا. خلعت الفراء الذى يحيط برقبتها وحدقت فى كارلا التى واجهت نظرتها بنظرة متأملة تقيم بها تلك المرأة التى أوقعت المأساة فى حياة والديها. لم تكن فى نظراتها كراهية، لكن حب استطلاع. قالت اليزا: إننى آسفة لتأخيرى يا مستر بوارو.

- لقد أحسنت صنعا بالحضور يا سيدتى.

وجهت إليها سيسيليا ويليامز نظرة غضب، لكن اليزا قابلت نظرتها بعدم مبالاة وقالت:

- إننى لم أكن لأعرفك يا انجلا، إننى لم أرك منذ ستة عشر عاما.

انتهز هيركيول بوارو الفرصة وقال: نعم لقد مضت ستة عشر عاما منذ وقعت تلك الأحداث التى سنتحدث عنها الآن، لكن دعونى أقول لكم أولا السبب فى تواجدنا هنا.

وفى كلمات قليلة، بسيطة شرح لجؤ كارلا ليمارشانت إليه وقبوله القيام بالمهمة. تجاهل ثورة فيليب بليك البادية على وجهه فى حين كانت كارلا ليمارشانت تسمع كلماته وكأنها صادرة من عالم آخر.

بمكنها أن ترى فى أحدهم قاتل أباها؟ هل هى اليزا أخذت تدرس الوجوه الخمسة بدقة وهى تفكر: هل المتعالية، أم فيليب الغاضب، أم ميرديث الطيب، أم المربية الصارمة، أم العاقلة الباردة انجلا وارن؟

هل يمكنها مهما حاولت أن تتخيل أحدهم يقتل شخصا آخر؟ نعم ربما، ولكنها لن تكون الجريمة التى يمكن أن تدبرها عن دهاء وتفكير. استطاعت ان تتخيل فيليب بليك يقتل امرأة فى فورة غضب، أو ميرديث بليك يهدد لصا بمسدس - ويمكن أن تنطلق رصاصة طائشة.... ويمكنها تخيل انجلا وارن تطلق رصاصا من مسدس أيضا، ولكن ليس بفعل المصادفة، أما اليزا جرير اليزا ديتشام الآن فقد تخيلتها فى قلعة ضخمة تتمرغ فى حرير وتقول (ألقوا بهذا الحقير من فوق أسوار القلعة) لكنها لم تتخيل مطلقا مس ويليامز تقتل أى إنسان. تخيلت نفسها تسأل المربية العجوز (هل سبق أن قتلت أحدا يا مس ويليامز). وتخيلت الأخرى تجيبها قائلة: (استمرى فى مسائل الحساب يا كارلا ولا تلق بأسئلة سخيفة. إن قتل أى إنسان عمل شرير تماما).

وفكرت كارلا فى نفسها (لابد أننى مريضة، لابد لهذه الخيالات أن تتوقف. أنصتى يا كارلا لهذا الرجل الذى يدعى أنه يعرف كل شىء) ذلك فى حين كان هيركيول بوارو يقول:

- كانت هذه هى مهمتى.. أن أعود إلى الخلف كل هذه السنوات، وأن اكتشف ما حدث فعلا. قال فيليب بليك:

- إننا جميعا نعرف ما حدث. وإدعاء شىء آخر ليس إلا أكذوبة. وأنت تأخذ مالا من هذه الفتاة بادعاءات كاذبة.

لم يسمح هيركيول بوارو لنفسه أن يغضب وقال:

- تقول إننا جميعا نعرف ما حدث، لكنك تتكلم دون تفكير. فإن الرواية المقبولة لحقائق معينة لا تجعلها بالضرورة هى الحقيقة ذاتها. فعلى الظاهر يا مستر بليك أنك كنت تكره كارولين كريل، إن هذا هو الوجه المقبول من الجميع عن موقفك تجاهها. لكن أى شخص يلم ببعض علم النفس سيعرف على الفور أن الحقيقة هى عكس ذلك تماما. لقد كانت كارولين كريل دائما ذات جاذبية خاصة بالنسبة لك، ولقد كرهت أنت هذه الحقيقة بأن حاولت على الدوام التغلب عليها بتكرارك لنفسك نقائص كارولين. وبنفس الطريقة فإن ميرديث بليك كان يحب كارولين كريل لسنوات عديدة. وفى روايته عن المأساة يقول عن نفسه أنه قاوم مسلك امياس كريل تجاهها. ولكن على المرء فقط أن يقرأ بعناية ما بين السطور ليعرف أن ذلك الحب الذى استمر سنوات طويلة انتهى بأن أصبحت اليزا جرير هى التى تشغل عقله وفكره.

غمغم ميرديث بليك بكلمات حانقة، فى حين ابتسمت ليدى ديتشام واستطرد هيركيول بوارو:

- إننى أذكر هذه الأمور للإستشهاد فقط، بالإضافة إلى أنها لها تأثير على الأحداث. جسنا إذن فلنعد إلى الخلف لنعرف كل شىء عن المأساة. لقد تحدثت إلى محامى الدفاع عن كارولين كريل، ثم إلى المدعى، ثم إلى المحامى العجوز الذى كان يقوم بكل القضايا لأسرة كريل، ثم إلى كاتب المحامى وإلى ضابط الشرطة، ثم إلى الشهود الخمسة الذين كانوا فى مسرح الجريمة.. ومن كل هؤلاء خرجت بصورة مركبة عن امرأة، وخرجت بهذه الحقائق:

(إن كارولين كريل لم تحاول فى أى وقت إثبات براءتها) فيما عدا ما كتبته فى خطابها لابنتها. وأن كارولين كريل لم تبدو خائفة مطلقا

فى قفص الاتهام - بل إنها لم تكن مبالية بموقفها على الإطلاق، بل على العكس أخذت موقفا انهزاميا، وأنها فى سجنها كانت هادئة مستكينة. وأنها فى خطابها الموجه إلى أختها - بعد صدور الحكم - عبرت عن قبولها لقدرها. وأن كارولين كريل - فى نظر كل من التقيت بهم (فيما عدا شخص واحد فقط) - كانت مذنبة.

أومأ فيليب بيليك برأسه وقال: طبعا لقد كانت كذلك.

لكن دورى لا يكمن فى أن أقبل حكم الآخرين، بل كان على أن أفحص الأدلة بنفسى. أن أفحص الحقائق وأن أقتنع بأن نفسية من اتصلوا بالحادث متفقة مع ما حدث. ومن أجل هذا قرأت ملفات الشرطة بعناية، وأقنعت الخمسة أشخاص الذين كانوا هناك وقت الحادث بأن يكتبوا لى تقريرا عن المأساة. لقد كانت هذه التقارير ذات قيمة كبيرة، فقد احتوت على أشياء لم تكن ملفات الشرطة تحتوى عليها. ومن ذلك:

(أ) أحاديث وحوادث معينة كانت من وجهة نظر الشرطة غير ذات قيمة.

(ب) آراء الأشخاص أنفسهم بالنسبة لما كانت كارولين كريل تفكر فيه وتشعر به.

(ج) حقائق معينة حجبها من يعرفها عمدا عن الشرطة.

وأصبحت فى موقف يسمح لى بالحكم على القضية بنفسى. لم يكن هناك شك فى إن كارولين كريل كان لديها دافع قوى لارتكاب الجريمة، فقد كانت تحب زوجها الذى اعترف أمام الجميع أنه كان على وشك أن يهجرها من أجل امرأة أخرى. وباعتراف كارولين كريل

نفسها فأنها كانت امرأة غيورة. ولو انتقلنا من الواقع إلى الوسائل فإن زجاجة عطر خاوية كانت تحتوى على الكونين وجدت فى درج خزانتها، ولم يوجد فوقها سوى بصمات أصابعها هى. وعندما سألها رجال الشرطة عن ذلك اعترفت بأنها أخذتها من هذه الحجرة التى نجلس فيها. وعلى زجاجة الكونين كانت هناك بصمات أصابعها أيضا.

وعندما سألت مستر ميرديث بليك عن ترتيب خروج الخمسة أشخاص من هذه الحجرة فى ذلك اليوم. ومن البديهى أن أحدا منهم لم يكن سيأخذ الكونين فى حضور الآخرين فى نفس المكان. وقد غادر الأشخاص الحجرة بالترتيب التالى: اليزا جرير - ميرديث بليك - انجلا وارن - فيليب بليك - امياس كريل - وأخيرا كارولين كريل.

بالإضافة إلى ذلك كان مستر ميرديث بليك يعطى ظهره للحجرة بينما كان ينتظر خروج مسز كريل منها، ومن ثم كان يستحيل عليه أن يرى ماذا كانت تفعل. وهذا معناه أنه كانت لديها الفرصة. إذن فإننى، مقتنع بأنها أخذت الكونين بنفسها فعلا. ولقد كان هناك تأكيد غير مباشر لذلك عن ميرديث بليك عندما قال لى منذ أيام (إننى أتذكر نفسى واقفا هنا أشم رائحة الياسمين من خلال النافذة المفتوحة). لكن الوقت كان شهر سبتمبر والياسمين الزاحف خارج النافذة كانت زهراته قد انتهت بالفعل. ذلك أنه من نوع الياسمين الذى يزهر فى يونيو ويوليو، لكن زجاجة العطر التى وجدت فى حجرتها والتى عثر فيها على أثر الكونين، كانت تحتوى فى الأصل على عطر الياسمين. إذن فإننى واثق أن مسز كريل قررت سرقة الكونين وأنها أفرغت العطر من الزجاجة التى كانت فى حقيبتها.

لقد اختبرت ذلك للمرة الثانية عندما طلبت إلى ميرديث بليك أن

يغلق عينيه، وأن يحاول ترتيب خروج الأشخاص من الحجرة. ولقد حفزت ذاكرته رائحة الياسمين فورا، ذلك أننا جميعا نتأثر بالروائح أكثر مما نعرف.

نحن الآن فى صبيحة يوم المأساة. وحتى الآن فإن أحدا لا يعترض على الحقائق، فإن كشف مس اليزا جرير عن حقيقة تبادلها الحب مع مستر كريل واعتزامها الزواج وتأكيد امياس كريل نفسه لذلك أصاب كارولين كريل بحزن عميق أن هذه الحقائق لا تعتمد على شهادة شخص واحد فقط بل أجمع عليها الكل.

وفى صبيحة اليوم التالى جرت مناقشة صاخبة بين الزوج وزوجته فى حجرة المكتبة، وأول ما سمع من هذا النقاش هو قول كارولين فى نبرة مليئة بالمرارة (أنت ونساؤك سوف أقتلك يوما ما). لقد سمع هذا فيليب بليك وهو فى البهو، وسمعته اليزا جرير وهى فى الشرفة خارج المنزل. ثم سمعت مستر كريل يطلب إلى زوجته أن تكون عاقلة، ثم سمعت مسز كريل تقول (سأقتلك قبل أن أتركك تذهب مع تلك الفتاة). وبعد ذلك خرج امياس كريل إلى الشرفة مبتهجا وقال لاليزا جرير أن تأخذ وضعها كموديل ليستكمل اللوحة، فتأتى هى ببلوفر وتصحبه.

إلى هنا ليس هناك شىء غير صحيح من الناحية النفسية.

فإن كل شخص يتصرف كما يتوقع منه أن يتصرف. لكننا نأتى إلى شىء يبدو متنافيا مع الناحية النفسية. ذلك أن ميرديث بليك يكتشف سرقة الكونين، يتحدث إلى شقيقه بالتليفون - يتقابلان قرب الشاطىء ويصعدان الطريق مارين بحديقة المدفعية حيث كانت كارولين كريل تتبادل حديثا مع زوجها فى موضوع ذهاب انجلا إلى المدرسة. إن هذا

يبدولى شيئا عجيبا جدا. فالزوج والزوجة يتبادلان نقاشا عنيفا انتهى بتهديد كارولين الواضح له، ورغم ذلك فبعد عشرين دقيقة فقط تذهب إليه لتحدثه فى مسألة منزلية تافهة.

واستدار بوارو نحو ميرديث بليك وقال له:

- إنك تتحدث فى تقريريك عن كلمات سمعتها من كريل، فقد قال مثلا (ولقد استقر الأمر وسوف أهتم بأن تحزم حقيبتها) هل هذا صحيح؟

- نعم لقد كان شيئا كذلك.

استدار بوارو نحو فيليب بليك وسأله: هل تتذكر نفس الشىء؟

- إننى لم أتذكره حتى قلت أنت - لكننى أتذكر الآن أن شيئا قد قيل عن حزم الحقيبة.

- قيل هذا الشىء بكلمات مستر كريل وليس مسز كريل.

- نعم امياس هو الذى قال تلك الكلمات، وكل ما سمعته من كارولين هو قولها شيئا عن أن ذلك قاس بالنسبة للفتاة. على أية حال ما أهمية ذلك كله؟ إننا جميعا نعرف أن انجلا كانت على وشك الذهاب إلى المدرسة بعد يوم أو يومين.

- إنك لا ترى أهمية اعتراضى. لماذا يقوم امياس كريل نفسه بحزم حقيبة الفتاة؟ إن ذلك متناه فى الغرابة. أقصد أنه كانت هناك مسز كريل ومس ويليامز والخادمة. إن حزم الحقائب مهمة امرأة وليس مهمة رجل.

- إن هذا ليس له علاقة بالجريمة.

- هل تعتقد ذلك؟ أما بالنسبة لى فإنها أول نقطة أثارت الأفكار فى

رأسى. تبعتها نقطة أخرى: فإن مسز كريل وهى امرأة فى موقف يائس انفطر قلبها والتى هددت زوجها منذ قليل بالقتل، والتى كانت تفكر إما فى الانتحار أو فى ارتكاب جريمة - تعرض على زوجها بطريقة لطيفة تماما أن تحضر له بيرة مثلجة. قال ميرديث بليك ببطء:

- إن ذلك ليس شاذا لو أنها كانت تفكر فى ارتكاب جريمة. إن ذلك بالضبط ما كانت لتفعله: أن تتظاهر بالهدوء.

- هل تظن ذلك؟ لقد قررت أن تضع السم لزوجها، ولقد حصلت على السم فعلا. ثم أن زوجها يحتفظ بعدد من زجاجات البيرة فى حديقة المدفعية. لو أنها على نوع من الذكاء لكانت بالتأكيد قد وضعت السم فى إحدى تلك الزجاجات عندما لا يكون أحد هناك.

قال ميرديث بليك محتجا:

- لم يكن يمكنها أن تفعل ذلك، فإن شخصا آخر كان يمكنه أن يشرب تلك الزجاجة.

- نعم ويكون هذا الشخص هو اليزا جرير. هل تريد أن تقول أنها وقد قررت أن تقتل زوجها فإن كارولين كريل ستتردد فى قتل الفتاة أيضا؟ ولكن لا تدعنا نقف عند هذه النقطة، فلنحدد أنفسنا بالحقائق. لقد قالت كارولين كريل أنها سترسل لزوجها فى حديقة المدفعية بيرة مثلجة وهى تصعد إلى المنزل فتأخذ الزجاجة من الثلاجة وتهبط بها إليه. ثم تصبها له فى كأس وتعطيها له، امياس كريل يجرع الكأس مرة واحدة ويقول: (إن كل شىء يبدو سىء المذاق اليوم).

تصعد مسز كريل مرة أخرى إلى المنزل وتتناول غداءها، وقد بدا كل شىء فيها عاديا تماما، ولقد قيل فى وصفها فى ذلك الوقت أنها كانت

تبدو قلقة قليلا يشغل ذهنا شيء ما. إن ذلك لا يفيدنا كثيرا فإنه ليس هناك مقاييس لسلوك المجرم قبل ارتكاب جريمته، فهناك مجرمون يكونون هادئين، وآخرون يكونون منفعلين. وبعد الغداء تذهب كارولين كريل إلى حديقة المدفعية، وهناك تكتشف موت زوجها وتفعل ما هو متوقع منها. فهى تضبط مشاعرها، وترسل المربية لاستدعاء الطبيب بالتليفون. والآن نأتى إلى حقيقة لم يعرفها أحد منكم من قبل.

ونظر هيركيول بوارو إلى مس ويليامز يسألها إذا كان لديها اعتراض فقالت بوجه شاحب: إننى لم ألزمك لاحتفاظ الأمر سرا.

وفى هدوء ولكن بتأثير كبير أعاد بوارو على مسمع الحاضرين ما كانت المربية قد رأته يحدث فى حديقة المدفعية عندما اكتشفت كارولين أن زوجها قد مات.

تحركت اليزا ديتشام فى مقعدها وأخذت تحدق فى المربية الضئيلة وقالت بعدم تصديق: هل رأيتها تفعل ذلك فعلا؟

أما فيليب بليك فقد نهض من مقعده وقال صائحا:

- إن ذلك ينهى الأمر.. إن ذلك ينهيه إلى الأبد. نظر إليه هيركيول بوارو فى تعاطف وقال: ليس بالضرورة.

قالت انجلا وارن بحدة وقد بدا العداء فى نظراتها التى وجهتها إلى المربية: إننى لا أصدق ذلك.

أما ميرديث بليك فكان يعبث بشاربه وقد بدا الامتعاض على وجهه. كانت مس ويليامز الوحيدة التى لم يبدو عليها الانفعال. جلست منتصبة فى مقعدها وقد بدا بعض الاحمرار فى وجنتيها. قالت:

- هذا هو ما رأيته.

قال لها بوارو ببطء: ليس هناك أى دليل على ذلك سوى كلامك؟

- ليس هناك سوى كلامى، وأنا لست معتادة يا مستر بوارو على أن يشك فى كلامى أحد.

أحنى هذا رأسه واستطرد يقول: إننى لا أشك فى كلمة واحدة يا مس ويليامز، فإن ما رأيته هو ما حدث فعلا بالضبط - وبسبب ما رأيته أدركت أن كارولين كريل لم تكن مذنبة. ولا يمكن أن تكون مذنبة.

ولأول مرة تحدث الشاب جون ريتارى وقد بدا على وجهه القلق قال: يهمنى أن أعرف لماذا تقول ذلك يا مستر بوارو.

- بالتأكيد سأخبرك. إن ما رأيته مس ويليامز هو: كارولين كريل وهى تمسح بعناية بصمات أصابع عن زجاجة البيرة، وتضع بدلا منها بصمات أصابع زوجها القتيل - وانتبهوا إلى أنها كانت زجاجة البيرة. لكن الكونين كان فى الكأس - وليس فى زجاجة البيرة. وأن رجال الشرطة لم يجدوا أى آثار للكونين فى الزجاجة. ذلك لأن الكونين لم يوضع فى الزجاجة مطلقا من قبل. وكارولين كريل لم تعرف ذلك. إنها هى التى يفترض أن تكون قد وضعت السم لزوجها لم تكن تعرف أين وضع له السم، ذلك لأنها ظنت أن السم كان فى الزجاجة.

قال ميرديث بليك معترضا: ولكن لماذا؟

- نعم لماذا؟ لماذا حاولت كارولين كريل باستماتة أن تؤكد نظرية الانتحار؟ إن الإجابة لابد أن تكون بسيطة. لأنها كانت تعرف من الذى وضع له السم وكانت راغبة فى أن تفعل أى شىء - وتتحمل أى شىء - ولا تترك هذا الشخص موضع الشك. ولكن من يمكن أن يكون هذا الشخص؟ هل تغطى على جريمة فيليب بليك أم ميرديث بليك، أم اليزا

جرير أم سيسيليا ويليامز؟ كلا، إن هناك شخصا واحدا فقط هى مستعدة لأن تحميه بأى وسيلة.

وتوقف بوارو لحظة ثم قال موجها كلامه إلى انجلا وارن:

- يا مس وارن إذا كنت قد أحضرت خطاب أختك معك فإننى أريدك أن تقرأيه على الجميع.

- كلا. ولكن يا مس وارن.......

- إننى أدرك جيدا ما تهدف إليه... إنك تقول أننى قتلت امياس كريل وأن أختى عرفت بذلك... إننى أنكر هذا الاتهام كلية.

- إن الخطاب.....

- إن الخطاب قصد به أن أقرأه أنا فقط.

نظر بوارو إلى حيث كان يجلس الشابان كارلا ليمارشانت وجون ريتارى بنظرة استطلاع، فقالت كارلا:

- أرجوك يا خالتى انجلا أن تفعلى ما يطلبه إليك مستر بوارو:

قالت انجلا وارن بمرارة: أحقا يا كارلا! أليس لديك إحساس بالتعاطف؟ لقد كانت أمك التى. وهنا رن صوت كارلا واضحا قاسيا وهى تقول: نعم إنها أمى، ولهذا فلى الحق أن أسألك، إننى أتكلم نيابة عنها وأريد أن يقرأ ذلك الخطاب بصوت مرتفع.

وببطء أخرجت انجلا وارن الخطاب من حقيبتها وهى تقول بمرارة: كنت أتمنى لو لم أكن قد أطلعتك عليه مطلقا:

وابتعدت عن الجميع واقتربت من النافذة لتطل منها إلى الخارج، فى حين قرأ بوارو خطاب كارولين كريل الأخير. وحيث كانت الظلال

تتجمع فى أركان الحجرة فقد أحست كارلا ليمارشانت أن هناك شخصا آخر يتنفس وينصت معهم - لابد أنها كارولين كريل معهم فى الحجرة. كان هيركيول بوارو يقول:

- أظن أنكم ستتفقون على أنه خطاب متميز، خطاب جميل، لكن فيه بالتأكيد ما يميزه، ذلك لأنه ينقصه شىء هام جدا، فكارولين كريل تضمنه احتجاجها بالبراءة.

قالت انجلا وارن قبل أن تدير رأسها: لم يكن هذا ضروريا.

- نعم يا مس وارن، لم يكن هذا ضروريا حقا؟ فإن كارولين كريل لم تكن فى حاجة لأن تقول لأختها أنها بريئة - ذلك لأنها ظنت أن أختها كانت تعرف تلك الحقيقة بالفعل. أما ما كانت تهتم به كارولين فهى أن تهدىء من روع أختها، وتؤكد لها أنها تتجنب اعترافا من انجلا، ومن ثم فهى تردد مرة بعد الأخرى (كل شىء على ما يرام يا حبيبتى، كل شىءٔ على ما يرام تماما).

- ألا تستطيع أن تفهم، لقد كانت تريدنى أن أكون سعيدة.

- نعم أرادتك أن تكونى سعيدة، وهذا واضح تماما. وهذا هو أول ما يشغل بالها. نقد كانت لها طفلة، لكنها لم تكن تفكر فى تلك الطفلة قدر تفكيرها فى أختها التى تشغل بالها أكثر من أى شىء آخر، ولابد أن تؤكد وتشجع تلك الأخت على أن تعيش حياتها وتنجح. وكارولين تضمن خطابها فقرة على أكبر قدر من الأهمية وهى (لابد للمرء أن يوفى ديونه). إن هذه الفقرة تشرح كل ذلك. إنها تشير إلى موضوع العبء الذى حملته كارولين سنوات طويلة منذ أن قذفت - فى نوبة غضب صبيانى - بثقالة ورق على أختها الطفلة فشوهتها مدى الحياة.

والآن على الأقل فقد حانت فرصتها لتوفى دينها. ولقد أراح كارولين ذلك كثيرا، فإن الوفاء بذلك الدين جعلها تشعر بالسلام والطمأنينة اللذين لم تكن تشعر بهما من قبل. وبسبب اعتقادها أنها كانت توفى ذلك الدين فإن عذاب المحاكمة والاتهام لم يؤثر فيها. إن ذلك شىء غريب بالنسبة لقاتلة أدينت - لكن كان لديها كل ما يجعلها سعيدة، وسوف أوضح لكم ذلك أكثر فيما بعد.

والآن بهذ التفسير تثبت كل الحقائق فى مكانها فيما يختص بردود فعل كارولين. ولننظر الآن إلى تسلسل الأحداث من وجهة نظرها، فإنه فى الليلة السابقة حدث شىء ذكرها بحدة بفعلتها المميتة فى طفولتها. لقد ألقت انجلا بثقالة ورق على امياس كريل . إن هذا كما تعرفون هو ما فعلته بنفسها منذ سنوات عديدة. ثم سمعت انجلا وهى تصيح أنها تود أن يموت امياس. ثم فى صبيحة اليوم التالى تحضر كارولين إلى الثلاجة وتجد انجلا تعبث بزجاجات البيرة. تذكروا كلمات مس ويليامز (لقد كانت انجلا هناك وقد بدا عليها الإحساس بالذنب). إن ما تعنيه مس ويليامز هو إحساس انجلا بالذنب لأنها هربت منها، فإن إحساس انجلا بالذنب بالنسبة لكارولين هو أنها ضبطت وهى تفعل شيئا محرما. تذكروا أيضا أنه فى مناسبة أخرى واحدة على الأقل وضعت انجلا شيئا فى شراب امياس كريل، إذن فهى فكرة ليست بعيدة عنها.

بعد ذلك أخذت كارولين الزجاجة التى أعطتها لها انجلا وذهبت إلى حديقة المدفعية، وهناك تصب منها فى كأس تعطيه لامياس الذى يجرعه مرة واحدة، ثم يقول تلك الكلمات التى مغزاها (إن كل شىء له مذاق سيئ اليوم).

لم يكن لدى كارولين شك عندئذ، لكنها بعد الغداء تذهب إلى حديقة المدفعية لتجد زوجها ميتا - ولا يداخلها أى شك فى أنه قد مات مسموما. إنها لم تفعل ذلك فمن الذى فعلها؟

وتتداعى الأحداث كلها فى ذهنها فجأة. تهديدات انجلا، ووجه انجلا وقد ضبطوها تعبث بالبيرة، والذنب الذى بدا على وجهها عندئذ. ولكن لماذا فعلت الطفلة ذلك؟ ربما كان انتقاما من امياس لكنها لم تكن تقصد أن تقتله. فقط أن يصيبه بمرض. أم أنها فعلت ذلك لأجل خاطر كارولين؟ هل أدركت انجلا، وكرهت أن يهجر امياس أختها ففعلت ذلك. إن كارولين تتذكر عواطفها الثائرة وانفعالاتها الخطرة وهى فى سن انجلا. ومن ثم فإن خاطرا واحدا ينبثق فى عقلها. كيف يمكنها أن تحمى انجلا؟ إن انجلا قد أمسكت بزجاجة البيرة، ومن ثم فإن أصابع انجلا لابد أن تكون فوقها. وبسرعة تمسح تلك الزجاجة وترجو أن تجعل كل شخص يعتقد أنه كان انتحارا. ذلك لو أنهم وجدوا بصمات أصابع امياس فقط على الزجاجة. ومن ثم فهى تحاول طبع بصمات أصابعه فوقها - متحركة بسرعة شديدة يائسة - خشية أن يأتى أحد.

لو أننا أعتقدنا أن هذا هو ما حدث حقيقة فإن كل شىء ينضبط مع هذا الافتراض. قلقها على انجلا طوال الوقت، وإصرارها على إبعادها عن المكان، وتأكدها من أن انجلا لا تعرف بما يجرى، ثم خوفها من أن يستجوب رجال الشرطة انجلا، وأخيرا قلقها المسيطر لأن تبتعد انجلا عن انجلترا قبل بدء المحاكمة - كل ذلك بسبب خوفها الدائم أن تنهار انجلا وتعترف.

الحقيقـة

ويبطء استدارت انجلا وارن إليهم وقد بدا الاحتقار والغضب فى عينيها وقالت:

- إنكم جميعا حمقى وعميان. ألا تعلمون أننى لو كنت قد فعلتها لاعترفت. لم أكن مطلقا لأترك كارولين تقاسى بسبب ما فعلته أنا مطلقا.

قال بوارو: ولكنك عبثت بزجاجة البيرة. أليس كذلك.

- أنا عبثت بالبيرة؟ اسمع يا مستر ميرديث ، فى تقريرك عما حدث تحدثت عن أحداث سمعتها فى حجرة المعمل هذه، والتى تقع تحت حجرة نومك مباشرة، وذلك فى صبيحة يوم الجريمة.

هز ميرديث بيلك رأسه وقال: ولكنها كانت مجرد قطة.

- وكيف عرفت أنها كانت قطة؟

- أنا.. إننى لا أتذكر، ولكنها كانت قطة. إننى واثق من ذلك، فالنافذة كانت مفتوحة بما يكفى لقطة أن تدخل منها.

- ولكنها لم تكن مثبتة فى هذا الوضع. ذلك لأن زجاجها يتحرك بحرية، وكان فى الإمكان لأى إنسان أن يدخل ويخرج منها.

- نعم ولكنى أعلم أنها قطة.

- هل رأيت القطة بنفسك؟

- كلا إننى لم أرها.. ورغم ذلك فأنا أعرف.

- سوف أخبرك لماذا أنت واثق. لكنى فى نفس الوقت سأشرح لك نقطة أخرى. لقد كان يمكن لشخص ما أن يأتى إلى المنزل ذلك الصباح، ويدخل إلى معملك، ويأخذ شيئا من أحد الرفوف، ويخرج به دون أن تراه.

والآن إذا كان هذا الشخص قد جاء من ضيعة أولبرى فإنه لن يكون فيليب بليك أو اليزا جرير أو امياس كريل أوكارولين كريل، ذلك لأننا نعلم ما كان هؤلاء الأربعة جميعا يفعلونه. وبهذا تتبقى انجلا وارن ومس ويليامز. لقد جاءت مس ويليامز إلى هنا، وقد التقيت أنت بها أثناء خروجك. ولقد أخبرتك عندئذ أنها كانت تبحث عن انجلا- ذلك أن انجلا كانت قد خرجت للسباحة مبكرا. لكن مس ويليامز لم ترها تسبح فى الماء، ولم تعثر عليها فوق الصخور. لقد كان فى إمكان انجلا فعلا أن تسبح فى هذه الناحية - وهذا ما فعلته فى وقت متأخر من ذلك الصباح مع فيليب بليك. اقترح أنها سبحت إلى هنا، وأتت إلى المنزل ودخلت من خلال النافذة، وأخذت شيئا من فوق الرف.

قالت انجلا وارن: إننى لم أفعل شيئا من هذا القبيل أو على الأصح.

قاصعها بوارو بصيحة انتصار قائلا:

- آه... ها أنت تتذكرين. ولقد أخبرتنى أنك لكى تثيرى غيظ امياس كريل سرقت ما سمته (أكل القطة ووضعته فى.....

وهنا قال ميرديث بليك بحدة: مادة النردين بالطبع.

- بالطبع وهذا ما جعلك واثقا فى قرارة عقلك أنها قطة تلك التى دخلت الحجرة. إن أنفك حساسة جدا فشممت رائحة خافتة سيئة - رائحة النردين - ومن ثم فإن عقلك الباطن ربط بينها وبين القطة. ذلك لأن القطط تحب النردين، وتسعى وراءه فى أى مكان. إن طعم النردين سيئ، ومن شرحك له فى اليوم السابق فكرت مس انجلا أن تضع بعضا منه فى بيرة زوج أختها، وهو الذى كانت تعرف أنه يجرع كأس البيرة مرة واحدة.

قالت انجلا وارن متعجبة:

- هل كان ذلك اليوم حقا، إننى أتذكر تماما. نعم أتذكر أننى أخرجت البيرة من الثلاجة، وأن كارولين اقتربت منى فى اللحظة التالية مباشرة، وكادت تضبطنى. إننى أتذكر ذلك بالطبع، لكنى لا أربط بين هذا وبين يوم الجريمة.

- بالطبع لا، فلم يكن فى عقلك رابط بين الاثنين. فإن الحادثتين مختلفتين تماما بالنسبة لك. أحدهما مجرد حيلة لعبتها على زوج أختك، بينما الحدث الآخر مأساة انفجرت دون إنذار جعلت كل ماعداها من حوادث ينمحى من ذهنك. ولكن ما جعلنى اتنبه لهذه النقطة قولك (سرقت كذا.. لأضعه فى شراب امياس) ولم تقولى أنك قد فعلت ذلك بالفعل.

- كلا لأننى لم أضعه مطلقا، دلك لأن كارولين جاءت فى اللحظة المناسبة التى كنت أحاول فيها فتح الزجاجة.

وأطلقت انجلا وارن صرخة أردفت بعدها قائلة:

- إذن فكارولين قد ظنت - لقد ظنت أننى.... وتوقفت ثم نظرت حولها ثم أردفت فى صوتها الهادىء البارد: أظنكم جميعا تفكرون فى أننى التى فعلتها. إننى لم أقتل امياس كريل.

ليس عن طريق حيلة شريرة أوعن عمد، ولو أننى قتلته ما بقيت فى صمتى.

قالت مس ويليامز بحدة وهى تنظر إلى هيركيول بوارو:

- هذا صحيح يا عزيزتى، وليس سوى أحمق من يظن عكس ذلك.

- إننى لست أحمق ولا أظن ذلك، فإننى أعرف جيدا من قتل امياس كريل. إن هناك خطرا من قبول الحقائق، وهى ليست كذلك - فلنفحص الموقف الآن. هناك امرأتان وسوف نعترف بأن امياس كريل كان ينوى أن يهجر زوجته من أجل المرأة الأخرى، ولكنى اقترح الآن أنه لم يكن ينتوى مطلقا أن يفعل شيئا من هذا القبيل.

نعم لقد وقع تحت تأثير نساء آخريات وكانت هاته النساء تشغلن باله أثناء ارتباطه الغرامى بهن، لكن هذه الرابطة كانت سرعان ما تنتهى، وكانت هاته النساء اللائى وقع فى غرامهن من نوع ذى خبرة خاصة.

- فلم يكن يتوقعن منه الكثير. لكن فى هذه المرة كانت الفتاة تتوقع منه شيئا، وطبقا لكلمات كارولين كريل كانت الفتاة مخلصة ومتحمسة تماما. ربما كانت من معدن صلب، ذات خبرة، لكنها عندما وقعت فى الغرام سيطر هذا على عقلها، ولأنها كانت تحب امياس كريل بعاطفة مشبوبة، فقد ظنت أنه يكن لها مثل هذه العاطفة، وظنت أن تلك

العواطف ستدوم مدى العمر، ودون أن تفكر فى كونه متزوجا.

ولكنكم ستقولون لماذا لم يكشف لها امياس كريل عن الحقيقة. وإجابتى هى: اللوحة. لقد كان يريد اللوحة بأى ثمن. إن هذا قد يبدو للبعض غير قابل للتصديق، ولكنه ممكن التصديق بالنسبة لمن يعرفون حقيقة الفنانين، وفى حالة قبولها لهذا التفسير من ناحية المبدأ فإن المحادثة بين امياس كريل وميرديث بليك يكون لها معنى الآن. فإن كريل المحرج - يربت على ظهر ميرديث بليك ويؤكد له بطريقة متفائلة أن كل شىء سيستقيم فى نهاية الأمر. كان كل شىء بالنسبة لامياس كريل - كما ترون - بسيطا لغاية. فهو يرسم لوحة تعطله عن إتمامها امرأتان غيورتان - لكن أى منهما لن يسمح لها بإيقاف أفضل عمل فى حياته.

فإنه إذا أخبر اليزا بالحقيقة فلن تتم اللوحة. وربما أنه فى فورة عواطفه الأولى نحوها لم يتحدث عن هجرانه كارولين، بل ربما تركها تخمن ذلك لأنه لا يهتم بماً تخمنه اليزا.

دعها تفكر كما تشاء، فى أى شىء يبقيها هادئة ليوم أو اثنين. وبعد ذلك يخبرها الحقيقة، وهى أن علاقتهما قد انتهت، ذلك أنه لم يكن من نوع الرجال ذوى الشكوك، لكنه حاول ألا يدخل فى متاعب مع اليزا منذ البداية، فأخبرها أى نوع من الرجال هو، ولكنها لم تهتم بتحذيره، وانطلقت مسرعة إلى قدرها. وبالنسبة لكريل فإن النساء رغبة جميلة وحيث كانت اليزا صغيرة السن فسوف تتغلب على تركه إياها.

كان هذا هو تفكير امياس كريل. أما زوجته فكانت فعلا الشخص الوحيد الذى يحبه. لكن أمرها لم يكن يقلقه كثيرا، فإنه لم يكن عليها سوى أن تحتمل الموقف يوما أو يومين آخرين، ولذلك فقد أغضبه جدا

تصريح اليزا بما قاله لها أمام كارولين، لكنه ظن فى تفاؤل أن كل شىء سيكون على ما يرام. فإن كارولين ستغفر له كما فعلت من قبل، ولن يكون أمام اليزا إلا أن تبتلع تركه لها. هكذا كانت الأمور بسيطة بالنسبة لرجل مثل امياس كريل.

لكنى أعتقد أنه أصبح قلقا حقا فى الليلة الأخيرة، قلق على كارولين، وليس على اليزا. وربما ذهب إلى حجرتها، لكنها رفضت أن تتحدث إليه. على أية حال فإنه بعد ليلة مزعجة انفرد بها بعد الإفطار وأخبرها بالحقيقة. وهى أنه تأثر باليزا أياما لكن كل شىء قد انتهى، وأنه طالما ينتهى من اللوحة فلن يرها مرة أخرى. وكانت إجابة كارولين على ذلك هى (أنت ونساؤك) وهى الفقرة التى جعلت اليزا على قدم المساواة مع الأخريات، ثم أضافت كارولين فى غضب (وسوف أقتلك يوما ما).

لقد كانت غاضبة ثائرة على قسوته مع الفتاة، وعندما رآها فيليب بليك فى البهو وسمعها تغمغم لنفسها قائلة (إن هذا لقاس جدا) فإنها عندئذ كانت تفكر فى اليزا. أما بالنسبة لكريل فإنه خرج من حجرة المكتبة ليجد اليزا مع فيليب بليك، ويأمرها أن تصحبه لاستكمال اللوحة. وكان ما لا يعرفه هو أن اليزا جرير كانت تجلس إلى جوار النافذة الخاصة بحجرة المكتبة مباشرة، وسمعت كل ما دار بينه وبين زوجته. وكان ما قالته عن تلك المحادثة غير صحيح، وتذكروا أنه ليس أمامنا سوى ما قالته هى.

تخيلوا الصدمة التى شعرت بها عندما سمعت الحقيقة التى قالها امياس بطريقة قاسية.

تذكروا ما قاله لنا ميرديث بليك من أنه بعد ظهر اليوم السابق، وبينما كان ينتظر كارولين أن تخرج من حجرة المعمل، فإنه كان يعطى ظهره للحجرة وهو يتحدث إلى اليزا جرير. هذا يعنى أنها كانت تواجهه، وأنها من موقفها كانت ترى بالضبط ما تفعله كارولين من فوق كتفه - وأنها كانت الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يفعل ذلك. رأت كارولين تأخذ السم. لم تقل شيئا عندئذ، لكنها تذكرت ما رأته وهى جالسة إلى جوار حجرة المكتبة تسمع ما دار بين امياس كريل وزوجته.

وعندما خرج امياس كريل اعتذرت له بأنها تريد بلوفر، وذهبت إلى حجرة كارولين لتبحث عن ذلك السم. والنساء عادة يعرفن أين يخبئن الأشياء فوجدته، واهتمت بألا تطمس بصمات أصابع كارولين أو تترك بصماتها هى، وذلك بأن امتصت السائل فى شفاطة قلم حبر، ثم خرجت إلى كريل، وذهبت معه إلى حديقة المدفعية، وعلى الفور صبت له بعض البيرة التى تجرعها هو مرة واحدة بطريقته المعتادة.

فى ذلك الوقت كانت كارولين كريل فى أشد حالات الضيق، وعندما رأت اليزا آتية إلى داخل المنزل لتأخذ بلوفر فإنها تسللت بسرعة إلى حديقة المدفعية، وقالت لزوجها أن ما يفعله شئ مخجل، شئ قاس لن تتحمل قسوته الفتاة. وحيث أن امياس قد ضايقه مقاطعتها اللوحة، سيهتم بحزم حقائب الفتاة وكانت كلماته لعمله فقد قال أن الأمر قد انتهى، وأنه حينما تنتهى (لقد استقر الأمر، وسوف آمرها بحزم حقائبها كما قلت لك).

وعندئذ سمع وقع خطوات فيليب وميرديث بليك، وخرجت كارولين - محرجة قليلا، لتهمس لهما بأنهما كانا يتحدثان فى أمر ذهاب

انجلا إلى المدرسة. ولكنه بسبب الرباط الطبيعى لأفكار فإن الرجلين اعتقدا أن ما سمعاه كان يشير إلى انجلا، وأن عبارة سوف أمرها بحزم حقائبها أصبحت (سوف أهتم بحزم حقائبها) وفى تلك اللحظة - قدمت اليزا والبلوفر فى يدها.

ولقد اعتدت طبعا، بلا شك على احتمال اتهام كارولين بارتكاب الجريمة، والعثور على زجاجة الكونين فى حجرتها. لكن كارولين تساعدها على تنفيذ مخططها تماما، فهى تحضر بنفسها بعض البيرة المثلجة وتصبها لزوجها. وعندما يجرعها امياس كريل مرة واحدة كعادته يبدو الامتعاض على وجهه ويقول (إن كل شىء له مذاق سيئ اليوم).

هل ترون أهمية هذه الملاحظة؟ إن كل شىء طعمه كريه اليوم؟ إذن فقد كان هناك شىء آخر كريه الطعم فى ذلك اليوم أيضا، ومازال طعم ذلك الشىء فى فمه. ثم هناك نقطة أخرى. فإن فيليب بليك يتحدث عن تعثر خطوات كريل قليلا، ويتساءل فى نفسه عما إذا كان كريل قد شرب خمرا. لكن هذا التعثر الخفيف كان أول أثر الكونين عليه. وهذا معناه أن الكونين قد أعطى له فى وقت سابق للوقت الذى أحضرت له فيه كارولين زجاجة البيرة المثلجة.

وهكذا جلست اليزا جرير على سور حديقة المدفعية محتفظة باميـاس كريل معها حتى تبعده عن أن يشك فى شىء حتى يصبح الوقت متأخرا جدا. ومن ثم تحدثت إليه بطريقة طبيعية مبتهجة، وعندما رأت ميرديث بليك جالسا على مقعده على ربوة فوقهما لوحت له بيدها بطريقة طبيعية.

أما امياس كريل، وهو الرجل الذى كان يحتقر المرض ويأبى

الاعتراف به فقد استمر يرسم حتى تصلبت عضلاته، وأبطأ حديثه، ثم استلقى على المقعد الطويل يائسا، لكن ذهنه كان لا يزال يعمل. وعندما رن الجرس فى المنزل معلنا عن طعام الغداء هبط ميرديث بليك إلى حديقة المدفعية. وأظن أنه فى تلك اللحظة القصيرة - تركت اليزا مكانها وجرت نحو المنضدة، وسكبت القطرا ت القليلة الباقية من السم فى كأس البيرة.

(ولقد تخلصت من شفاطة القلم الحبر بأن سحقتها على عتبة المنزل) ثم التقت بمرديث بليك عند الباب.

لم يستطع ميرديث فى تلك اللحظة أن يرى ما فى الحديقة بوضوح. فقد رأى صديقه ممددا بطريقته المعتادة على المقعد، وعيناه تحدقان بطريقة شريرة بعيدا عن اللوحة. ما الذى يمكن أن يكون امياس كريل قد عرفه أو خمنه؟ ما الذى يمكن عقله الواعى قد ألم به، فإننا لا نعرف وأشار هيركيول بوارو نُحو لوحة اليزا جرير المعلقة على الحائط وأردف قائلا:

- كان لابد لى أن أعرف ما حدث عندما رأيت هذه الصورة لأول مرة، ذلك لأنها صورة ممتازة، إنها صورة قاتلة رسمت بيدها ضحيتها. صورة فتاة ترقب حبيبها وهو يموت.



النتيجة

وسط ذلك الصمت الذى أعقب ما
قاله هيركيول بوارو، وكان صمتا
مخيفا، وكانت الشمس قد قاربت
المغيب، وبدأت الظلمة تحيط بالمكان
تحركت اليزا ديتشام ثم قالت:

- خذ الجميع إلى الخارج يا ميرديث، واتركنى مع مستر بوارو.

ظلت جالسة فى مقعدها دون حراك حتى أغلق البأب بعد آخرهم ثم قالت: إنك ماهر جدا .... أليس كذلك؟ ما الذى تتوقع منى أن أفعله؟ أن اعترف؟

هز هيركيول بوارو رأسه نفيا، ولم يتكلم.

- لأننى لن أفعل شيئا من هذا القبيل. لن أعترف بشىء، وما سوف تقوله هنا، لن يكون له نتيجة لأن أحدا لن يشهد بما سمع.

- بالضبط. أريد أن أعرف ماذا ستفعل أنت.

- سأفعل كل ما فى وسعى لأحمل السلطات على أن تمنح عفوا لكارولين كريل بعد موتها.

ضحكت اليزا ديتشام وقالت: إن ذلك شىء سخيف: أن تعطى عفوا عن شىء لم تفعله. ولكن ماذا عنى؟

- سوف أشرح استنتاجاتى لمن يهمهم الأمر، فإذا ما قرروا إمكانية رفع قضية ضدك فقد يفعلون. سأقول لك رأيا آخر إنه ليس هناك أدلة كافية ضدك. هناك استنتاجات ولكنها ليست حقائق. وبالإضافة إلى ذلك فإنهم لن يكونوا حريصين على مقاضاة من كانت فى مثل مركزك، إلا إذا كان لديهم شىء مقنع.

- إننى لن أهتم حتى لو وقفت فى قفص الاتهام ان أدافع عن حياتى، فإن فى ذلك ما يثير وقد أتمتع به.

- لكن زوجك لن يتمتع بهذا.

- هل تظن أننى أهتم فى أقل القليل بما يشعر به زوجى؟

- كلا لا أفعل فإننى لا أظن أنك فى حياتك كلها قد اهتممت بمشاعر أى شخص آخر، ولو أنك فعلت لكنت أسعد حالا.

- لماذا تشعر بالأسف نحوى؟

- لأنك يا بنيتى مازال ينقصك كثير مما يجب تعلمه.

- ماذا يجب على أن اتعلمه.

- مشاعر الأشخاص الناضجين - الشفقة - التعاطف - الفهم، ذلك لأن كل ما تعرفينه هو الحب أو الكراهية.

- لقد رأيت كارولين تأخذ الكونين، فظننت أنها تقصد أن تقتل نفسها. إن ذلك كان يسهل الأمور كثيرا. لكنه فى صباح اليوم التالى

عرفت الحقيقة، فقد قال لها إنه لا يهتم بى قليلا أو كثيرا، وأنه إذا كان قد فعل ذلك لفترة قصيرة فقد انتهى كل شى الآن، وأنه حالما تتم اللوحة فسوف يأمرنى بإعداد حقائبى، وأنه ليس هناك ما عليها القلق من أجله، أما هى فقد كانت حزينة من أجلى.... هل تفهم معنى ذلك بالنسبة لى؟؟ ولقد وجدت السم، وأعطيته له وجلست أرقبه وهو يموت. إننى لم أشعر بمثل تلك الاثارة والنشوة والقوة فى حياتى مثلما شعرت فى ذلك الوقت.. أخذت أرقبه وهو يموت.

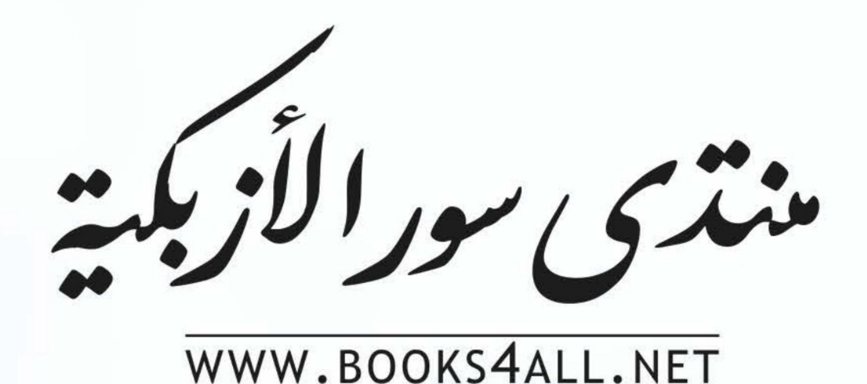
لوحت بذراعيها واستطردت: لم أفهم أننى كنت أقتل نفسى عندئذ وليس هو. وبعد ذلك رأيتها وهى تقع فى الفخ. لكن ذلك لم ينفعنى أيضا، ذلك لأننى لم أكن أستطيع ايذاءها لأنها لم تكد تهتم - لقد هربت من ذلك كله، فقد كانت نصف الوقت حاضرة بجسدها فقط. لقد هربت هى وامياس إلى حيث لا أستطيع الوصول إليهما لكنهما لم يموتا، بل أنا التى مت.

نهضت اليزا ديتشام واتجهت صوب الباب، ورددت مرة أخرى (أنا التى مت).

وفى البهو مرت بشابين كانت حياتهما على وشك أن تبدأ.

وفتح السائق باب السيارة، ودخلتها ليدى ديتشام، ووقف السائق ينتظر حتى تجلس ليضع سجادة من الفراء فوق ركبتيها.

تمت



منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET